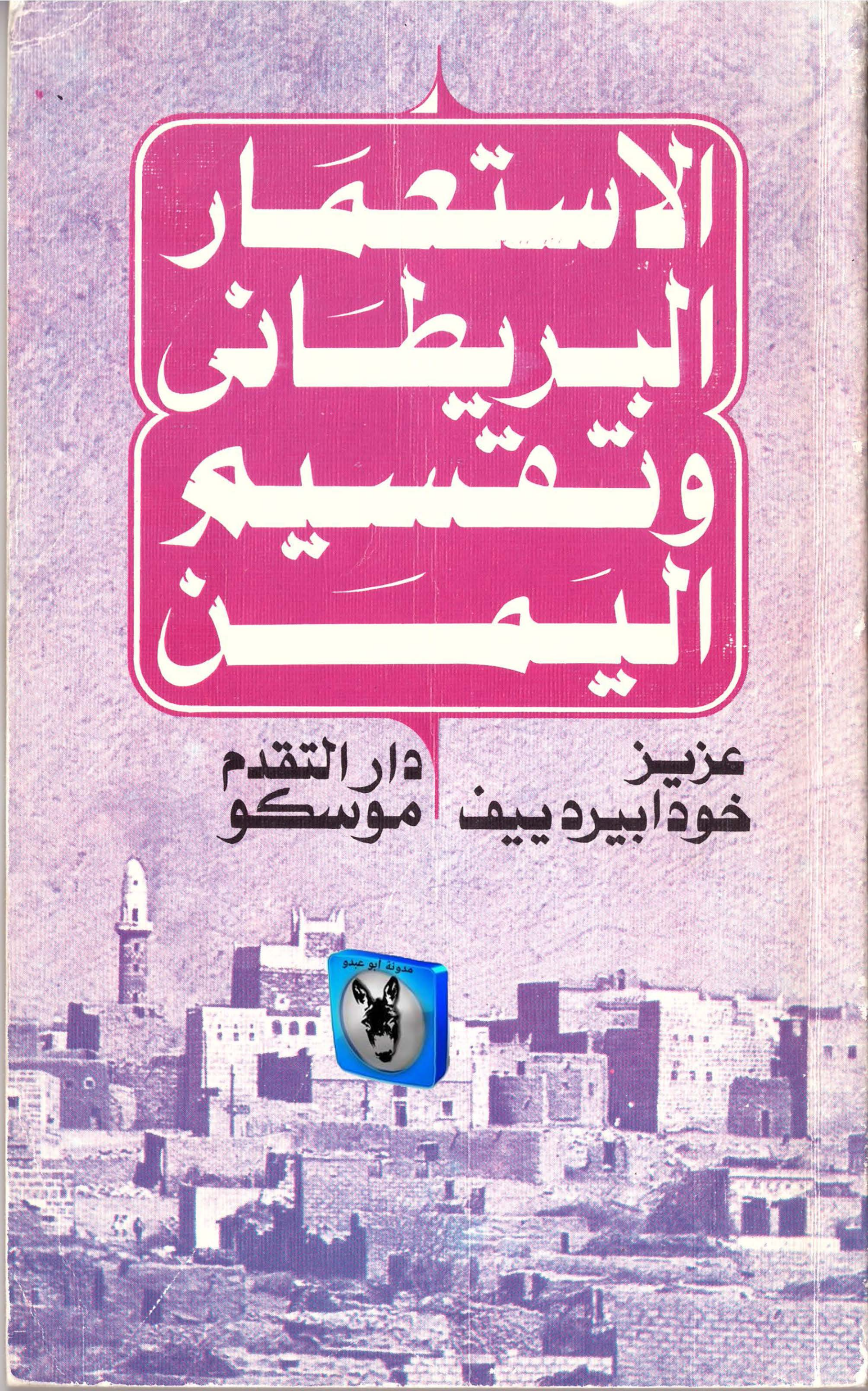
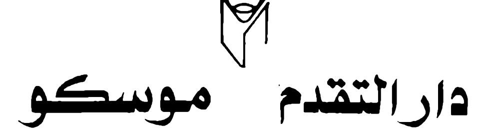

الاستعمار البريطاني وتقسيم اليمن
عزيز خودابيرديف
دار التقدم موسكو
مدونة أبو عبدو

عزيز خودابيرديف

الاستعمار البريطانى وتقسيم اليمن



دار التقدم موسكو

ترجمة خيرى الضامن

А. Худайбердыев

БРИТАНСКИЙ ИМПЕРИАЛИЗМ И РАЗДЕЛ ЙЕМЕНА

На арабском языке

طبع فى الاتحاد السوفييتى

X $\frac{0804000000-065}{014(01)-90}$ 188—90

ISBN 5-01-002158-7

مدخل

حتى الآونة الاخيرة لم تكن بين المؤلفات العلمية الخاصة بالجزيرة العربية دراسة موضوعية وافية لخصائص السياســـة الاستعمارية للامبريالية البريطانية فى اليمن فى الثلث الاول من القرن العشرين . ويعزى ذلك بالاساس الى ان وثائق الارشيفات البريطانية المتعلقة بسياسة بريطانيا فى الجزيرة العربية لم تكن فى متناول الدراسات العلمية لامد طويل .

واستخدم المؤرخون الغربيون ، والانجليز بالدرجة الاولى ، هذا الامر لتزويق السياسة البريطانية فى اليمن وتشويه تاريخ جنوب الجزيرة العربية بكل الوسائل . وحاول المؤرخون الانجليز ان يحطوا من سمعة النضال التحررى لشعب اليمن معتبرينـــه «تطاولا» على «حق» بريطانيا «الشرعى» فى المناطق الجنوبية من اليمن ، كما حاولوا تسويد صفحة الاتحاد السوفييتى الذى قدم مساعدة وتأييدا كبيرين لاولى الدول العربيـــة المستقلـــة . وباستخدام الوثائق الارشيفية التى رفع عنهـــا ختم السرية فى الآونة الاخيرة يحاول المؤرخون الانجليز اضفاء طابع الموضوعية على بحوثهم ليثبتوا بان الحدود الاقليمية القائمة حاليـــا بين جمهوريتى اليمن لم تكن ، كما يزعمون ، نتيجة لسياسة الدول الاستعماريـــة ، بل هى نتيجـــة للعداء التقليدى بين مشايخ الجزيرة . ومن جهة اخرى يساعدهم استخدام الوثائق الارشيفية البعيدة المنال على تحقيق المزيد من التفنن والشطارة فى تضليل الرأى العام بشأن فكرة الرسالة التمدنية المزعومة للمستعمرين البريطانيين فى جنوب الجزيرة العربية . ولذا فان دراسة الماضى

غير البعيد نسبيا لليمن على اساس الوثائق الارشيفية التى غدت فى متناول الايدى حاليا تعتبر امرا ملحا بخاصة ، لان ذلك يسهل فهم مقدمات الوضع القائم حاليا فى جنوب الجزيرة ويساعد على فضح سياسة تزوير تاريخ هذه المنطقة .

يستند هذا البحث الى الوثائق الدبلوماسية البريطانية وغيرها من الوثائق غير المنشورة والتى تم الحصول على نسخ فوتوغرافية منها من الارشيف الوطنى فى الهند حيث تحفظ اصول ونسخ مختومة بختم «سرى» وتقارير المندوبين البريطانيين وتوجيهات لندن والمسودات السرية للمعاهدات وغيرها والمكاتبات الدبلوماسية الكثيرة المتعلقة بالسياسة الاستعمارية البريطانية فى الشرقين الادنى والاوسط ، بما فى ذلك جنوب الجزيرة العربية . واستنادا الى الوثائق الارشيفية (التى يتناول التحليل العلمى اغلبيتها لاول مرة) وكذلك مواد من الصحافة البريطانية والعربية ، واعتمادا على مؤلفات المستعربين السوفييت وعلى التحليل الانتقادى للبحوث والدراسات المنشورة فى البلدان العربية والغربية سنحاول فى كتابنا هذا ان نكشف عن الجوهر العدوانى للسياسة البريطانية الاستعمارية فى اليمن . ان الوثائق الارشيفية التى استخدمناها تساعدنا فى دراسة العديد من الجوانب الخفية للسياسة البريطانية الاستعمارية فى شبه جزيرة العرب وتبيان تكتيك واستراتيجية الامبريالية البريطانية واهدافها وطرائقها وخططها الرامية الى اخضاع الجزيرة العربية ، وخصوصا اليمن . علما باننا نحاول ان نلقى الاضواء كذلك على الخلافات التكتيكية التى كانت موجودة بين الاوساط الحاكمة البريطانية فى مسائل سياسة بريطانيا ازاء اليمن .

ان الكثير من العوامل التى تحدد العلاقات الراهنة بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية ذات اصول تاريخية تعود الى مطلع القرن العشرين عندما تقاسمت بريطانيا والباب العالى اليمن ورسمتا فى ١٩٠٣-١٩٠٥ الحدود التى تفصل حتى الآن بين جمهوريتى اليمن . ولذا فان دراسة مسألة رسم هذه الحدود ، على اساس المراجع المذكورة اعلاه ، وعلى اساس المواد التى يوردها المؤلف لاول مرة والمأخوذة من

التقسيم العثماني - الانكليزي ٤

اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية ، تتسم بأهمية عملية تطبيقية فضلا عن اهميتها العلمية التاريخية .

ومع انه صدرت فى السنوات الاخيرة عدة مؤلفات علمية فى تاريخ اليمن فان فترة العشرينات والثلاثينات تظل من المراحل التى تكاد تكون غير مدروسة وذلك بسبب قلة المصادر الوثائقية وانعدام امكانية الاستفادة من الوثائق الارشيفية البريطانية . والحال فان هذه المرحلة بالذات هى فترة قيام اليمن الشمالى بحدوده الراهنة (الجمهورية العربية اليمنية حاليا) وتطور بعض العوامل التى لها تأثير كبير على العلاقات الحالية بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية والمملكة العربية السعودية .

وحاول الاستفادة من غياب الدراسات الخاصة بهذه الفترة المؤرخون البرجوازيون لا سيما الموظفون السابقون فى الجهاز الاستعمارى البريطانى الذين ترأسوا فى حينه الادارة فى عدن . فقد عالجوا الوقائع اعتباطا ، بل وزوروها احيانا ليبرروا السياسة الاستعمارية البريطانية فى جنوب جزيرة العرب . فالمقيم البريطانى السابق واول حاكم فى عدن برنارد ريلى فى كتابه «عدن واليمن» ، وهو فى الواقع مديحة للسيطرة البريطانية على جنوب الجزيرة ، انما يصور السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية سياسة «تمدينية سلمية» تتوخى خير سكان اليمن الجنوبى الذين تقبلوا الحماية البريطانية طوعا كما يزعم * .

وبنفس هذه الروحية المتحيزة الف هارولد انغرامس ، وهو من موظفى الادارة السابقين فى عدن ، كتابه «اليمن : الائمة والحكام والثورات» . فهو يزور الوقائع ويحاول فى الواقع ان يثبت بان الشعب اليمنى لم يخض اى نضال تحررى ، ولم يكن هناك سوى «خلاف» بين بريطانيا والامام يحيى ، علما بان بريطانيا هى المحقة فى هذا «الخلاف» فهى لم تكن تريد ، كما يزعم ، سوى اعتراف الامام يحيى بالمعاهدات الخاصة بالحماية البريطانية على امارات اليمن الجنوبى . الا ان انغرامس يلزم

Reilly. B. Aden and the Yemen. London, 1960, pp. 16-20. *

الصمت بشأن دوافع بريطانيا الفعلية ولا يكشف عن المخططات الحقيقية للمستعمرين البريطانيين * .

ونجد نفس التحيز فى كتاب توم هيكينبوثام الذى كان حاكما لعدن . فهو يسعى لاقناع الرأى العام بان اليمن لم يكن فى الواقع مقسما بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية وان رسم الحدود بين شطرى اليمن قد تم لصالح السكان اليمنيين بغية وضع حد للنزاعات الاقليمية بين القبائل المحلية بسبب انعدام الحدود الواضحة» * * .

وفى معرض الكلام عن العلاقات بين بريطانيا وبين اليمن المستقل يحاول هيكينبوثام ان يبرر الاعمال العدوانية التى مارستها الامبريالية البريطانية ضد الشعب اليمنى ويزعم فى كتابه «عدن» «ان ائمة اليمن سعوا دوما الى بسط سلطتهم على اراضى محميات عدن ومستعمرة عدن . . . اما نحن فقد حاولنا من جهتنا دوما ان نقيم علاقات ودية مع اليمن ، لكننا فى الوقت ذاته لم ننس التزاماتنا تجاه حكام المحميات التى اخذنا على عاتقنا مهمة حماية اراضيها دون العدوان الخارجى» * * * .

وهكذا استفاد ممثلو ادارة عدن السابقون من احتكار مصادر المعلومات ومن تواجدهم فى خضم الاحداث التى يتناولونها بالوصف ، فدأبوا فى مؤلفاتهم على تزوير تاريخ اليمن بشكل سافر وتصويره على نحو يعود بالنفع على الامبريالية البريطانية .

ونجد محاولات من هذا النوع ، ولكن باشكال اكثر تمويها ، فى اغلبية بحوث المستشرقين الغربيين . ومن اكثر المطبوعات الغربية عن اليمن جدية مؤلفات المؤرخين الاميركيين برايتون بوش ومانفريد وينير والمؤرخين الانجليزيين ايريك ماكرو ور . غافين * * * * . ولم يستعن احد منهم بالمراجع العربية ما عدا وينير الذى استشهد بها على نطاق واسع بفضل معرفته للغة

* Ingrams H. The Yemen. Imams, Rulers and Revolutions. London, 1963, pp. 63-65.

* * Hickinbotham T. Aden. London, 1958, p. 55.

* * * Ibid.

* * * * Bush B. Britain, India and the Arabs. London, 1971. Wenner M. Modern Yemen. Baltimore, 1967. Macro E. Yemen and the Western World. London, 1968. Gavin R. J. Aden under British Rule. London, 1975.

العربية . الا ان مؤلفاتـه تعانى من نقص كبير لانه لم يستخدم الوثائق الارشيفية البريطانية خلافا لبوش وغافين . ويورد البروفسور وينير فى كتابه «اليمن الحديث» مادة غنية مستقاة من عدد كبير جدا من المراجع الغربية والعربية . الا ان وينير يستخدم هذه المادة ليبرر الامبريالية عموما وسياسة الامبريالية البريطانية فى جنوب جزيرة العرب خصوصا . ويعتبر وينير نضال الشعب اليمانى فى سبيل توحيد اليمن «مطامع يمنية بمحمية عدن» * ، كما يصور المساعدة النزيهة من قبل الاتحاد السوفييتى الى اليمن وكأنها محاولة لبسط «النفوذ السوفييتى» فى اليمن ** . وفى الوقت ذاته يتناول وينير الخلافات السعودية اليمنية ويغفل متعمدا دور بريطانيا فى تأجيج تلك الخلافات *** .

اما ايريك ماكرو فى كتابه «اليمن والعالم الغربى منذ عام ١٥٧١» الذى يتضمن مادة هامة ، فهو ايضا يدافع عن الامبريالية البريطانية . ويقدم ماكرو وصفا تفصيليا لرسم الحدود من قبل بريطانيا وتركيا ويورد ارقاما وتواريخ صحيحة **** . لكنه يكشف عن المقدمات التى ادت الى رسم الحدود بتلك الصورة ولا يبين الامر الرئيسى ، وهو ان بريطانيا والاستانة اقتسمتا ارضا لا تعود لهما . وفى فصل «الروس فى اليمن» (١٩٢٣-١٩٥٧) يحاول ماكرو ان يشوه جوهر المساعدة السوفييتية الى اليمن ويصورها على انها «محاولة من موسكو لنشر الشيوعية فى كل العواصم الدبلوماسية» ***** . ويتناول ماكرو غلق الممثلية السوفييتية فى جدة من قبل ابن سعود فيزعم بان السبب فى ذلك هو «عدم رواج البضائع الروسية فى الحجاز» ****** . الا ان الوثائق الارشيفية تدل على ان بريطانيا لعبت الدور الرئيسى فى ذلك ، حيث مارست

---

* Wenner M., . . . , p. 149.

** Wenner M., . . . p. 155

*** Wenner M., . . . pp. 142-145.

**** Macro E., . . . pp. 38-40.

***** Macro E., . . . p. 111.

****** Macro E., . . . p. 112.

ضغوطا شديدة على ابن سعود وحملتـــه على غلق الممثليــــة السوفييتية فى جدة * .

B. يعتبر بحث البروفسور الاميركى برايتون بوش «بريطانيـــا والهنـــد والعرب ، ١٩١٤–١٩٢١» ** مـــن حيث مستـــواه العلمى اعلى مرتبة من كتابى وينير وماكرو . فهذا البحث المستند الى مادة ارشيفية وفيرة له قيمة كبيرة لانه مشبع بوقائـــع ومعطيات لم تكن معروفة حتى الآن . لكن بوش ، رغم المراجع الخطيرة التى اعتمد عليها فى دراسته ، يحاول ان يمرر فيهـــا الفكرة القائلة بان «مساعدة» بريطانيا قد مكنت العرب من التحرر من النير العثمانى .

وفى عام ١٩٧٥ صدرت فى لندن دراسة «عدن تحت السيطرة البريطانيـــة ، ١٨٣٩–١٩٦٧» للمؤرخ الانجليزى البروفسور غافين . ومن مزايا هذه الدراسة بخاصة ان غافين ، شأن بوش ، يستخدم على نطاق واسع الوثائق الارشيفية البريطانية المنشورة وغير المنشورة . لكنه فى الوقت ذاته يفسر المادة الارشيفيـــة الوفيـــرة بصورة اعتباطيـــة ويحاول ان يحلل مجمـــل سير الاحداث فى جنوب الجزيرة انطلاقا من مواقع الدفاع عن السياسة الاستعمارية البريطانية . فهو يحاول ان يضفى على المستعمرين البريطانيين صفة «دعاة السلام» فيؤكد بان السياسة البريطانية «اللبرالية الرافضة للتدخل فى الشؤون الداخلية» كانت تستهدف «تمتين الصداقـــة الانكلوعربيـــة . . . وحفز تطـــور دول الجزيرة» . . . *** .

وفى عام ١٩٨١ صدر باللغـــة الانجليزية فى لندن كتاب بعنوان «تاريخ عدن» لباحث من اصل فلسطينى هو الدكتور زكى حنا كور . والكتاب رسالة دكتوراه نوقشت فى جامعة لندن ، واستندت الى وثائق ارشيفية بريطانية منشورة وغير منشورة . ويتضمن الكتاب وقائع كثيرة هامـــة ، لكن المؤلف هو الآخر يستخدمها لتبرير سياسة بريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية .

* National Archives of India (NAI). Arabia Series part 4, No 108.

** See Bush B. Britain, India and the Arabs. London, 1971.

*** Gavin R. J., . . . p. 251.

ويدل على ذلك ، مثلا ، تأكيد المؤلف على ان الانجليز كأنما لم يكونوا ينوون استخدام عدن كقاعدة للعدوان والتوسع * .

ان هذا الاستعراض المقتضب يجعلنا نخرج باستنتاج مفاده ان المؤرخين البرجوازيين الذين حصلوا فى السنوات الاخيرة على فرصة للاستفادة من الوثائق البريطانية بعد ان رفعت عنها دمغة السرية والكتمان يحاولون ، استنادا الى الوثائق التى يفسرونها على هواهم ، ان يبيضوا صفحة السياسة الاستعمارية البريطانية فى الجزيرة العربية .

اما المطبوعات العربية الخاصة بفتـــرة موضوع البحث فهى قليلة .

فحتى الآن لم يظهر فى هذا الموضوع ، على حد علمنا ، الا بحثان عربيان يستندان الى الوثائق الارشيفية البريطانية . البحث الاول للدكتور طه جاد «سياسة بريطانيـــا فى جنوب اليمن» ، وهو يتناول الاحداث فى هذه المنطقة بالتفصيل ولكن حتى عام ١٩١٨ فقط ** . والبحث الثانى للدكتور فاروق عثمان اباظة «عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر» وهو يتناول الفترة ١٨٣٩–١٩١٨ ويستند الى مادة ارشيفيـــة وفيرة ، الا ان اطر التسلسل الزمنى فيه ضيقة جدا *** .

ويتميز بأهمية كبيرة كتاب المؤرخ اليمنى عبد الوسيع بن يحيى الوسيع «تاريخ اليمن» . فالمؤلف شاهد عيان على اغلبية الاحداث التى يصفها بالتفصيل **** .

وابدى الباحثـــون احمد حسين شرف الدين وامين سعيـــد ومصطفى سالم ***** اهتماما بالغا بفترة نشوء المملكة اليمنية

* Kour Z. H. The history of Aden. London, 1981, p. 112.

** د . طه جاد . سياسة بريطانيا فى جنوب اليمن . القاهرة ، ١٩٧٠ .

*** د . فاروق عثمان اباظة . عدن والسياسة البريطانية فى البحر الاحمر . القاهرة ، ١٩٧٦ .

**** عبد الوسيع بن يحيى الوسيع . تاريخ اليمن . القاهـــرة ، ١٩٢٨ .

***** احمد حسين شرف الدين . اليمن عبر التاريخ . القاهـــرة ، ١٩٥٨ . امين سعيد . اليمن . القاهرة ، ١٩٥٩ . سالم مصطفى . تكوين اليمن الحديث والامام يحيى القاهرة ، ١٩٧١ .

المستقلة بامامة الامام يحيى . ويدرس احمد حسين شرف الدين وامين سعيد فى كتابيهما بالتفصيل تاريخ اليمن الحديث والمعاصر ويشجبان سياســـة الامبرياليـــة البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية . ويتناول امين سعيد بدقة متناهية العلاقات بين اليمن والعربية السعوديـــة وكذلك اسباب نشوب الحرب اليمنيـــة السعودية .

صدرت الطبعة الاولى من كتاب المؤرخ المصرى مصطفى سالم «تكوين اليمن الحديث والامام يحيى» فى عام ١٩٦٣ . وقد استعان المؤلف بالمطبوعات والصحف العربية والغربية المتوفرة حتى مطلع الستينات بالاضافة الى مواد وزارة الخارجية السعودية الواردة فيما يسمى «بالكتاب الاخضر» الذى يتضمن وثائق تخص العلاقات السعودية اليمنية . ويتميز مؤلف مصطفى سالم بأهمية كبيرة ، لكنه ، على ما نظن ، يحلل الكثير من الظواهر بشىء من التحيز . فمع انه عموما يشجب سياسة بريطانيـــا العدوانية فى جنوب الجزيرة العربية ، لكنه يتقبل بدون تحليل انتقادى النظريات الاساسية التى يقول بها المؤرخون الغربيون . ففى فصل «الامام والاتحاد السوفييتى» يضع الاتحاد السوفييتى فى الواقع فى خانة واحدة مع الدول الاستعمارية . ويعتبر مصطفى ســالـــم رغبة الجمهورية السوفييتية الفتية الصادقة فى مد يد العون الى اليمن عندما تعرضت المدن اليمانية الى قصف وحشى من قبل سلاح الجو البريطانى محاولة لبسط «النفوذ السوفييتى» فى الجزيرة العربية * .

ان المرجع الاساسى لبحثنا هذا هو مواد ووثائق الارشيف الوطنى فى الهند . ويمكن تقسيم الوثائق الارشيفية التى اعتمدناها الى مجموعتين . تتعلق المجموعة الاولى بالتقسيـم الانكلوعثمانى لليمن ورسم الحدود بين ولاية اليمن ومحميات عدن . وبالاضافة الى المكاتبات الدبلوماسية الوفيرة وتقارير المقيم البريطانى فى عدن وتوجيهات لندن والخ . تضم هذه المجموعة مواد ووثائق اللجنة الحدودية البريطانية التى تتضمن معلومات تفصيلية عن سير رسم الحدود وعن المقاومة التى ابدتها القبائل وعن موقف

---

* سالم مصطفى . ص ٣٥٠ـ٣٥١ .

الجانب العثمانى ، كما توجد فيهـــا خرائط الحدود ونصوص البروتوكولات التى صادقت على نتائـــج رسم الحدود . وتتسم باهميـــة كبيرة الوثائق التى تشير الى مناورات الدبلوماسيـــة العثمانية والبريطانيـــة والى الخلافات الاقليمية التى ظهرت بين بريطانيا وتركيا اثناء رسم الحدود ، فكلاهما تريد الاستيلاء على رؤوس الجسور فى جنوب الجزيرة العربية .

وتضم المجموعة الثانية مواد ووثائق تدل على نية المستعمرين البريطانيين فى حرمان اليمن من اى منفذ الى البحر وقطع كل الصلات الاقتصادية والتجارية التقليدية بين الساحل والمناطق الداخلية . وتوجد بين هذه المجموعـــة من الوثائق الارشيفيـــة مخططات بريطانية غير معروفة حتى الآن لحصر اليمن فى حدود المقاطعات الجبلية الداخلية وتحويل التجارة الخارجية اليمانية كلها صوب عدن وهلمجرا . وتتميز بأهمية كذلك الوثائق التى تشير الى جوانب غير معروفة حتى الآن من التنافس الانكلوايطالى فى اليمن . كما تتسم بقيمـــة كبيرة فى فضح الطابع الاستعمارى للسياسة البريطانيـــة فى جزيرة العرب الوثائق التى تشير الى محاولات بريطانيا للحيلولة دون اقامة العلاقات العربية السوفييتية وذلك بالضغوط الدبلوماسية والعسكرية على حكام الجزيرة .

* * *

يقع اليمن عند التقاء آسيا بافريقيا فى منطقة ملائمة من حيث المناخ والموقع الجغرافى ، ولذا صار من قديم الزمان هدفـــا للغزاة . فقد تعرض اليمن خلال تاريخه الطويل الى غزو الرومان والاحباش والفرس والبرتغاليين والمصريين . وتركت الغزوات والفتوحات العثمانية اثرا خاصا فى تاريخ اليمن . ففى عهد الاحتلال العثمانى الاول (١٥٣٨-١٦٢٨) وقـــع القسم الاكبر من اراضى اليمن ، بما فيها عدن ، تحت السيطرة العثمانيـــة * . واثارت

---

* مفهوم «اليمن» يطلق تاريخيا وجغرافيا على القسم الجنوبى الغربى من الجزيرة العربية . وفى العصر الجاهلى كان اليمن يشمل اراضى

سياسة النهب التى مارسها الولاة العثمانيون فى اليمن تذمرا متزايدا بين الاهالى . وفى اواخر القرن السادس عشر تزعم ائمة القبائل الزيدية انتفاضة قوية ضد العثمانيين تكللت بطردهم من اليمن نهائيا فى بداية ثلاثينات القرن السابع عشر . ولاول مرة توحدت الاراضى الشاسعة (المنطقة الجبلية وساحل البحر الاحمر – تهامة وعسير وجنوب اليمن بما فيه عدن وحضرموت) تحت سلطة الائمة الزيديين الذين اختاروا صنعاء عاصمة لهم .

الا ان توحيد اليمن المكونة من عدة امارات ومشايخ قبلية كان كيانا لدولة غير متينة . فبنتيجة الغزو العثمانى الذى اعاق التطور الاقتصادى فى اليمن غدا هذا البلد من اكثر بلدان العالم العربى تخلفا . وكان الاقتصاد زراعيا صرفا تسوده النماذج العينية وشبه العينية ، وظلت العلاقات الاقطاعية محتفظة بسمات المعيشة العشائرية . ولم تكن قد ظهرت بعد الاتجاهات الاقتصادية التى من شأنها ان تساعد على توحيد اليمن . وفى هذه الظروف لم يتمكن الائمة الزيديون من الاستمرار طويلا فى بسط سيطرتهم على المناطق الجنوبية التى يسودها المذهب السنى الشافعى خلافا للمناطق الشمالية . زد على ذلك ان البدو الرحل الذين لم يعترفوا ابدا بالسلطة المركزية كانوا يشكلون قسما كبيرا من اهالى الجنوب . واسفرت الفوضى الاقطاعية العشائرية فى المناطق البدوية وانعدام الروابط الاقتصادية الوثقى بين الامارات والمشيخات الصغيرة وطموح الحكام المحليين الى الاستقلالية عن تضعضع وحدة اليمن .

وفى اواخر القرن الثامن عشر تقوضت الامامة الزيدية التى كانت قد وحدت مساحات شاسعة فى جنوب وجنوب غربى شبه الجزيرة العربية . واحتفظ الائمة الزيديون بسلطتهم فى صنعاء والمنطقة المتاخمة لها فقط . وفى فترة تصاعد الصراع بين الدول الرأسمالية من اجل اقتسام العالم تعرض حوض البحر الاحمر للغزو الاستعمارى . وابدى المستعمرون البريطانيون نشاطا

الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية حاليا وكذلك اراضى نجران وعسير التى تعتبر الآن ضمن العربية السعودية (ملاحظة المؤلف) .

محموما فى هذه المنطقة ، حيث استخدموا عدن التى احتلوها فى عام ١٨٣٩ مرتكزا للسياسة البريطانية ليس فى الجزيرة العربية وحسب ، بل فى شرق افريقيا ايضا . وبعد ان حولت بريطانيا عدن الى مستعمرة من مستعمرات التـــاج البريطاني والى قاعدة حربية اخذت تبسط نفوذها فى اعماق جنوب اليمن المكون من عدة امارات ومشيخات اقطاعية متعادية فيما بينهـــا . وفرض المستعمرون البريطانيون على تلك الامارات والمشيخات معاهدات الزمت الشيوخ العرب ، مقابل معونات مالية ، بان يحولوا دون اية نضالات ضد الانجليز ويؤمنوا سلامة الطرق ويزودوا القوات البريطانية بالاغذية * .

وبعد فتـــرة من احتلال بريطانيـــا لعدن استأنف الحكام العثمانيون التوسع فى اليمن ساعين الى الاثراء من استثمار السكان اليمانيين . وفى عام ١٨٤٩ استولت القوات العثمانية على ساحل البحر الاحمر فى عسير واليمن الشمالى ، الا ان القبائل اليمانية اوقفت تغلغل تلك القوات الى اعماق البلاد .

وبافتتاح قناة السويس فى عام ١٨٦٩ ازداد كثيرا دور البحر الاحمر فى الاستراتيجية الحربية والتجارة ، كما ازداد بخاصة دور مضيق باب المندب الذى يتميز بموقعه الحساس على اقصر طريق بحرى يربط اوربا ببلدان الشرق . ولذا نشطت الدول الكبرى سياساتها الاستعمارية فى حوض البحر الاحمر .

واخذت فرنسا وايطاليا تبديان اهتماما متزايدا بحوض البحر الاحمر الذى لم يكن قبل ذلك يسترعى الانتباه كثيرا . فاستولت فرنسا على الساحل الافريقى لمضيق باب المندب وانشأت فى ستينات – ثمانينات القرن التاسع عشر مستعمرة صغيرة ، لكنها هامة من الناحيتين الاستراتيجيـة والسياسية ، وهى مستعمرة جيبوتى او الصومال الفرنسى . وحاول المستعمرون الفرنسيون كذلك ايجاد موضع قدم لهـــم على الساحل العربى لمضيق باب المندب مؤملين فى الاستفادة من كون التاجر الفرنسى رابو قد اشترى من احد الشيوخ العرب فى عام ١٨٦٨ قطعة ارض فى

* Aitchison C. U. A Collection of Treaties, Engagements and Sanads. vol. 13. Delhi, 1933, pp. 57-67.

رأس شيخ سعيد بجنوب الجزيرة العربية . الا ان مقاومة بريطانيا وتركيا وكذلك التوتر فى العلاقات بين فرنسا وبروسيا التى سرعان ما اسفر عن الحرب بينهما قد ارغم فرنسا على التخلى عن خططها لترسيخ مواقعها فى شبه الجزيرة العربية .

وانخرطت ايطاليا هى الاخرى فى الصراع من اجل الاقتسام الاستعمارى للعالم واختارت شمال شرقى افريقيا اول هدف للتوسع الاستعمارى الايطالى .

وحظيت ايطاليا بتشجيع من بريطانيا التى كانت تعتبر الطليان وسيلة لمقاومة النفوذ الفرنسى فى شرق افريقيا ، فاستولت فى سبعينات – ثمانينات القرن التاسع عشر على الساحل الجنوبى الغربى للبحر الاحمر ، وحولته في عام ١٨٩٠ الى مستعمرة اريتريا الايطالية . وفي الفترة ١٨٨٥–١٩٠١ فرض المستعمرون الطليان ، بموافقة بريطانيا ، الحماية على اراضى الصومال الواسعة .

وفى نفس وقت التوسع الفرنسى والايطالى تقريبا فى البحر الاحمر بدأت مرحلة جديدة فى سياسة الامبراطورية العثمانية الاستعمارية فى جزيرة العرب . فقد وصلت الى اليمن من خلال قناة السويس قوات عثمانية كبيرة انضمت الى القوات العثمانية المرابطة فى تهامة واخذت تتغلغل فى اعماق اليمن ، وانتهت الى احتلال صنعاء عام ١٨٧٢ وتحويل اليمن الشمالى الى ولاية عثمانية .

وبعد احتلال شمال اليمن قرر العثمانيون استعادة سيطرتهم السابقة على جنوبه . الا ان غزو القوات العثمانية لسلطنات جنوب اليمن فى ١٨٧٢ واحتلال اراضى قبائل حوشبى وصبيحى واميرى قد واجه مقاومة شديدة من جانب بريطانيا وارسى بداية الصراع الانكلوعثمانى المرير من اجل النفوذ فى جنوب جزيرة العرب . وقد جرت العادة فى علم الاستشراق السوفييتى على تقسيم هذا الصراع الى ثلاث مراحل .

في المرحلة الاولى (١٨٧٢–١٨٧٦) اعتبرت الامبراطورية العثمانية نفسها صاحبة السيادة فى اليمن كله ، فقامت بعدة محاولات لالحاق الامارات اليمانية الجنوبية بولاية اليمن ، بينما سعت بريطانيا بكل الوسائل الى توسيع منطقة نفوذها التى كانت

آنذاك محصورة بتسع قبائل كبيرة هى الاقرب الى عدن - عبدلى وصبيحى وفضلى ويافع والعوالق وحوشبى واميرى وغيرها وكانت حينئذ فى علاقات صلح مع بريطانيا وليست محميات بعد * .

وشهدت المرحلـــة الثانيـــة (١٨٨٦-١٨٩٥) من الصراع الانكلوعثمانى فى جنوب الجزيرة انتقـــال بريطانيا الى الهجوم وفرض الحماية البريطانية على امارات جنوب اليمن . وقد بدأت هذه المرحلة فى فترة تحول الرأسمالية الى امبريالية . فالتبدلات الاقتصادية المرتبطة بتفاوت التطور الاقتصادى والسياسى قد غيرت تناسب القوى على الصعيد العالمى . واخذت بريطانيـــا تتخلف من حيث وتائر التطور الصناعى عن البلدان الرأسمالية الفتية وتفقد بالتدريج مواقع الهيمنة على السوق العالمية .

وكان اشتداد المنافســـة الناجم عن التفـــاوت فى التطور الاقتصادى قد دفع البلدان الرأسماليـــة ، لا سيما بريطانيـــا وفرنسا ، الى البحث عن اسواق تشكل ملاذا من خطر المنافسة . «فبالنسبة للرأسمال المالى تتسم باهمية موارد الخامات المحتملة فضلا عن الموارد المكتشفة . وهذا هو سبب سعى الرأسمـــال المالى حتما الى توسيع الرقعة الاقتصادية ، بل توسيع الاراضى عموما . . . ان الرأسمال المالى عموما يسعى الى الاستيلاء على اكبر مساحة ممكنة من الاراضى مهما كانت واينما كانت ومهما كلف الامر ، نظرا لموارد الخامات المحتملة وخوفـــا من التخلف فى الصراع المسعور من اجل البقية الباقية غير المقتسمة من العالم او من اجل اعادة تقسيم ما تم اقتسامه» ** .

---

* اذا نظرنا الى خريطة اليمن يتضح لنا السبب الذى جعـــل المستعمرين البريطانيين يربطون هذه القبائل التسع على وجه التحديد بمعاهدات الصلح . فاراضى هذه القبائل تشكل تغطية متينة من جهة البحر لمستعمرة عدن الهامة من الناحية الاستراتيجية الحربية ، وتشكل «منطقة عازلة» تمر حدودها اساسا بقمم السلاسل الجبلية ، الامـــر الذى يحول دون التغلغل الى اراضى ما يسمى «بمحمية عدن» مـــن المؤخرة ، ويهيىء فى الوقت ذاته رأس جسر للتغلغل البريطانى فى اعماق اليمن (ملاحظة المؤلف) .

** لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ١٤٦ «الامبريالية اعلى مراحل الرأسمالية» .

ولئن كان نافعا لبريطانيا فى السابق دعم وحدة الامبراطورية العثمانية المتداعية والحفاظ على التأثير البريطاني فى الاستانة مع تقوية النفوذ البريطانى فى الولايات العربية فى الوقت ذاته ففى مطلع القرن العشرين تغيرت سياسة بريطانيا ازاء الامبراطورية العثمانية . والسبب فى ذلك هو ان خطر الامبريالية الالمانيـة الساعية الى الاستيلاء على الولايات العربيـة العثمانية قد ازداد كثيرا مع بداية اشتداد الصراع من اجل اعادة اقتسام العالم . وبنتيجة ذلك راهنت الاوساط الحاكمة البريطانية على تقطيـع اوصال الامبراطورية العثمانية والاستيلاء على الاراضى العربية التابعة لها .

واستفاد المستعمرون البريطانيون من صعوبات الوضع الدولى بالنسبة للامبراطورية العثمانية فحَنَثُوا بالتزاماتهم فيما يخص مراعاة الوضع القائم فى جنوب شبه الجزيرة العربية وفرضوا على شيوخ اكبر القبائل فى جنوب اليمن معاهدات الحماية . وحتى عام ١٨٩٦ بلغ عدد القبائل التى فرضت عليهـا الحماية البريطانية سبع عشرة قبيلة * . كانت معاهدات الحماية تختلف فيما بينها من حيث الصياغة ، الا انهـا جميعـا تعبر عن نفس الجوهر الاستعمارى . فقد الزمت الحكام العرب بعدم الدخول فى اية علاقات مع الدول الاخرى دون سمـاح من السلطات البريطانية وبعدم تسليم اى جزء من اراضيهم باى شكل كان الى الاجانب ، وباطلاع السلطات فى عدن ، فضلا عن ذلك ، على ايـة اعمال تقوم بها دول اجنبية فى اراضيهم . ووافقت بريطانيا بدورها على ان تدفع لهؤلاء الحكام معونة مالية سنوية و«تحمى» ممتلكاتهـم دون العدوان الخارجي ** .

وحتى مطلع القرن العشرين «. . . عندما كانت تسعة اعشار افريقيا محتلة (حتى عام ١٩٠٠) وعندما غدا العالم موزعا حل من كل بد عصر احتكار ملكية المستعمرات ، وبالتالى عصر الصراع

* Bullard R. The Middle East. A Political and Economic Survey. London — New York, 1958, p. 105.

** Aitchison C. U. A Collection of Treaties . . ., vol. 13, pp. 93—113, 169.

الشديد للغاية من اجل اقتسام العالم واعادة اقتسامه» * ومع انتهاء التقسيم الاقليمى وتضاؤل «الاراضى الحرة» باطراد باتت الممتلكات الاستعمارية لمختلف الدول تتلاقى فيما بينها وتتجاور واخذت تتعقد باطراد مهمات رسم الحدود الفاصلة بينها والتمييز بين مناطق نفوذ الدول الكبرى .

وبحلول عصر الامبريالية واجهت مشكلة التمييز ورسم الحدود كذلك بريطانيا والامبراطورية العثمانية اللتين التقت ممتلكاتهما وتشابكت فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وفي المرحلة الثالثة (١٩٠١-١٩١٤) من الصراع الانكلوعثمانى فى سبيل السيطرة على جنوب الجزيرة ارغم المستعمرون البريطانيون الباب العالى على الاعتراف بان امارات جنوب اليمن المحمية ليست جزءا من ولاية اليمن وجعلوه يوافق على رسم الحدود بين عدن واليمن ، مما ادى الى تقسيم اليمن الى شطرين جنوبى (بريطانى) وشمالى (عثمانى) .

ان امكانية استخدام النسخ المصورة من الوثائق والمواد الدبلوماسية البريطانية وغيرها بعد الحصول عليها من الارشيف الوطنى الهندى قد وفرت لنا فرصة القيام بمحاولة للتحليل العلمى لسياسة بريطانيا الاستعمارية فى اليمن ومخططاتها لتقسيمه وعزله عن ساحل البحر الاحمر وجعله فى حالة تبعية .

ومن المسائل الحساسة والملحة فى هذا البحث ما يتعلق بتقسيم اليمن بين بريطانيا والاستانة ورسم الحدود بين اليمن وعدن ، وهى نفس الحدود التى تفصل حتى الآن ، مع تغيير طفيف ، بين الجمهورية العربية اليمنية وجمهورية اليمن الديمقراطية الشعبية . ولما كان الكثير من الوقائع التى تحدد العلاقات بين الجمهوريتين اليمنيتين تعود اصوله الى بداية القرن العشرين حيث جرى تقسيم اليمن فان دراسة مسألة رسم الحدود اليمنية العدنية وفقا للمواد السرية للجنة الحدودية الانكلوعثمانية تتسم بأهمية كبيرة لا جدال فيها .

وتتابع هذه الدراسة عملية نشوء اليمن الشمالى المستقل

---

* لينين . المؤلفات الكاملة ، المجلد ٢٧ ، ص ٣٨١ «الامبريالية اعلى مراحل الراسمالية» .

(الجمهورية العربية اليمنية حاليا) ، بما فى ذلك نضال الشعب اليمنى ضد السيطرة العثمانية وفى سبيل توحيد اراضى اليمن التاريخية .

ويبدى المؤلف اهتماما خاصا بدراسة السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية وتكتيكها واستراتيجيتها فى جنوب الجزيرة العربية ومحاولاتهـا لاستثارة تمردات القبائـل ذات الميول الانفصالية ضد ملك اليمن الامام يحيى وعزل اليمن الى الابد عن مناطقه الجنوبية والحيلولة دون قيام العلاقات بين اليمن والاتحاد السوفييتى وتدبير النزاعات الحربية بين اليمن والعربية السعودية بغية تقوية السيطرة البريطانية على كلا البلدين .

ومن المهمات النابعة منطقيا من طابع قضايا موضوع البحث القاء الضوء على الجوانب غير المعروفة كثيرا حتى الآن من التنافس الانكلوايطالى فى اليمن وتحليل طابع هذا التنافس والاشكال التى اتخذها تبعـا للتطور الداخلى فى كلتا الدولتين الامبرياليتين وللوضع الدولى عموما .

ونظرا لان اليمن كان اول بلد عربى يوقع مع الاتحـــاد السوفييتى معاهدة صداقة متكافئة ارتأى المؤلف ان يهتم خصيصا بهذا الحدث التاريخى ويبين تأثير قيـام العلاقات السوفييتية الحجازية والسوفييتية اليمنية على سياسة بريطانيا الاستعمارية فى شبه الجزيرة العربية ويكشف عن الطرائق والاساليب التى استعان بها المستعمرون البريطانيون لاعاقة التقارب بين الشعوب العربية واول دولة اشتراكية فى العالم .

الفصل الاول

تقسيم اليمن بين الانجليز والعثمانيين والمواقع البريطانية في جنوب الجزيرة العربية في مطلع القرن العشرين

١ . رسم الحدود بين اليمن وعدن من قبل الانجليز والعثمانيين

كان رسم الحدود بين ولايـــة اليمن ومحمية عدن حصيلة متميزة للصراع بين بريطانيا والامبراطوريـة العثمانية من اجل السيطرة على جنوب شبه الجزيرة العربية . فالاستانة التى رفضت امدا طويلا الاعتراف «بحق» المستعمرين البريطانيين فى جنوب اليمن اضطرت فى آخر الامر ، فى الوضع الدولى العسير بالنسبة لها فى مطلع القرن العشرين وفى ظل نهوض حركة التحرر الوطنى ضد السيطرة العثمانية فى مقدونيا والبانيا والحجاز وشمال اليمن ، على التنازل لمطامع بريطانيا والموافقة على اقتسام اليمن .

ومما عجل فى تقسيم اليمن الحادثة التى وقعت على الحدود فى اذار (مارس) ١٩٠٠ ، حيث انشأ شيخ قبيلة حِمْيَرْ اليمانية الشمالية محمد ناصر مقبل برج رقابة قرب قرية الدريجة يشرف على الطريق التجارى الرئيسى بين لحج والمنطقة الجبلية . وكانت الادارة العثمانية هى الدافع للقيام بهذا العمل لاغراض اقتصادية فضلا عن الاهداف السياسية . فان استهلاك التبغ وحده فى شمال اليمن حسب تقديرات الحكومة فى الاستانة ، بلغ ٣,٥ ملايين رطل ، فى حين لم يمر من خلال الجمارك العثمانية سوى ٠,٥ مليون رطل ، اما الباقى فقد جرى تهريبه الى البلاد . وهذا وحده يشكل خسارة فادحة بالنسبة للخزينة العثمانية * .

كان افتتاح نقطة الجمارك فى الدريجة والاشراف على الطريق

* Gavin R. J. Aden under British Rule. . . , p. 413.

التجارى الرئيسى فى اليمن بين صنعاء ولحج وعدن قد مكنا الادارة العثمانية فى ولاية اليمن من سد باب تهريب البضائع الى داخل اليمن من خلال عدن وتغيير وجهة التجارة بحيث يمكن ايصال منتوج المناطق الجبلية الخصبة فى اليمن ، وخصوصا القهوة اليمنية الشهيرة ، الى الاسواق الخارجية ليس عن طريق مرفأ عدن البريطانى ، بل عن طريق ميناء الحُدَيْدة اليمانى الشمالى الواقع تحت السيطرة العثمانية . فهذا من جهة يزيد كثيرا من عائدات الباب العالى ويضعف من جهة اخرى اهمية عدن تجاريا ، ويسدد بالتالى ضربة الى المواقع البريطانية فى جنوب الجزيرة . ولذا فعندما طردت قوات قبيلة حوشبى اليمنية الجنوبية محمد ناصر مُقبل من الدريجة فى حزيران (يونيو) ١٩٠٠ قدمت له الاستانة دعما بعساكرها النظامية وساعدته على استعادة مواقعه .

ونظرا لخطورة عواقب احتلال العثمانيين لنقطة الدريجة طالبت الحكومة البريطانية الباب العالى فى شباط (فبراير) ١٩٠١ بان يسحب قواته فورا من هذه النقطة متذرعة بانها متواجدة فى اراضى قبيلة حوشبى الواقعة تحت الحماية البريطانية منذ عام ١٨٩٥ * .

وعندما رفضت الاستانة هذا الطلب ارسلت السلطات البريطانية وحدات من حامية عدن الى المنطقة المتنازع عليها وطردت العثمانيين من الدريجة واخفقت محاولة السلطان العثمانى لكسب تأييد المانيا التى كان يؤمل من وراء التحالف معها فى ان يحافظ على المواقع العثمانية فى الولايات العربية ويعززها . وقامت الامبريالية الالمانية بمحاولة للاستيلاء على جزر فرسان الواقعة تحت السيطرة العثمانية فى عام ١٩٠٠ واثبتت مرة اخرى بانها هى ايضا لا تستنكف من الاثراء على حساب الممتلكات العثمانية ** .

وبعد حادثة الدريجة وفى ظروف النزاع الانكلوعثمانى الحاد

* NAI, Proceedings, December, 1904. General Maitland's report on the demarcation of the frontier between the tribes of the Aden Protectorate and the Turkish Province of Yemen. Encl. 1 to No 63, p. 5.

** جزر فرسان الواقعة قرب الساحل الغربى لشبه الجزيرة العربية فى البحر الاحمر تابعة حاليا الى العربية السعودية (ملاحظة المؤلف) .

بسبب الصراع على الكويت والذى كاد ينتهى بصدام حربى فى الخليج العربى بين بريطانيا والامبراطورية العثمانية قرر الباب العالى ان يكف عن مصارعة بريطانيا فى جنوب الجزيرة . وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠١ اقترحت الاستانة بنفسهـا على بريطانيا تقسيـم اليمن . وكانت هذه المبادرة غير المتوقعة بالنسبة للانجليز «نقلة شطرنج» من جانب الدبلوماسية العثمانية ، كما بينت الاحداث فيما بعد ، فان هدف العثمانيين هو عرقلة التغلغل البريطانى فى اعماق اليمن .

وفى اواخر عام ١٩٠١ اتخذت حكومتا بريطانيا والباب العالى قرارا بتشكيل لجنة انكلوعثمانية مختلطة لرسم الحدود ، وكان عليها ان تعين الحدود الفاصلة بين ولاية اليمن ومحمية عدن . وواجه الطرفان مسألة واحدة : كيف ينبغى تقسيم اليمن ؟ وفى بداية ١٩٠٢ كان العثمانيون لا يزالون يحاولون الادعاء باراضى جنوب اليمن ما عدا عدن والمناطق المتاخمة لها . اما السلطات البريطانية فقد أصرت بدورهـا على حدود تجعل اراضى القبائل التسع المتواجدة على مقربة من عدن مندرجة ضمن منطقة النفوذ البريطانى . وقرر المسؤولـون فى لندن ، بغيـة تعيين هذه الحدود ، ان يستفيدوا من نتائج المسح الطوبوغرافى الذى اجراه فى اليمن احد ضباط القوات البريطانيـة فى ١٨٩١-١٨٩٢ . وبنتيجة هذا المسح وضعت خريطة لاراضى قبائل صبيحى وحوشبى واميرى وعينت حدودهـا التى اطلق عليهـا فى المكاتبـات الدبلوماسية البريطانية اسم «خط وهاب» . لكن هذه الحدود لم ترسم على خريطة ١٨٩٢ . وقد ورد وصفها كلاميا فقط فى التقرير الذى قدمه رئيس البعثة الطوبوغرافية العقيد عبد الوهاب بعد تلك الدراسات . واتضح فيما بعد ان الخريطة التى رسمها عبد الوهاب لم تكن دقيقة اطلاقا لدرجة لم يكن بالامكان معها مطابقة «خط وهاب» بالتضاريس الفعلية * .

يبدأ «خط وهاب» من رأس شيخ سعيد قرب قرية تربـة ويمتد الى الشمال الشرقى ملتويـا فى بعض الاماكن ويصل الى منطقة مدينة القطيب فقط . وبسبب موقف السكـان المحليين

* Gavin R. J. Aden under British Rule. . . , p. 220.

العدائى اضطر عبد الوهاب الى وقف الدراسات الطوبوغرافية ولم يجازف بالبقاء بين ابناء القبائل اليمانية التى لا تسكت على الضيم فعاد الى عدن فى ١٨٩٢ .

وكانت الاوساط الاستعمارية البريطانية تنوى ، قبل موافقة العثمانيين رسميا على تعيين الحدود ، ان توصل تلك الحدود من شيخ سعيد الى القطيب فقط . واعرب المسؤولون فى لندن عن رأيهم «بتعذر رسم حدود المحمية كلها ، لان الحدود الشمالية لاراضى يافـــع والعوالق والمهرة والقبائـــل الاخرى . . . غير معروفة ، لا سيمـــا وان الاستانـــة لا تحتل هذه الاراضى فى الواقع» * .

وفى مطلع كانون الثانى (يناير) ١٩٠٢ تقابل وزير شؤون الهند البريطانى هاملتون مع السفير العثمانى فى لندن وعرض عليه خريطة «خط وهاب» واعلن بانها اساس الحدود التى تريدها بريطانيا ** .

اما الاوساط الاستعمارية البريطانية فى الهند بزعامة نائب ملك الهند اللورد كيرزون فقد كانت خلافا للندن تتمسك بنهج توسعى اكثر قسوة فى مسألة تعيين الحدود الانكلوعثمانية . ومع ذلك كانت تلك التناقضات ذات طابع تكتيكى وليس استراتيجيا ، وقد ظهرت اساسا بخصوص وتائر وطرائق السياسة الاستعمارية . فان مجلس الوزراء البريطانى ، شـأن السلطات البريطانية فى الهند ، كان يطمـع فى الغزو الاستعمارى ، لكنه خلافا للادارة البريطانية فى بومباى وعدن كان مضطرا على مراعاة تناسب القوى والموقف الدولى عموما والاهتمام بمصالح بريطانيـا فى مناطق العالم الاخرى .

وكان اللورد كيرزون يؤمل فى استخدام «خط وهاب» بوصفه مجرد وسيلة تقريبية يهتدى بها ، ولدى توفر اول فرصة فانه سيوسع الى اقصى حد ممكن اراضى المستعمرات البريطانية فى

* NAI, 1902, February. Presentation of a rifle and ammunition to the chief of the upper Aulaki. Arangements for the Delimitation of the froutier between Yemen and the British protected tribes near Aden. Notes, No 219.

** Ibid., No. 310.

جنوب الجزيرة . وبهذا الخصوص لفت اللورد كيرزون فى توجيه مؤرخ فى ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠١ نظر العقيـــد عبد الوهاب الذى عين رئيسا للجنة الحدودية البريطانية الى عدم وجود ضرورة للتمسك الدقيق «بخط وهاب ١٨٩١» فى اراضى قبيلتى حوشبى واميرى . واقترح كيرزون كذلك اشعار العثمانيين بان يافع العليا والعوالق العليا هما من ضمن القبائل التسع المذكورة اعلاه ، ولذا فهما بريطانيتان * . وكتب كيرزون قائلا «اذا رغب العثمانيون برسم حدود هذه الاراضى فيجب ان يمر خطها بالحدود الشمالية ليافع العليا والعوالق العليـــا ، بما فى ذلك البيضاء وبيحان» ** . اما فى الواقع فهذه الاراضى ليست داخلة ضمن القبائل التسع ولم تكن تحت السيطرة البريطانية . ومع ان وزير شؤون الهند هاملتون كان متفقا مع كيرزون لكنه استدرك قائلا بانه «اذا ظهرت صعوبات» فانه سيشطب مسألة يافع العليـــا والعوالق العليا من جدول اعمال المفاوضات الجارية *** .

ومع ان العثمانيين كانوا اصحاب المبادرة فى رسم الحدود ، الا انهم وقفوا موقفا سلبيا جدا من الصيغة البريطانية للحدود فى شباط (فبراير) ١٩٠٢ ، اى فى اول اجتماع لاعضاء اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية فى الضالع . واعلن الطرف العثمانى ان جنوب اليمن داخل ضمن الامبراطورية العثمانية ، اما بخصوص اعمال اللجنة فان الغرض منها ليس رسم حدود الامبراطورية ، بل مجرد اجراء اصلاحات داخلية بالتعاون مع بريطانيا فى اطار ولاية اليمن **** .

ويبدو ان هذا التحول المفاجئ كان نتيجة لضغوط المانيـا على الباب العالى ، فهى تخشى من تعزز مواقع بريطانيا فى حوض البحر الاحمر . وقررت الاستانـــة ان تجعل الانجليز امام الامر الواقع فاحتلت فى بداية عام ١٩٠٢ قسما كبيرا من امارة الضالع

---

* Ibid., No 264.

** NAI, Proceedings, August, 1902. Proposed conclusion of protectorate treaties with the upper Aulaki, upper Yafii, Beida and Beihan. Encl. to No 132.

*** Ibid.

**** NAI, General Maitland's report..., encl. 1 to No 63, p. 9.

الواقعة فى منطقة رسم الحدود وحشدت قواتها ومدفعيتها فى مركزين هامين استراتيجيا هما جليلة وجبل جحاف اللذان يشرفان على طرق القوافل الرئيسية فى اليمن * .

وكان هذا العمل بداية للنزاع الانكلوعثمانى المسلح ، فضلا عن الدبلوماسى ، من اجل امارة الضالع . وكان هذا النزاع الذى اشركت فيه القبائل العربية قد عرقل رسم الحدود لامد طويل . فلئن كان المستعمرون البريطانيون فى عام ١٨٨٨ ينوون تسليم امارة الضالع الى الاستانة مقابل اعترافها بحقوق بريطانيا فى باقى جنوب اليمن ، ففى عام ١٩٠٢ ، ونظرا للاهمية الاستراتيجية والاقتصادية الكبيرة لهذه الامارة ، قرروا الاحتفاظ بها مهما كلف الثمن . ولذلك طالب الانجليز ، ردا على مطامع الاستانة فى الضالع ، بجلاء القوات العثمانية فورا من هذه الامارة ** . وفى تلك الفترة كان يرابط فى المنطقة المتنازع عليها مائة وخمسون جنديا انجليزيا يقابلهم ٨٠٠ جندى عثمانى .

ومع ان مطلب بريطانيا لم ينفذ فانها لم تكن راغبة فى تعقيد الموقف ، ولذا اقترحت فى حزيران (يونيو) ١٩٠٢ تأجيل رسم حدود اراضى اميرى والشروع برسم حدود اراضى يافع الواقعة شمال شرقى اميرى . الا ان الحكومة العثمانية رفضت الاعتراف بان يافع داخلة ضمن المنطقة البريطانية واعلنت ان جبل جحاف ومفرى عائدان الى لواء تعز التابع للعثمانيين ، ولذا فان القوات العثمانية لن تغادر هذه البقاع *** . وبغية تعزيز مواقعها قامت الدبلوماسية العثمانية بمحاولة استمالة الزيدية . ففى تموز (يوليو) ١٩٠٢ اقترحت الممثلية العثمانية على امام الزيدية العمل معا ضد الانجليز ووعدته بحكم ذاتى جزئى . الا ان الزيدية لم يقدموا على هذه الصفقة وظلوا محايدين فى النزاع الانكلوعثمانى **** .

وقد استثارت احداث الضالع قبائل جنوب اليمن فتصاعدت

---

* Ibid.

** Ibid., p. 12.

*** Ibid, p. 13.

**** Gavin R. J. Aden under British Rule..., pp. 239, 421.

نضالاتها ضد بريطانيا . وافاد المقيم البريطاني في عدن قائلا : «حتى القبائل القريبة من عدن مباشرة تتصرف على نحو ينم عن عدم الولاء وعدم الاحترام لحكومة بريطانيا العظمى» * . واصر انصار السياسة المتشددة وفي مقدمتهم اللورد كيرزون على تقوية حامية عدن لدرجة كبيرة وارسال قوات ضخمة الى المنطقة المتنازع عليها قادرة على طرد القـوات العثمانية من الضالـــع . الا ان المسئولين في لندن لم يروا بعد ضرورة لاستخدام القوة ، لانهم كانوا يؤملون بحل الخلاف بالطرق الدبلوماسية .

وفي لقاء جديد مع وزير الخارجيــة العثماني اعلن السفير البريطاني في الاستانة انه اذا لــم تتم تلبية مطالب بريطانيا ستضطر الى ارسال سفنها الحربية الى البحر الاحمر ** . ولم يكن التهديد الذى ادلى به السفير فذلكة . فسرعان مــا توجهت الى الحديدة السفينة الحربية «هارير» ، واثر ذلك لدرجة كبيرة ، كما اعترف المقيم البريطاني في عدن مايتلاند فيمـا بعد ، على السلطان العثماني فجعلــه يصدر في ١ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٠٢ «ارادة» (مرسوما) نصت على النزول عند طلب بريطانيا وسحب القوات العثمانية من اراضي اميرى المحتلة والشروع برسم الحدود بين عدن واليمن *** .

بيد ان الادارة العثمانية في اليمن واعضاء اللجنة الحدوديــة العثمانية تظاهروا بانهم يفسرون «ارادة» السلطان على طريقتهم الخاصة فسحبوا من منطقتى جبل جحاف ومفرى القوات النظامية فقط وتركوا المتطوعين العــرب الذين شاركوا في الاحتلال في مواقعهم السابقة . كما رفضت اللجنة العثمانية الاعتراف بان يافع والعوالق تابعتان لبريطانيـــا مع القبائل التسع ، لان «الارادة» السلطانية لم تأت على ذكرهما **** . ومما لا شك فيه ان اللجنة الحدودية العثمانية عملت وفقا لتوجيهات الباب العالي . اما «عدم الاذعان» السلطات العثمانية المحلية لاوامر الاستانة فهو ، كما في

* NAI, General Maitland's report ..., encl. 1 to No 63, p. 11.
** Ibid., p. 13.
*** Ibid., pp. 13-14.
**** Ibid.

حالات مماثلة ، مجرد اسلوب تكتيكى يهدف الى المماطلة باكبر قدر ممكن فى الاعتراف الرسمى «بحق» بريطانيا فى جنوب اليمن الذى قاتل العثمانيون ثلاثين عاما من اجله .

وادرك المسئولون فى لندن بسرعة تكتيك المماطلة العثمانى وقرروا ان الوقت حان للانتقال من الدبلوماسية الى القوة . وكان الوضع الدولى ملائما بالنسبة للهجوم البريطانى فى جنوب جزيرة العرب : فان التحالف مع اليابان فى كانون الثانى (يناير) ١٩٠٢ ، وتوقيع الصلح مع البوريين (٣١ ايار ١٩٠٢) خلصا الامبريالية البريطانية من الصعوبات التى كانت تقيدها من اواسط التسعينات . وفى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٢ اتخذت الحكومة البريطانية قرارا بتعزيز حامية عدن وارسال قوات اضافية الى منطقة الضالع * .

ففى ١١ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٣ ازداد تعداد القوات البريطانية فى امارة الضالع حتى بلغ ٩٠٠ جندى . وعزز العثمانيون ايضا حاميتيهم فى القطيب وجليلة حتى بلغ تعدادهما ٨٥٠ جنديا بالاضافة الى ٦٠٠ متطوع عربى ** . وسرعان ما تمكنت الاوساط الحاكمة البريطانية الهندية من تعزيز القوات البريطانية فى جنوب الجزيرة لدرجة اكبر حتى تحشد فى المنطقة المتنازع عليها فى اذار (مارس) ١٩٠٣ حوالى ٢٥٠٠ جندى بريطانى مع سريتين للمدفعية . وكانت حامية عدن فى الاحتياط بعد ان زيدت قواتها الى ١٤٠٠ جندى *** .

وبغية دعم القوات البرية ارسلت من البحر الابيض المتوسط الى سواحل اليمن السفينتان الحربيتان البريطانيتان «هيرميون» و«انتربيد» . وكان تحشد هذا القدر الكبير من القوات فى قطاع صغير يهدد بالتحول الى نزاع مسلح انكلوعثمانى كبير .

والى جانب التهديد الحربى لجأت بريطانيا الى التهديد

---

* Ibid., p. 15.

** Ibid., p. 17.

*** Ibid.

والوعيد دبلوماسيا . ففى ١٤ اذار (مارس) ١٩٠٣ صرح وزير الخارجية البريطانى لاندسداون الى السفير العثمانى بانه اذا لم تسحب الاستانة قواتها من المنطقة المتنازع عليها حتى الثامن عشر من اذار ولم تشرع برسم الحدود بين اليمن وعدن فان السفير البريطانى اوكونور سيغادر الاستانة . وكلف اوكونور فى الوقت ذاته باشعار الحكومة العثمانية بان حكومة بريطانيا فى حالة الرفض ستضطر الى استخدام قواتها البرية والبحرية المتواجدة فى جنوب الجزيرة العربية * . وكان لهذا الانذار الخطير تأثيره الفورى على موقف الباب العالى . ففى ١٨ آذار (مارس) اصدر السلطان العثمانى مرسوما بسحب القوات من ضليلة والبدء برسم الحدود وفقا لمتطلبات بريطانيا . واضطر الباب العالى الى الاستسلام ووافق على انتقال اهم المناطق الى النفوذ البريطانى.** . وهكذا ففى اواخر آذار (مارس) ١٩٠٣ فقط شرعت اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية برسم الحدود . ومن بداية تلك العملية ابدت قبائل جنوب اليمن مقاومة جديدة لتقسيم البلاد عنوة . ورغم الحراسة العسكرية الكبيرة تعرضت اللجنة البريطانية لهجمات متكررة واطلاق النار من جانب السكان المحليين . وردا على المعارضة ضد بريطانيا قام الانجليز بعدة حملات تنكيلية ضد القبائل المتمردة ودمروا قراها وبيوتها *** .

وكانت عنيفة بخاصة مقاومة قبيلة الكتيب التى قطعت المواصلات البريطانية بين عدن والضالع وطوقت فى اواخر عام ١٩٠٣ وحدة من القوات البريطانية بقيادة الكابتن لويد جونس . وفى ٢٨ تشرين الاول (اكتوبر) تلقى المقيم البريطانى فى عدن الجنرال مايتلاند بلاغا من لويد جونس افاد فيه بانه لن يصمد اكثر من ٢٤ ساعة اذا لم يصله الدعم واضطرت الادارة فى عدن الى ترك اللجنة البريطانية بدون حراسة وارسلت الى المنطقة على جناح السرعة قوات نكلت بكل قسوة بقبيلة الكتيب ودمرت القرية التى جرت فيها المعركة **** .

* NAI, General Maitland's report ..., encl. 1 to No 63, p. 20.

** Ibid.

*** Ibid., p. 26.

**** Ibid., pp. 27-28.

وفى معرض الكلام عن موقف السكان المحليين من الانجليز كتب المقيم البريطانى فى عدن فـــــى تقرير سرى «ان عرب المناطق الداخلية يرفضون تواجدنا . . . والشخص الوحيـــــد الذى يبقى مواليا لبريطانيا هو سلطـــــان عبدلى لان رعاياه لا يتميزون بروح العدوان ولا يتمكنون من الصمود فى وجـــــه القبائـــل المجاورة» * . وذلك هو موقف قبائل جنوب اليمن من تعيين الحدود . وتجدر الاشارة بهذا الخصوص الى ان عبـد الوهاب فر بجلده فى عام ١٨٩٢ بعد ان اطلق رجال القبائـــل النار عليه اثناء المسوح والدراسات الطوبوغرافية ** .

وذللت اللجنة الانكلوعثمانية مقاومـــــة السكان المحليين ورسمت فى اذار (مارس) ١٩٠٤ حدود اميرى وحوشبى وشرعت فى رسم حدود صبيحى . ولما كانت اراضى صبيحى ذات اهميـة استراتيجية كبيرة لان لها صلة بالمنفذ الى البحر الاحمر فقـد اتخذ المستعمرون البريطانيون قرارا باجراء حملة تأديبية وقائية ضد قبيلة صبيحى لتأمين عمل اللجنة دون عائق . وعندمـــا استلم المقيم سماحا من لندن باجراء هذه الحملة كانت اللجنة قد وصلت الى اراضى صبيحى . وبغية الحفاظ على سلامـــــة اعضائها اضطر المستعمرون الى الاكتفـاء بارسال وحدات كبيرة الى منطقة رسم الحدود تضم اكثر من ١٠٠٠ جندى مزوديـــن بالمدفعية الجبلية *** . ورغم وجود القوات البريطانية تعرضت اللجنة فى بعض الاماكن لهجمات القبائل المحلية **** .

وفى ايار (مايو) ١٩٠٤ رسمت اللجنة الحدودية خط الحدود على طول ١٣٨ ميلا من وادى بانه ووصلت الى قرية دار ام بيم التى تبعد ٤٥ ميلا عن مضيق باب المندب ***** . ومع ان البقية الباقية من الاراضى الممتدة حتى باب المندب قد انجزت

NAI, Proceedings, February, 1907. General question of * Policy in the Aden Hinterland. Withdrawal of troops from Dala. Encl. 1 to No 284.

NAI, General Maitland's report . . . , p. 31. **

Ibid., p. 32. ***

Ibid., pp. 33, 34, 36. ****

Ibid., No 64, p. 42. *****

دراستها من قبل اللجنة الحدودية الا ان مسألة البت فى عائدية مخرج البحر الاحمر ظلت دون حل بسبب الخلافات التى نشأت بين بريطانيا والاستانة بهذا الخصوص .

فقد طالبت الاستانة بان تمتد الحدود من دار ام بيم حتى جبل حرز ورأس العارة ، ويعنى ذلك ان كل ساحل باب المندب العربى ، بما فيه رأس شيخ سعيد ، يقـــــع تحت السيطرة العثمانية * . ورفضت بريطانيا الادعاءات العثمانية الاقليمية ، الا ان اعضاء اللجنة البريطانية اكدوا فـــــى تقرير سرى الى رئاستهم ان قبائل المنطقة التى يدعى العثمانيون باراضيها تدفع الضريبـــة للسلطات العثمانية فى مخـــا من زمان ولا تعترف بالسيادة البريطانية ** . وردا على المطالب العثمانيـة الجديدة اعلن الجانب البريطانى ان الدراسات الطوبوغرافية الاخيرة بينت ان اراضى قبيلة صبيحى الواقعة تحت الحماية البريطانية تشمل ٥٥٠ ميلا مربعا اضافية شمالى «خط وهاب» ويحدها خط جبـل عمان – جبل العقمة – الكدام *** . اما فــــى الواقع فان شيوخ القبائل القاطنة فى هذه الاراضى ، كما اعترف المقيــــم البريطانى فى عدن مايتلاند ، يدفعون الضرائـب الى السلطات العثمانية فى مخا ، الامر الذى يدل بوضوح على ان هذه القبائل لا تعترف بالحماية البريطانية ، وبالتالى ليست داخلة ضمــــن منطقة النفوذ البريطانى **** . زد على ذلك ان الحكومــــة البريطانية كانت قد كذبت فى عام ١٨٩٧ ، على لســان رئيس وزرائها سولسبيرى اشاعة احتلال القوات البريطانية لشيخ سعيد واعلنت انها تعتبر شيخ سعيد من ممتلكات الاستانة ***** . لما اعترفت الوثيقة البريطانية الرسمية الوحيدة الخاصة بشيخ

---

* NAI, Proceedings, June — July, 1905. Aden boundary commission. Negotiations with the Porte in connection with the delimitation of the Subeihy border and the north-east frontier of the Aden Protectorate. No 312.

** Ibid.

*** Ibid., No 192

**** NAI, General Maitland's report ..., encl. 1 to No 63, p. 38.

***** Ibid., p. 39.

سعيد ، وهى مذكرة وزير شؤون الهند المؤرخة فى ٩ نيسان (ابريل) ١٨٩٧ بان رأس شيخ سعيد هو «عثمانى» * . الا ان موقف بريطانيا من هذه البقعة الهامة استراتيجيا قد تغير بعد بضع سنوات . فقد صممت على عدم التنازل عنها للعثمانيين . وفى عام ١٩٠٤ كتبت وزارة الحربية البريطانية بان «الفرصة سانحة للاستفادة من رسم الحدود واعادة النظر فى مسألة شيخ سعيد» . واصرت الاوساط الحاكمة الانكلوهندية على ادراج اراضى صبيحى «الاضافية» ضمن مطالب بريطانيا الاقليمية . وكان عضو اللجنة الحدودية فيتزموريس قد اعد حتى حزيران (يونيو) ١٩٠٤ خريطة بحدود صبيحى تمتد عبر خط دار ام بيم – جبل نعمان – العقمة – الكدام ثم تستمر على ساحل البحر الاحمر حتى رأس شيخ سعيد تاركة حزاما ساحليا ونصف رأس شيخ سعيد ضمن المنطقة العثمانية ** . وفى ١١ حزيران غادر العقيد عبد الوهاب مع سائر اعضاء اللجنة البريطانية اليمن ، لكن فيتزموريس ظل فى جزيرة بريم ليعين ما تبقى من الحدود . واستقر احد اعضاء اللجنة العثمانية فى رأس شيخ سعيد *** .

وواصل الدبلوماسيون فى لندن والاستانة الصراع الانكلوعثمانى فى سبيل الحدود الافضل من دار ام بيم حتى مضيق باب المندب ، ومن القطيب الى الشمال الشرقى . الا ان الادعاءات الاقليمية الجديدة لكلا الطرفين رفضت من جانبهما . وعند ذاك اقترح الدبلوماسيون البريطانيون فى مذكرة بتاريخ ١١ آب (اغسطس) ١٩٠٤ حلا وسطا «ليثبتوا تمسكهم بروح المودة» (كما جاء حرفيا فى نص المذكرة) . واعربت بريطانيا عن موافقتها على منح الاستانة اراضى لا حق لها فيها بمساحة ٥٥٠ ميلا مربعا ، وهى ، كما

* NAI, Proceedings, October, 1904. Aden Boundary Commission. Negotiations with the Porte in Counection with the Delimitation of the Subeihy border and the north-east frontier of the Aden Protectorate. No 420.

** NAI, June — July, 1905. Negotiations with the Porte ..., No 192.

*** NAI, General Maitland's report ..., No 64, p. 42.

زعم الانجليز ، عائدة شرعا الى صبيحى ، وبالتالى الى بريطانيا .
وفى مقابل هذا «التنازل» يتوجب على العثمانيين ان يلتزموا بعدم احالة هذه الاراضى الى اية دولة ثالثة ويوافقوا على رسم الحدود من دار ام بيم حتى نقطة شيخ مراد فى رأس شيـخ سعيد * .
ووفقا للحدود المقترحة من جانب الانجليز ينتقل جزء من رأس شيخ سعيد الى المنطقة البريطانية ، مما يهيئ لبريطانيا فرصة الاشراف المباشر على مخرج البحر الاحمر .

كما ظهرت خلافات بيــــن بريطانيا والاستانة بشأن حدود المناطق الواقعة شمال شرقى القطيـــب . فقد اعتبر الانجليز بعض المناطق داخلة ضمن يافع ، ولذا فهى بريطانية ، بينما اعتبرتها قرارات المقيـــم البريطانى فى عدن فى ١٨٩٤ ، اى قبل عشر سنوات من ذلك ، مناطق عثمانية * * .

فما هو سبب المطالب البريطانية الاضافية ولم طرحت فى عام ١٩٠٤ بالذات ؟

نجد الجواب على هذا السؤال فى الوضع الـدولى الذى نشأ هناك . فلئنْ كانت بريطانيا فى السابق مضطرة اثناء تطبيق سياستها الاستعمارية فى الجزيرة العربيـــــة الى الالتفات الى مواقف منافساتهـــــا – فرنسا والمانيا وروسيا ، فان احداث ١٩٠٤ غيرت هذا الوضع . فان الحرب الروسية اليابانية التى اندلعت فى شباط (فبراير) ١٩٠٤ شغلت روسيا لامد طويـــل عن التنافس مع بريطانيا . اما فرنسا التــــى هى من منافسى بريطانيا الاساسيين فقد تحولت الى حليفة لها بنتيجة التقارب الانكلوفرنسى وتوقيع الاتفاقية الانكلوفرنسية التى ارست بداية الوفاق الثلاثى فى نيسان (ابريـــــل) ١٩٠٤ . زد على ذلك ان موافقة بريطانيا على استيلاء فرنسا على مراكش (التى كانـــت تطمع فيها المانيا) ، مقابل الالتزام بعدم الاعتراض على السياسة الاستعمارية البريطانية فى مصر ، كانت تنطوى من كل بد عـلى احتمال نزاع فرنسى المانى نشب فعلا فى عام ١٩٠٥ وشغـــل المانيا عن قضايا الشرق الادنى . تلك هى اسباب تزايد المطامع

* NAI, October, 1904, Negotiations with the Porte . . . , No 192
* * See Foreign office Confidential Print: Correspondence respecting the affairs of Arabia, 1905 — 1906. Vol. 1, London, 1971

الاقليمية البريطانيـــة فيما يخـــص مسألة رسم الحـــدود الانكلوعثمانية عام ١٩٠٤ .

واثارت المطامع البريطانية الجديدة استياء الاستانة التـــى تعتبر اراضى يافع ملكا عثمانيا ، ولذا يجب ان تدرج ضمـــن المنطقة العثمانية . وعندما لم يعـــد الضغط الدبلوماسى يجدى نفعـــا طلب اللورد لاندسداون فى ٢٥ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٤ من القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة ان يطلع الباب العالى على نية الحكومة البريطانية فى ارسال سفينة حربية الى السواحل اليمانية «لحماية مصالح بريطانيا» * .

واثار هذا التهديد قلق الباب العالى فوعد وزير الخارجيـــة العثمانية بالرد على الطلـــب البريطانى والتمس تأجيل ارسال السفينة الحربية .

وفى ٤ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠٤ رد البـــاب العالى بالفعل ، لكنه لم ينزل عند طلب الانجليز بأية حال . فقد اعلن الباب العالى فى مذكرة سلمها موسوروس باشا ، السفيـــر العثمانى فى لندن ، الى لاندسداون ان المناطق المتنازع عليها عثمانية بلا شك . واعتبر حدود صبيحى التى اقترحها الانجليز «غزوا سافرا» لاراضى الامبراطورية العثمانية ** .

ولم تكن لندن تتوقع مثل هذا الرد . وحاول لاندسداون ان يذكر السفير العثمانى بان السلطان وعـــد فى ٢٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٠٤ بتنفيذ كل مطالب بريطانيا . وبعد ان اقتنع لاندسداون بان كل الذرائع لا تفيـــد اعلن فى آخر المطاف ان بريطانيا ستستأنف التحضير لارسال السفينة الحربية الى البحر الاحمر بعد ان تأجل ارسالها نزولا عند رجاء الباب العالى *** .

وفى ٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٠٤ ، اى فى اليوم التالى بعد هذا اللقاء ، وصلـــت السفينة الحربية البريطانيـــة

---

* NAI, Proceedings, February, 1905. Delimitation of the Aden boundary. No 1199.

** NAI, February, 1905. Delimitation . . . , No 1214.

*** NAI, Proceedings, April, 1907. Official ratification of the results of the Aden boundary delimitation. No 42, p. 12.

«بروذر باين» الى سواحل اليمن * . وواجهت الدبلوماسية العثمانية من جديد خطر الحرب فلجأت الى تكتيك المماطلة . فقد اعلنت مذكرة الباب العالى المؤرخة في ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ والمسلمة الى القائم باعمال السفارة البريطانية في الاستانة «ان الحكومتين يجب ان تمتنعا عن ارسال القوات الى اراضى القبائل التسع» بغية الحفاظ على الوضع القائم في جنوب الجزيرة . وجاء في المذكرة ان اللجنة العثمانية تلقت توجيها «برسم الحدود صوب الكدام بعد مضيق باب المندب الى ساحل بحر عدن بشرط ان تبقى قرية تربة والآبار والاراضى المتاخمة لخط الحدود المنتهى عند شيخ مراد ضمن ولاية اليمن» ** . كما اعلنت الحكومة العثمانية في المذكرة بانها لا تنوى ان تسلم اراضيها لاية دولة اخرى . ولزمت المذكرة الصمت بشأن الحدود شمال شرقى القطيب .

وحيرت المذكرة العثمانية الاوساط الحاكمة البريطانية ، بل ضللتها في البداية ، لان الصياغة العثمانية للحدود المقترحة تضمنت خطأ جديا كان نتيجة لعدم الدقة او لعدم معرفة جغرافية جنوب الجزيرة ، وربما كان محاولة اخرى من جانب الدبلوماسية العثمانية لتشويش حل مسألة الحدود . وتلقى القائم باعمال السفارة البريطانية توجيها بابلاغ الباب العالى بان شرط تخلى الطرفين عن ارسال قوات الى المنطقة المتنازع عليها غير مقبول ، كما كلف باستيضاح اسباب سوء الفهم الذى اثارته المذكرة العثمانية المؤرخة في ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٠٤ والتى نصت على ان تحال الى بريطانيا الاراضى التى تخلت عنها سابقا بشرط الا تسلم تلك الاراضى الى اية دولة اخرى *** . وفى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ كتب نائب ملك الهند اللورد كيرزون في مذكراته يقول : «كنا مستعدين للقبول بالحدود من شيخ سعيد حتى دار ام بيم . . . بشرط

* NAI, February, 1905. Delimitation . . . , encl. 5 to No 1216.

** NAI, June — July, 1905. Negotiations . . . , encl. to No 212.

*** Ibid., No 196.

الا يقدم العثمانيون الى دولة ثالثة الاراضى الواقعة بين الكدام ودار ام بيم . اما الآن فالحكومة العثمانية مستعدة للقبول بالحدود من الكدام بدلا من شيخ سعيد ، باستثناء الحزام الساحلى بين الكدام وشيخ مراد . وهكذا قدم العثمانيون اكثر مما كنا نريد ، وهم يتوخون من وراء ذلك بلوغ هدفين . ١) يريدون افشال رسم الحدود الى الشمال الشرقى باتجاه الصحراء ، ٢) يريدون الا ترسل بريطانيا قواتها الى منطقة القبائل التسع . وبخصوص النقطة الاولى نحن لا نصر على رسم الحدود الى الشمال الشرقى ، اما النقطة الثانية فهى لامعقولة لدرجة تجعلنا نندهش لاقدام العثمانيين عليها» * .

ظل الباب العالى مصرا على تخلى الجانبين عن ارسال القوات الى المنطقة المتنازع عليها ، لكنه لم يعد يشير الى «خط الكدام» . وافاد فيتزموريس فى ١٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٠٥ ان عضو اللجنة العثمانية لا يزال ينكر بانه استلم التوجيه الذى ورد ذكره فى مذكرة الباب العالى المؤرخة فى ٢٩ كانون الاول (ديسمبر) . وكتب فيتزموريس يقول : «اعتقد انه استلم التوجيه فعلا ، ويحاول الآن فى مراسلاته مع الاستانة ان يصحح خطأ «خط الكدام» ** . ومع ذلك لم يعترف الباب العالى رسميا بالخطأ الوارد فى مذكرة ٢٩ كانون الاول ١٩٠٤ ولم يتقدم باية صياغة اخرى للحدود . ومن جديد طال امد رسم الحدود ، وهذا فى صالح الباب العالى . وعند ذاك قررت الدبلوماسية البريطانية ان تبادر بنفسها وتعلن عن كيفية فهمها للمذكرة العثمانية و«الارادة» السلطانية بخصوص رسم حدود صحيح .

وفى ٧ شباط (فبراير) ١٩٠٥ كلف لاندسداون السيد القائم باعمال السفارة البريطانية فى الاستانة بأن يبلغ الباب العالى «بان حكومة صاحب الجلالة ، رغم كون خط الحدود المذكور فى «الارادة» الجديدة يستند على ما يبدو الى تصور خاطىء عن التفاصيل الجغرافية ، تأخذ بعين الاعتبار واقع ان الباب العالى

---

* Ibid., No 189, p. 3.

** Jbid. No 199.

بعث الى ممثليه توجيها يهيئ لهم فرصة رسم حدود قبيلة صبيحى من دار ام بيم حتى شيخ مراد عبر جبل قوة ويترك هذا الحصن وقرية تربة مع الآبار فى الجانب العثمانى» * . وابدت الحكومة البريطانية موافقتها على الاعتراف بال٥٥٠ ميلا مربعا العائدة الى قبيلة صبيحى تحت الاحتلال العثمانى بشرط الا تسلم الى اية دولة ثالثة . كما كلف القائم بالاعمال بان يعلن بان حكومة صاحب الجلالة تعتبر المناطق المتاخمة ليافع ملكا لهذه القبيلة التى هى احدى القبائل التسع التابعة لبريطانيا وانها اخذت بعين الاعتبار التزام الحكومة العثمانية بعدم ارسال قوات الى هذه الاراضى . اما بريطانيا فهى تحتفظ «بحقها الذى لا جدال فيه» لارسال القوات البريطانية الى هذه المناطق فى اى وقت تتطلبه «مصالح الامن العام» ** . علما بان القائم بالاعمال يجب ان يدلى بتصريح ذى طابع انذارى ويؤكد انه اذا اثارت الحكومة العثمانية صعوبات وعراقيل لاحقة فان الحكومة البريطانية ستقطع المفاوضات الحدودية وتعين بنفسها الحدود التى تريدها وتتخذ الاجراءات اللازمة للدفاع عن مصالحها فى هذه الاراضى *** . وبغية دعم هذا الانذار بالافعال ارسلت الحكومة البريطانية الى البحر الاحمر السفينة الحربية «بيرسى» التى وصل فيتزموريس على متنها الى تربة «ليزور» اللجنة العثمانية **** . واسفرت هذه الافعال الحازمة عن نتائج مرضية بالنسبة لبريطانيا . ففى ١٤ اذار (مارس) ١٩٠٥ ابلغ الباب العالى اوكونور ان الاستانة موافقة على تلبية كل مطالب بريطانيا وقد بعثت الى لجنتها توجيها يقضى برسم الحدود من دار ام بيم حتى شيخ مراد . واعترف الباب العالى بان اراضى يافع والعوالق داخلة ضمن اراضى القبائل التسع وبانه لن يسلم الاراضى المتاخمة لحدود صبيحى الى اية دولة ثالثة ***** . وفى ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٠٥ وقع البروتوكول السادس الختامى

* Ibid., No 226, p. 18.
** Ibid., No 228, p. 18.
*** Ibid., No 226.
**** NAI, June, 1905. Negotiations . . . , No 228.
***** Ibid., No 184.

للجنة الحدودية الانكلوعثمانية الذى رسم نهائيا الحدود التـي شطرت اليمن الى شطرين بريطانى وعثمانى * .

وقرر الطرفان عدم رسم الحدود شمال شرقى لكمة الاشعوب قرب القطيب ، حيث بدأ رسم الحدود باتجاه البحر ، وذلك لان التجربة اثبتت بان الحاجة ستستدعى زج قوات اضافية فـي منطقة تعيين الحدود بغية اخماد عصيان القبائل اليمانية . ولذا تقرر مد الحدود من لكمة الاشعوب الى الشمال الشرقى عـلى الخريطة فقط دون تعيينها على الطبيعة ** .

وبعد اتمام رسم الحـدود اعترف فيتزموريس فى تقريره بانه «اذا اخذنا بنظر الاعتبار ان الوضع القائم فى عام ١٩٠١ هو اساس رسم الحدود فقد حصلت بريطانيا على اكثر بكثيـر مما كانت تؤمـل فيه قبل رسم الحدود» *** . ورغم انجـاز رسم الحدود فقد حاول الباب العالى ان يؤجـل توقيع المعاهدة الخاصة التى ينبغى ان تثبت رسميا نتائج تعيين الحدود . وفى ٩ اذار (مارس) ١٩١٤ فقط وقعت الاستانة وبريطانيا على هذه المعاهدة التى اكدت ، بدون ايـة تعديلات ، على بروتوكولات اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية **** .

وباستلام الاحرار السلطة ابتعدت السياسة الاستعماريـة البريطانية فى جنوب الجزيرة فى عام ١٩٠٦ قليلا عن نهـج المحافظين التوسعى . فقد الغى مشروعا سكـة حديد عدن - لحج ومصح الجيش فى الضالع ، وصدر امـر بسحب القوات البريطانية من المناطق الداخلية وعدم القيام بعمليات حربية على مسافة ١٠ اميال عن عدن بدون سماح خاص من وزير شؤون الهند ***** . وانتقدت الاوساط الانكلوهنديـة بشدة قرار حكومة كامبل - بانيرمان بسحب القوات من الضالع مؤكدة بان تواجدها فى المنطقة الحدودية هو وحده الذى يحول دون الغزو

---

* NAI, July, 1905. Negotiations ..., sub. encl. of encl. 2, No 312.

** Ibid., No 312.

*** Ibid.

**** Aitchison C. U. A Collection of Treaties ..., pp. 42-43

***** Gavin R. J. Aden under British Rule ..., p. 233.

العثماني * . واعلن نائب ملك الهند إ . مينتو قائلا : «اذا انسحبنا الآن سنواجه بعد بضع سنين الجزيرة العربية المستقلة» ** . الا ان موظفي الادارة الاستعمارية ذوي التفكير الواقعي اعترفوا صراحة بان استمرار تواجد القوات البريطانية في الضالع لن يقوى نفوذ بريطانيا في المناطق الداخلية من جنوب اليمن ، وذلك «لان من المتعذر القيام في غضون بضعة شهور بما لم يتحقق طوال الاعوام الثلاثة الاخيرة» *** . واعترفت السلطات الاستعمارية البريطانية صراحة في مراسلاتها الدبلوماسية السرية بضعف نفوذ بريطانيا في المناطق الداخلية من عدن . فقد كتب المقيم البريطاني في عدن مثلا «ان منزلة بريطانيا في جنوب الجزيرة ليست رفيعة . فالسكان يعتبرون السلطان العثماني اقوى خليفة ، ومع انهم لا يحبون الاتراك فهم يخافون منهم اكثر مما يخافون من الانجليز» **** .

لقد كانت الحدود التي انشئت بين عدن واليمن في اعقاب صراع انكلوعثماني حاد حاول فيه كل من الطرفين ان يستولى على اكبر قدر ممكن من الاراضي الهامة استراتيجيا حدودا مصطنعة لا تراعي كون اليمانيين المقيمين على كلا جانبي الحدود مرتبطين ترابطا وثيقا بالاواصر الاقتصادية والثقافية والعشائرية التقليدية . وهذا ما جعل القبائل لا تعير اهتماما للحدود ، وغالبا ما يستعين الاشخاص الرافضون لاحكام المحاكم في المنطقة «البريطانية» بالمراجع القضائية الاسلامية المتواجدة في الاراضي «العثمانية» ***** .

ولكنه رغم موقف السكان اليمانيين هذا من الحدود بين عدن واليمن ظلت سياسة الامبريالية البريطانية بعد رسم الحدود موجهة نحو تثبيت وتخليد تقسيم اليمن . وكشف رسم

---

* "Times of India", 19.01.1907.

** NAI, February, 1907. Delimitation ..., No 263, p. 4.

*** Ibid.

**** NAI, General Maitland's report ..., encl. to No 63, p. 8.

***** Jacob H. Kings of Arabia. London, 1923, p. 83.

الحدود من قبل بريطانيا والامبراطورية العثمانية عن ضعف نفوذ كلتا الدولتين فى اليمن . فحتى عام ١٩٠٥ غدا قسم كبير من شمال اليمن تحت سيطرة الائمة الزيدية الذين تزعموا النضال التحررى للشعب اليمنى ضد السيطرة العثمانية .

٢ . نضال الشعب اليمنى التحررى ضد العثمانيين فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين

يمكن تقسيم تاريخ السيطرة العثمانية فى اليمن فى القرن التاسع عشر ومطلع القرن العشرين الى ثلاث مراحل اساسية .

المرحلة الاولى (١٨٧٠-١٨٧٦) هى مرحلة الحكم المشترك العثمانى الزيدى فى شمال اليمن . فمع ان اليمن الشمالى كله كان يعتبر عثمانيا الا ان قسما كبيرا منه كان فى الواقع تحت سلطة الائمة الزيديين الذين كانوا يستلمون معونات كبيرة من العثمانيين ويساهمون مساهمة نشيطة فى حكم البلاد . وكان المستعمرون العثمانيون ينوون تعزيز سلطتهم فى شمال اليمن بواسطة الائمة الزيديين ، بل وبسط نفوذهم على اراضى جنوب اليمن وعمان حتى الخليج العربى .

وكان الائمة الزيديون بدورهم يأملون فى الاستفادة من التحالف مع العثمانيين لوقف النزاعات والحروب القبلية وتعزيز سلطتهم فى المناطق الجبلية من اليمن . الا ان تدهور وضع الامبراطورية العثمانية دوليا وداخليا فى اواخر سبعينات القرن التاسع عشر ، وكذلك مقاومة بريطانيا لمطامع الاستانة فى جنوب اليمن ارغما الباب العالى على تأجيل مخططات اخضاع الجنوب وابداء اهتمام خاص بتعزيز مواقعه فى شمال اليمن على الاقل . وبنتيجة هذا الانعطاف فى السياسة العثمانية فى اليمن ، وهو الانعطاف الذى يشكل المرحلة الثانية من السيطرة العثمانية على اليمن (١٨٧٧-١٨٩٠) انتهى الحكم المشترك بين السلطات العثمانية والائمة الزيديين . فقد نحت الادارة العثمانية الزيديين عن الحكم تدريجيا وشددت لدرجة كبيرة من استغلال السكان اليمنيين حيث فرضت عليهم ضرائب مرهقة

الات تجبى بالقوة فى الغالب . واثار تعسف السلطات العثمانية وجشعها ومصادرة الاغذية طول الوقت والتضييق على حريـــة القبائل سخط اليمنيين . وكانـــت مصادرة اراضى واملاك كبار الملاك العقاريين اليمنيين من قبل العثمانيين قـــد الحقت ضررا محسوســـا بالمصالح الاقتصاديـــة للفئـات المتنفذة فـــى ولايـــة اليمن وغيرت لدرجة كبيرة موقفهـــا من السلطـــات العثمانية .

وهكذا ادت سياسة النهب العثمانية الى تقوية سلطـــــة العثمانيين بعض الشيء فى شمال اليمن وزادت من مداخيلهم من جهة ، ومن جهة اخرى اثارت سخط كل فئات السكان اليمنييـــن ال الاستانة ، وسرعان ما هـــب هؤلاء السكان ضد السيطرة العثمانية . وكانت نضالاتهم فـــى بادىء الامر ذات طابع عرضى عفوى . ولكنه اعتبارا من عام ١٨٩١ بدأ عهد الحركة الوطنية التحررية اليمانية الشاملة (المرحلة الثالثة من السيطرة العثمانية فى اليمن) . وانتهت هذه المرحلة بحصول الامامة الزيدية التى غدت فيما بعد نواة لليمن المستقلة ، على الحكم الذاتى الفعلى فى عام ١٩٠٨ والقانونى فى عام ١٩١١ .

اندلعت الانتفاضة اليمنية الشاملـــة الاولى فى عام ١٨٩١ حيث بلغ السخط على السيطرة العثمانية اوجـــه . وفى هذه الفترة بالذات دعا امام الزيدية الجديد محمد بن يحيى حميـــد الدين رعاياه الى النضال ضد المحتلين . واستجابت لهذه الدعوة القبائل الزيدية وبعض القبائل الشافعية فى الجبل وتهامـــة فهبت حاملة السلاح ضد السيطرة العثمانية فى اليمن الشمالى . واحرز الثوار فى البدايـــة انتصارات كبيرة فحاصروا الحاميات العثمانية فى صنعاء وحجة وعمران ومدن اخرى . وفى ربيـــع ١٨٦١ بدات الانتفاضة ضد العثمانيين فى سنجق عسير التـــى كانت اداريا ضمن ولاية اليمن فـــى فترة السيطرة العثمانية . والحق ثوار عسير الذين ازداد عددهم بسرعـــة هزائم كبيرة بقوات الاحتلال العثمانية * .

ولم تلتزم بريطانيا اطلاقا بسياسة الحياد وعدم التدخـــل

NAI, February, 1892. Revolt in Yemen. No 256, 266. *

اثناء الانتفاضات ضد الاستانة . فقد حاول المستعمرون البريطانيون الاستفادة منها لتعزيز نفوذهم في شبه الجزيرة العربية واخذوا يزودون الثوار بالسلاح والعتاد ويستثيرون صدامات جديدة بين القوات العثمانية والقبائل العربية . الا ان الانجليز عندما ايدوا الكفاح التحررى فى ولاية اليمن كانوا فى الوقت ذاته يخشون من اتساع نطاق هذا الكفاح الذى يمكن ان يسير فى وجهة معادية لبريطانيا وينتقل الى محميات اليمن الجنوبى . وفى هذه الحالة كان من شأن السلاح البريطانى ان يصوب الى الانجليز انفسهم . وانطلاقا من تفضيل بقاء اليمن الشمالى تحت سيطرة الامبراطورية العثمانية الضعيفة وليس تحت سيطرة المانيا او فرنسا ، لم تكن لدى المستعمرين البريطانيين مصلحة فى تصفية الهيمنة العثمانية بالكامل فى عسير واليمن الشمالى . وهذا هو سبب موقف المستعمرين البريطانيين المزدوج من الحركة المناهضة للعثمانيين فى شبه جزيرة العرب . فمن جهة كانوا يزودون الثوار بالسلاح والعتاد ومن جهة اخرى يحاولون اعاقة اندماج النضالات المناهضة للعثمانيين فى حركة وطنية تحررية متلاحمة .

واعتبارا من ايلول (سبتمبر) ١٩٠١ اتسع نطاق الكفاح ضد العثمانيين فى شمال اليمن لدرجة تهدد بالخطر . ولم يتمكن العثمانيون من التضييق على الثوار وزحزحتهم الى صعدة وحجة الا بعد وصول امدادات كبيرة . ونكلت الحملات التأديبية العثمانية بالثوار فدمرت اثناء عمليات التهدئة حوالى ٣٠٠ قرية يمانية * . الا ان الحركة التحررية لم تخمد رغم التنكيل الوحشى .

وفى عام ١٩٠٢ اندلعت الانتفاضات المناهضة للعثمانيين من جديد فى عدد من مناطق اليمن الشمالى ، وكانت اشارة الى حلول مرحلة جديدة فى النضال التحررى للشعب اليمنى . ففى حزيران (يونيو) ١٩٠٣ ابلغ والى اليمن العثمانى الباب العالى فى مراسلاته السرية بان المتمردين استولوا على قسم كبير من البلاد . وبات العثمانيون يسيطرون فقط على بعض المدن الكبيرة فى شمال اليمن . وحقق النضال ضد العثمانيين نهوضا كبيرا فى عام

---

* Ingrams H. The Yemen . . . , p. 58.

١٩٠٤ ، بعد وفاة الامام محمد حميد الدين ومبايعة ابنه يحيى اماما جديدا للزيدية . وفى تلك الفترة كانت احوال سكان اليمن متدهورة للغاية ، لان الجفاف الذى استمر عدة سنين جعل البلاد تعانى من مجاعة رهيبة اودت بحياة اهالى قرى بكاملهـــا . ففى مناطق انس واب وتعز وحدها اودت المجاعة بحياة ٦٠ الف شخص فى السنوات الاولى من القرن العشرين * .

ولم تقدم السلطات العثمانية معونة تذكر للجياع ، مما شدد حقد الاهالى على المحتلين . وفى هذا الجو دعا الامام يحيى اليمنيين للجهـــاد ضد الطغيان العثمانى . فقد اتهم الامـــام يحيى العثمانيين السنة باضطهاد الشيعة فى اليمن وبمحاولـــة اضطهاد الزيدية فركز فى كل مطالبه على «احياء الشريعة الاسلامية» بوصفها اساس القضاء والعدالة فى شمال اليمن . وكان سبب هذه المطالب هو نية السلطات العثمانية فى تصفية نظام الحكم الزيدى واستبداله بالنظام المطبق فى الولايات الوسطى من الامبراطورية . وان مستحدثـــات الولاة العثمانيين الذين سعوا الى تنصيب رجالهم فى الجهاز الادارى القديم قد سددت ضربات محسوسة الى مصالح الاقطاعيين والموظفين وعلماء الدين اليمنيين . ولذا فان موقف يحيى الذى دعا الى حماية الشريعة قد رفع منزلته فى انظار عامة الناس وفى انظار الوجهـــاء والمشايخ بين السكان الزيديين الذين كانوا يشكلون اغلبية اليمنيين .

ولبى دعوة الامام يحيى ليس الزيديون فقط ، بل وبعض القبائل الشافعية التى كانت تعانى من جور المحتلين العثمانيين لا اقل من معاناة الزيديين . وكان تعاون هاتين الطائفتين المتعاديتين من زمان ينطوى على بواكير التلاحـــم الوطنى الذى بدأ آنذاك والذى اسفر عن تاسيس الدولة اليمنية المستقلة .

وجمع الامام يحيى قوى متطوعة كبيرة من القبائل وحرر اكبر مناطق الجبل من المحتلين العثمانيين وحاصر الحامية العثمانية الكبيرة فى العاصمة اليمنية صنعاء فى اواخر عام ١٩٠٤ . واستمر الحصار حوالى ستة اشهر وصد الزيديون كل محاولات فك الحصار ، وفى ١٢ نيسان (ابريل) ١٩٠٥ استسلمت الحامية العثمانية . ووقع

* عبد الوسيع بن يحيى الوسيع . تاريخ اليمن . . . ص ٣٠٠ .

العثمانيون المتواجدون فى صنعاء المحاصرة اتفاقية الهدنة مع الامام يحيى ، وبموجبها احتفظ العثمانيون بسيطرتهم فى منطقتى تعز واب وفى ساحل تهامة اليمنى فقط ، كما ذكر امين الريحانى * .

ودخل الامام يحيى صنعاء فى ٢١ نيسان وجرد الحامية العثمانية من سلاحها وجعلها تغادر المدينة ** . وسرعان ما اتضحت عواقب هذا الخطأ . فقد وصلت الى الحديدة فى ٧ تموز (يوليو) امدادات بقيادة فيضى باشا والتحقت بالقوات العثمانية المرابطة فى اليمن ، وخاضت القتال لتدخل صنعاء . وفى الاول من ايلول (سبتمبر) ازيح الزيديون من صنعاء وارغموا على التراجع الى الجبال . واثناء الانسحاب تظاهر الامام يحيى بان قواته فرت مذعورة ، وذلك ليستدرج قوات فيضى باشا ، وعددها خمسة واربعون الفا ، الى كمين . وعندما ابتعد العثمانيون عن قواعدهم التموينية قطع عليهم ١٥ الفا من الزيديين طريق الانسحاب ، وسددت قوات الامام يحيى الرئيسية (٥٠ الف شخص) الضربات من الجناحين . وبنتيجة المعركة التى ساهم فيها اكثر من ١٠٠ الف شخص فقد فيضى باشا ثلثى قواته وعاد الى صنعاء بشق الانفس *** .

وهكذا اخفقت محاولة الباب العالى لاخماد الانتفاضة اليمنية . وبات نفوذ الامام يحيى المتزايد يشكل خطرا كبيرا على مواقع الامبراطورية العثمانية فى شمال اليمن . فالى جانب الانتفاضة اليمنية فى عام ١٩٠٥ اتسع كثيرا نطاق الكفاح ضد العثمانيين فى البلقان والحجاز . وذلك كله ، اضافة الى الوضع الدولى المعقد ارغم الباب العالى على التفاوض مع الامام يحيى . وكان واقع اقتراح العثمانيين انفسهم على الامام يحيى الدخول فى مفاوضات يعنى انهم اعترفوا به عمليا بوصفه حاكما للمناطق الزيدية وكأنما هى دولة فى دولة .

وقد جرت المفاوضات بين مأمورى الباب العالى والامام يحيى ، ولكنها لم تضع حدا للنضالات ضد العثمانيين لانهم رفضوا

Rihani A. Arabian Peak and Desert. London, 1930, p. 113. *

Bremond E. Yemen et Saoudia. Paris, 1937, p. 72 a. **

Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 111. ***

مطالب الامام يحيى بالحكـــم الذاتى ليس فى المناطق الزيدية وحدها ، بل وفى بعض المناطق الشافعية (مثل سنجق تعز) * .

ومع ان الباب العالى رفض رسميا الاعتراف بالحكم الذاتى الزيديين ، فان الامام يحيى فى الواقـــع صار منذ عام ١٩٠٨ يسيطر على كل المناطق الزيدية الجبلية ويعين القضاة والفقهاء ليس فقط فى مدن وقرى اراضيه ، بل وفى بعض المناطق الواقعة تحت السيطرة العثمانية ** .

وبعد عام ١٩٠٨ قـــام لبعض الوقت صلح بين الزيديين والاتراك . وحدث ذلك لان حكومة تركيـا الفتاة التى استلمت السلطة فى اعقاب ثورة ١٩٠٨ فى تركيا قد اعلنت عن نيتها فى حل القضايا المتعلقة بولايات الامبراطورية العثمانية بالطرق السلمية ووفقا لمبادئ جديدة . وكان انصار تركيا الفتاة الذين يعبرون عن مصالـــح البرجوازيـــة التركية قد نادوا بتحويـــل الامبراطورية العثمانية الى دولة برجوازية دستورية واعلنوا فى بداية حكمهم عن تطبيق مبدأ الحكـم الذاتى السياسى للولايات العثمانية .

وانتهز الامام يحيى فرصة الهدوء فى القتال فركز جهوده على تعزيز جيشه ولذا بدأ يقيم اتصالات مع بريطانيا على امل الحصول منها على السلاح والعتاد *** .

الا ان الانجليز الذين كانوا قبل ذلك يؤيدون بنشاط كل حركة مناهضة للعثمانيين قد التزموا جانب الحذر ازاء طلبـات الامام يحيى ، لانهم كانوا يخشون استمرار تعزز جنده . زد على ذلك ان المستعمرين البريطانيين سعوا الى تحديد نفوذه واخذوا يفكرون فى ايجاد قوة يمكنهم استخدامها لمواجهة امام الزيدية . فان من مصلحة بريطانيا ان تبقى الجزيرة العربية موزعة على مشيخات صغيرة متعادية ولا تتحول الى دولة مركزية قوية . وفيما بعد لعب دور قوة المواجهة او الموازنة زعيم الحركة الصوفية الادريسية محمد بن على الادريسى .

---

* Ingrams H. The Yemen. . . p. 61.

** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ص ٧٤ .

*** Gavin R. J. Aden under British Rule . . . , p. 239

وتتميز قصة الادارسة بالاصالة وتثير الاهتمام . تعود بداية آل الادريسى الى احمد الادريسى الذى ينتسب الى احفاد النبى ، وقد هاجر فى عام ١٧٩٩ من فاس المغربية الى مكة حيث اخذ يبشر بتعاليمه فى المدرسة الدينية التى اسسها . وبعد زيارة لاحدى اشهر المدارس الدينية فى اليمن بمدينة زبيد عام ١٨٢٩ توقف احمد الادريسى بمدينة الصبية فى عسير ، فاستقر فيها ونقل عائلته من مكة . وذاع صيت الادريسى بسرعة فى الصبية وازداد عدد اتباعه فتشكل منهم مذهب جديد اطلق عليه اسم مؤسسه «الاحمدية» . وفى عام ١٨٣٧ توفى احمد الادريسى وهو فى السبعين ، وغدا ضريحه مزارا لاتباعه . وصار آل الادريسى بالتدريج من اكثر المتنفذين فى الصبية ثم فى جنوب عسير حيث تسلموا السلطة الدنيوية فضلا عن الدينية . وبعد الاحتلال المصرى القصير الذى انتهى فى عام ١٨٤١ نشب بين الادارسة الذين حكموا الصبية واشراف مدينة ابو عريش نزاع من اجل السيطرة على جنوب عسير . وانتصر الادارسة واتسع نفوذهم كثيرا بعد ان شمل ابو عريش . وكان فى مقدمة منافسى الادارسة على السلطة فى عسير شيوخ عايض الذين كانوا يحكمون المنطقة الجبلية الشمالية من عسير وهم فى مركزهم بمدينة ابها (١٢٠ كيلومترا عن الصبية) . وفى الفترة ١٨٤٩-١٨٧١ استولى العثمانيون مجددا على عسير كلها ، بما فى ذلك ابها والصبية وابو عريش وتهامة الساحلية ، وحولوها الى سنجق ضمن ولاية اليمن . واقامت عايض علاقات ودية مع السلطات العثمانية فعين زعيم هذه العشيرة حسن بن على معاونا للمتصرف العثمانى حاكم عسير . وخلافا لعايض لم يسكت الادريسيون على السيطرة العثمانية فانتفضوا ضد المحتلين مرارا . وزاد ذلك من هيبة حكام الصبية وقوى نفوذهم بين اهالى عسير . وفى مطلع القرن العشرين تزعم الادارسة محمد بن على الادريسى حفيد ابن مؤسس «الاحمدية» . ولد محمد بن على فى ١٨٧٦ بمدينة الصبية . وفى عام ١٨٩٦ انتقل الى مصر حيث تلقى العلم فى الازهر ثم واصل الدراسة عند السنوسيين فى ليبيا . وعاد محمد بن على الى الصبية بعد وفاة والده فى ١٩٠٨ وغدا زعيما للادارسة وامسك بمقاليد السلطة الدينية والدنيوية . وكان سياسيا فطينا وقديرا . ففى بعض

الحالات كان يستعمل الشدة ، وفى بعضها الآخر يتوسط فى النزاعات والحروب القبلية التى كانت تنهش عسير ، حتى تمكن من تصفية الخلافات القبلية بالتدريج وبسط نفوذه على اكبر قبائل عسير .

وفى عام ١٩٠٩ استنهض اهالى عسير للنضال ضد السيطرة التركية وركز جهوده على تشكيل جيش قوى انخرط فى صفوفه آلاف المتطوعين . وكما هو حال الامام يحيى اضطلع الادارسة ، ليعززوا مكانتهم ويرفعوا هيبتهم ، بدور المدافعين عن الاسلام الحقيقى ودعوا الى احياء الشريعة .

وتجدر الاشارة الى ان الكاتب العربى المعروف امين الريحانى يقول فى معرض تقييمه لاعمال الادارسة ان تركز السلطة الدينية والدنيوية فى يد محمد الادريسى كان موضع قوة من ناحية ونقطة ضعف من ناحية اخرى ، لان القداسة ، فى رأى الريحانى ، لا يمكن ان تواكب العرش طول الوقت * . اما نحن فنعتقد بان تركز السلطتين فى يد محمد بن على قد ساعد لدرجة كبيرة ، فى ظروف عسير ، على تقوية نفوذه السياسى مع ان الامام يحيى كان يعتبره «غريبا» وكان الاتراك والانجليز ينعتونه «بالصعلوك» ، بينما وصفه الحسين شريف مكة (وملك الحجاز فيما بعد) بالدعى الذى حط فى ارض لا يحكمها احد ** .

الا ان نجاح الادريسى فى بادئ الامر لا يعود فقط الى اقتران السلطتين الدينية والدنيوية . فمن الاسباب الهامة ظهوره فى عسير فى لحظة حرجة بلغ فيها سخط اهالى المنطقة على جور المحتلين العثمانيين اوجه وما كانت هبة الاهالى ضد النير الاجنبى تحتاج لاكثر من دفعة صغيرة .

حتى عام ١٩١٠ عززت حكومة تركيا الفتاة مواقعها وواصلت سياسة سابقيها الاستعمارية وشددت استغلال ولايات

---

* Rihani A. Around the Coasts of Arabia. London, 1930, p. 168.

** See: Jacob H. Kings of Arabia ..., p. 114; Busch B. Britain, India and the Arabs..., p. 234; Rihani A. Arabian Peak and Desert ..., pp. 234, 241; Survey of international affairs, 1925, vol. 1, p. 288.

الامبراطورية العثمانية . وكان هذا التبدل فى السياسة التركية قد وضع حدا للهدنة الموقتة واستثار موجة جديدة من حركة التحرر الوطنى فى عسير واليمن . ولذا تستبعد الموافقة على رأى بعض المؤرخين القائل بان اشتداد النير التركى وما اعقبه من نهوض النضال التحررى يعودان فقط الى تنحية الوالى «الطيب القلب» فى اليمن عام ١٩١٠ واستبداله بآخر اكثر قساوة منه * .

وفى تشرين الاول (نوفمبر) ١٩١٠ تمكن الادارسة من طرد الاتراك من جميع اراضى عسير تقريبا ، ما عدا مدينة ابها التى حاصرتها قوات الادارسة بقيادة مصطفى الادريسى عم محمد بن على . وبعد حصار دام عدة شهور استسلمت الحامية العثمانية فى ابها ودخل الادارسة هذا المركز الادارى فى عسير . واخذ الادارسة يشكلون فى الاراضى المحررة جهازا لجباية الضرائب وافتتحوا فى موانئ عسير دوائر الجمارك ، علما بانهم فرضوا ضرائب اقل من الضرائب المحددة من قبل الاتراك . وادى ذلك الى تنشيط التجارة الخارجية فى عسير وساعد على ازدياد هيبة محمد الادريسى وازدياد مداخيله ايضا .

وفى نفس وقت الانتفاضة فى عسير تقريبا اشتد الكفاح ضد الاتراك فى اليمن الشمالى . فالمتطوعة الزيديون طردوا الاتراك من قسم كبير من الجبل فى مطلع عام ١٩١١ وحاصروا العاصمة اليمنية صنعاء . وفى البداية كان الامام يحيى يقيم علاقات تحالف مع الادريسى زعيم الانتفاضة فى عسير لوجود عدو مشترك وللنفع الذى يعود به التحالف على كلا الطرفين لان كل طرف يشاغل قسما من القوات العثمانية . ولكن الاختلاف سرعان ما ظهر فى التوجه السياسى للحليفين . فمع ان الزيديين كانوا يحاولون الحصول على السلاح والعتاد من بريطانيا الا انهم يعارضون تدخل دول اوربا الغربية فى شؤون اليمن ، وكان برنامج الحد الادنى بالنسبة لهم هو الحكم الذاتى فى اطار الامبراطورية العثمانية . اما الادارسة فقد اتصلوا بايطاليا واولوا

* See: Ingrams H. The Yemen. p. 61; Faroughi A. Introducing Yemen. New York, 1947, p. 35; Wenner M. Modern Yemen. 1918 — 1966. Baltimore, 1967, p. 46.

اهمية كبيرة فى سياستهم لتعزيز الروابط مع الدول الغربية .

وكان هذا الاختلاف نتيجة للتناقضات القديمة بين سكان الجبل الزيديين والسكان الشافعيين فى تهامة (بجزئيها فى اليمن وعسير) . واساس هذه التناقضات التى اتخذت شكل الخلافات الطائفية هو الفوارق فى الحاجات الاقتصادية الناجمة عن اختلاف الظروف الجغرافية فى اراضى الجبل الخصبة وامطاره الوفيرة ، وفى ساحل تهامة شبه الصحراوى . ولئن كان الاقتصاد العينى هو السائد فى الجبل ، وسكانه يلبون حاجاتهم بالكامل تقريبا ، ما عدا بعض السلع الصناعية ، فان اهالى تهامة الذين يفتقرون الى الاراضى الخصبة ما كان بوسعهم ان يؤمنوا لانفسهم الاغذية الضرورية . وهذا هو السبب فى رغبة اهالى الساحل ، بمن فيهم الادارسة ، فى تطوير التجارة مع الدول الاخرى واقامة صلات وثيقة معها .

كان الزيديون ، بزعامة الامام يحيى ، يرغبون فى ادارة مستقلة للمناطق الزيدية وغير الزيدية والانفراد فى استحصال المداخيل عن طريق مختلف الضرائب . الا ان الادارسة كانوا يعيقون ذلك ويحاولون بسط نفوذهم على المناطق الداخلية لولاية اليمن فضلا عن ساحل البحر الاحمر . وبنتيجة ذلك اخذ الادارسة يتحولون تدريجيا الى خصوم للزيديين بعد ان كانوا حلفاء لهم .

ولم تكن لدى بريطانيا ولا تركيا مصلحة فى تقوية الادريسى وفى التقارب بينه وبين الامام يحيى . وبذلت الاوساط الحاكمة البريطانية والعثمانية قصارى جهدها لتدق اسفينا بين الزعيمين العربيين عن طريق مأموريها امثال سلطان لحج وشريف مكة * .

وحاول الشريف حسين وسلطان لحج فى مكاتباتهما مع الامام يحيى ان يقنعاه بضرورة عقد الصلح مع العثمانيين ، وقد حذراه من ان الباب العالى ارسل الى اليمن قوات كبيرة يمكن ان تدحر

---

* كان حاكم امارة لحج فى جنوب اليمن مجرد صنيعة لبريطانيا ووسيلة لتطبيق سياستها فى جنوب الجزيرة . اما شريف مكة الحسين فلم يكن راغبا فى دور صنيعة العثمانيين . كان يحلم بان يحكم شخصيا دولة عربية مستقلة تشمل اراضيها ليس الحجاز وحده بل وكذلك المناطق الشاسعة المتاخمة له فى شبه الجزيرة العربية .

الزيديين * . وسرعان ما وصلت الى الحديدة فعلا قوات عثمانية بقيادة عزت باشا ، وزحفت صوب صنعاء وفكت حصارها فى نيسان (ابريل) ١٩١١ بعد ان استمر ثلاثة اشهر .

واضطر الزيديون الى الانسحاب من جديد ، وفى هذا الوضع قرر الامام يحيى وقف الكفاح المسلح ضد تركيا وتوقيع الصلح معها . ولعب دورا كبيرا فى اتخاذ هذا القرار واقع ان النفوذ الدينى لمحمد الادريسى اخذ يجتاز حدود جنوب عسير ويشمل بعض القبائل المقيمة على مقربة من صعدة التى هى القلعة التقليدية للائمة الزيديـــة . واثار ذلك قلق الامـــام يحيى ، فرأى فى التعاون مع تركيا التى بقيت لها فى اليمن سلطة اسميـــة فقط مصلحة اكبر مما فى التعاون مع منافس قوى تؤيده ايطاليا فى تلك الفترة .

كانت تركيا على عتبة الدخول فى حرب ضد ايطاليا التى اخذت تستعد علنا فى ربيع عام ١٩١١ لغزو طرابلس الغرب وبرقة ولذا كانت لتركيا ايضا مصلحة فى الصلح مـــع الامام يحيى . وشغلت الحرب ضد الزيديين قوات عثمانية كبيرة كانت تتكبد هى الاخرى خسائر جسيمـــة ، حتى صار اليمن ينعت «بمقبـــرة الاتراك» ** .

وعندما ادرك الباب العالى عدم جدوى الاستمرار فى محاولات اخضاع القبائل الزيدية المتمردة بادر بمفاتحة الامام يحيى بتوقيع اتفاقية الصلح . وبنتيجة المفاوضات التى بدأت فى ايار (مايو) ١٩١١ تم فى خريف ذلك العام بقرية دعان على مقربة من عمران توقيع الاتفاقية التى دخلت تاريـــخ اليمن باسم اتفاقية صلح «دعان» *** .

ومنحت الاتفاقية الامام يحيى حق تعيين الحكام الشرعيين فى المناطق الزيدية واستلام الهبـــات من الزيديين وانتخاب اعضاء محكمة الاستئناف فى صنعاء والاشراف على الاوقاف . كما اشارت الاتفاقية الى جواز قيام الامام بالابانة والشكوى للسلطات التركية

---

* Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 117-118.

** شرف الدين . اليمن عبر التاريخ . . . ، ص ٢٧٠ .

*** Philby H. Arabia. London, 1930, p. 212.

فى اساءة المأمورين والزمت الامام بدفع العشر الى الباب العالى . واعلن فى اليمن عفو عن السجناء السياسيين والغيت الضرائب المتأخرة المستحقة وفرضت الزكاة وفق احكام الشريعة . وتهيأت لرعايا كلا الطرفين حرية التنقل فى البلد * .

ومع ان الاتفاقية اعترفت رسميا بسلطة الامام الدينية فقط فى المناطق الزيديـــة فقد منحته فى الواقـــع بعض السلطات الاداريـــة ، وذلك لان الحكام الشرعيين ومدراء الاوقاف الذين يعينهم الامام يشرفون ، بالاضافة الى القضايا الدينية الصرف ، على كثير من المسائل المتعلقـــة بالحكم فى المناطق الزيدية . واحتفظت تركيا فقط بالسيادة الرسمية على مناطق الجبل الزيدية وبحق شكلى فقط لتوجيه الصلات السياسيـــة الخارجية لتلك المناطق . ومع ان الامام يحيى اعترف بانه تابع للسلطان العثمانى (وصار يتلقى معونة مالية مقابل ذلك ، مثل شيوخ عدد من اكبر القبائل اليمنية) لكنه كان يقيم بصورة مستقلة اتصالات مع الدول الاجنبية حتى بدون ان يبلغ الباب العالى بها ** . وبعد توقيع اتفاقية صلح «دعان» تقلص عدد القوات العثمانية فى اليمن ، ورابط المتبقى منهـــا فى صنعاء وبعض المناطق الشافعيـــة فقط *** .

تعتبر اتفاقية «دعان» من اهم المعالم فى تاريـــخ اليمن . فقد وضعت ، بالاساس ، حدا للحرب الدمويـــة بين اليمنيين والعثمانيين ، ومع ان كلمتى «الحكم الذاتى» لم تردا فيها فقد اكدت فى الواقع على حق الامام الزيدى بهذا الحكـــم فى اطار الامبراطورية العثمانية .

وادى وقف العمليات الحربية ضد الاتراك من قبل الامام يحيى فى ايار (مايو) ١٩١١ الى القطيعة التامة بينه وبين محمد بن على الادريسى . فردا على المفاوضات الانفرادية التى اجراها الامام مع تركيا شدد الادريسى عملياته الحربية التى اتجه نصلها هذه المرة ليس ضد العثمانين فقط ، بل وضد المتطوعة الزيدية **** .

---

* شرف الدين . اليمن عبر التاريخ . . . ، ص ٢٧٠-٢٧١ .

** Rihani A. Arabian Peak and Desert . . . , p. 114.

*** Faroughi A. Introducing Yemen . . . , p. 55.

**** Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 121.

واصدر الامام يحيى بدوره امرا الى قائد القوات الزيدية فى صعدة بالاستعداد لمقاتلة الادارسة ، وارسل له امدادات سرعان ما لحقت بها كتيبة عثمانيـــة بقيادة علي روحى . وصار خصوم الامس يتعاونون فى محاربة الادارسة . وبعد ان التقت القوات العثمانية والزيدية فى صعدة ازاحت الادارسة من منطقة الجبل الزيدية واستولت على كمية كبيرة من السلاح والعتاد الايطالى . وقاتل الادريسيين ايضا الحسين شريف مكة الذى طلب منه الباب العالى المعونة . فجمع الشريف حسين متطوعة من قبائل الحجاز على جناح السرعة وزحف فى اتجاه ابها وصد مقاومـــة الادارسة واحتل عاصمة عسير فى تموز (يوليو) ١٩١١ * .

ولم يصمد الادارسة فى وجه قوات تركيا والحجاز والامام يحيى . فقد تكبدوا خسائر جسيمة بعد ان احاط بهم طوق كثيف من تلك القوات الموحدة . ومما زاد فى تعاستهم تفشى وبـــاء الهيضة الذى اودى بحياة الآلاف من افراد القوات الادريسية * * . واضطر الادارسة على الانسحاب الى مناطق عسير الجبلية وترك مواقعهم على ساحل البحر الاحمر . وعندما فقدوا الساحل حرموا من امكانية الحصول على السلاح والعتاد الذى كان يصلهـم من ميناء مصوّع فى اريتريا .

وعندما استرجع العثمانيون القسم الاكبر من الاراضى التى كانت تحت سيطرة الادارسة استولوا على كمية هائلة من السلاح الايطالى واستعدوا لتسديد الضربة النهائية الى الادريسي . الا ان الحرب الايطالية العثمانية التى اندلعت فى ٢٩ ايلول (سبتمبر) ١٩١١ انقذت الادارسة من الهزيمة الماحقة .

كان التقارب بين الادريسى وايطاليـــا ، ناهيك عن تحالفه معها ، يتعارض ومصالح الباب العالى والامام يحيى على حد سواء . ولذا بذلت الدبلوماسية العثمانية قصارى جهدها لشل الادريسى وحاولت ان تغازل «مشاعره الاسلامية» لتوجيهه فيمـا بعد ضد «الطليان الكفرة» . وبعد اسبوعين من اعلان ايطاليا الحرب على تركيا ، بعث والى عسير العثمانى سليمان باشا فى ١٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١١ رسالة الى محمد الادريسى دعاه فيها الى

* Philby H. Arabia . . . , p. 218.

* * سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ١٨٦ .

محاربة «اعداء الاسلام» واقترح ارسال وفد لتنسيق العمليات المشتركة * . واستجاب الادريسى لهذه الدعوة رأسا ، فهو لا يزال يأمل فى توقيع الصلح مع الباب العالى وبلوغ الحكم الذاتى ، واعرب عن استعداده للتحالف مع الباب العالى ومحاربة الطليان .

بدا الامر وكأن الحرب الايطالية العثمانية تساعد على توثيق الارتباط بين تركيا والادريسى واقامة علاقات ودية بينهما . فقد كانت لمحمد بن على آنذاك مصلحة فى التصالح مع الباب العالى ، لان القوات الادريسية استنزفت ويمكن ان يسفر الاستمرار فى الحرب عن هزيمتها الماحقة الا ان تركيا كانت تلتزم بموقف مغاير . فهى لا تنوى السكوت على وجود امارة الادارسة . وكانت كل «محاولات» الدبلوماسية العثمانية للتحالف مع الادريسى تلزمها لمجرد ان تكسب الوقت وتؤجل الى ابعد حد ممكن عقد تحالف عسكرى بين ايطاليا والادارسة . وعندما ادرك الادريسى نوايا الباب العالى قرر نهائيا ان يواصل التقارب مع ايطاليا ، فانتهز فرصة وصول السفن الحربية الايطالية الى ميناء جيزان فى عسير واتفق مع الطليان بخصوص العمليات الحربية ضد الاتراك وطلب فى مقابل ذلك معونة عسكرية ومالية .

وكان التحالف الايطالى الادريسى نافعا لكلا الطرفين . فالادارسة الذين كانوا على شفا الهزيمة الماحقة رأوا فى التحالف مع ايطاليا الملاذ الوحيد . اما ايطاليا فمن مصلحتها وجود حليف فى شبه الجزيرة العربية يمكن ان يشاغل قوات كبيرة للعدو .

وحاول الدبلوماسيون الايطاليون ، عن طريق سلطان لحج ، ان يجتذبوا الامام يحيى ايضا الا انه رد عليهم برفض قاطع ** . واستنكر امام الزيدية عدوان الطليان حتى انه اعلن عن استعداده لمساعدة الاتراك بارسال مائة الف من جنده الى شمال افريقيا . بديهى ان نية الامام فى تقديم مثل هذه المساعدة الحربية الكبيرة لتركيا امر مشكوك فيه . فان تصريحه ، فى اغلب الظن ، يتسم

---

* سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ١٨٦ .

** Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 128; Faroughi A. Introducing Yemen . . . , p. 57.

بطابع دعائى ويهدف الى تبيـــان تمسك الامام بمبادئ النخوة الاسلامية .

ومع ان مشكلة الخلاف فى الحرب الايطالية العثمانيـة هى طرابلس الغرب وبرقة ، حيث نشبت العمليات الحربية الرئيسية ، فقد حاصر الاسطول الايطالى السواحل اليمنية وقصف شيخ سعيد والحديدة ولحيا والصليف وميدى بحجـــة الدفاع عـــن اريتريا المستعمرة الايطالية فى شرق افريقيا * . وفى الوقت ذاته باشرت القوات الادريسية عملياتها الحربية ضد الاتراك من البر . وقد ازدادت قدرة الادارسة الحربية بعد ان احتلوا مرفأ جيزان الذى تركه الاتراك وغنموا كمية كبيرة من السلاح والذخيرة . وبالاضافة الى ذلك اخذت ايطاليا تقدم الى الادارسة مساعدات مالية وعسكرية بارسال السلاح والذخيرة وبالدعم البحرى من السفن الحربيـــة الايطالية ، وذلك بغية تأمين مستلزمات العمليات الحربية ضد العثمانيين فى حوض البحر الاحمر .

وقررت تركيا ان تنتقم من حليف ايطاليا الجديد . ففى عام ١٩١٢ زجت ضد الادارسة بقوات عثمانية حجازية بقيادة فيصل ابن الشريف حسين ورتلين من القوات العثمانية تحركا من صنعاء ولحيا . الا ان الادارسة ، رغم انسحابهم الجزئى فى الاتجاهين الشمالى والغربى ، تمكنوا ، بدعم من الاسطول الايطالى الذى قصف الحاميات العثمانية فى لحيا وميدى وموانىء البحر الاحمر الاخرى ، من ان يدافعو عن مواقعهم فى الجنوب ، بل ويتقدموا الى الامام ، حيث استولـــوا على جزر فرسان وعلى حزام ساحلى عريض يشمل مدينتى ميدى وحرض ** .

وفى سياق الحرب الايطالية التركية استولى الادريسيون على كميات كبيرة من البنادق وحوالى ٥٠ مدفعا . وتعززت المدفعية الساحلية فى موانىء الادريسيين بـ٢٠ مدفعا بعيدة المدى (١٢-١٤ كيلومترا) انتزعت من سفن الحراسة العثمانية . (بالنسبة

---

* Bury G. W. Arabia Infelix or the Turks in the Yemen. London, 1915, p. 17; Scott T. In the High Yemen. London, 1947, p. 231.

** Bury G. W. Arabia Infelix . . . , p. 35.

للجزيرة آنذاك كان لدى الادريسى تسليـــع قوى للغايـة) .
وبالاضافة الى اسلحة الغنيمة استخدم الادريسى المدفعيين الاتراك
من الاسرى فى تدريب العرب على المدفعية * .

وبعد ان ربحت ايطاليا الحرب فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ وحولت طرابلس الغرب وبرقة الى مستعمرة ايطالية ، اوقفت العمليات الحربية فى البحر الاحمر وتركت حليفها الادريسى يواجه من جديد القوات العثمانيـــة ومتطوعة الامـــام يحيى والشريف حسين . وحرم الادريسى من الحماية الايطالية القوية ، الا انه ، رغم تأثر موقفه بسبب ذلك ، لم يلق السلاح وظل يقاتل .

وكانت احوال تركيا نفسهـــا ليست اقل تعقيدا من حال الادريسى . فعلى اثر الحرب الايطالية التركية فـى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٢ اندلعت الحرب التحررية فى دول البلقان (الصرب وبلغاريا واليونان والجبل الاسود) ضد السيطرة العثمانية . وتكبدت القوات العثمانية خسائر جسيمة وانسحبت على عجل تحت ضغط جيوش بلدان البلقان. وفى هـــذا الموقف العصيب قرر الباب العالى توقيع الصلح مع الادريسى ، وفى ايار (مايو) ١٩١٣ عرض عليه معونة مالية شهرية بشرط ان يوقف العمليات الحربية ضد الاتراك ويمتنع عن اى تحالف مع الدول الاجنبية . وكانت شروط الصلح والتحالف التى اقترحتها تركيا مماثلة بالاساس للشروط التى قبل بها الامام يحيى فى عام ١٩١١ ** .

ولكن لئن كانت هذه الشروط فى عام ١٩١١ مقبولـة لدى الادريسى ، فبعد عامين من ذلك ما كان بوسعه ان يقبل بها لان الموقف تغير آنذاك لصالحه . وطرح الادريسى من جانبه شروطا لم يقدم على طرحها حتى الامـام يحيى الاكثر نفوذا . فقد طالب بالحكم الذاتى التام فى اطار الامبراطورية العثمانية وعدم تدخل الاتراك فى الشؤون الداخلية لامارة الادريسى وحق تشكيل قوات مسلحة خاصة به وافتتاح دوائر الجمارك فى موانىء عسير وتوقيع العقود التجارية مع الدول الاجنبية ومنحها الامتيازات *** .

* سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ١٩١ .

** NAI, 1913. Return to Hodeidah of the Ottoman mission to Sayed Idrisi. pp. 1-3.

*** Ibid.

وكان تنفيذ هذه المطالب يعنى فى الواقع انه لا يبقى للباب العالى سوى السيادة الشكلية على عسير . بديهى ان تركيا رفضت شروط الادريسى ووافقت فقط على ان يكـون قائمقاما فى قضاء الصبية وابو عريش * .

وهكذا اخفقت محاولة الدبلوماسية العثمانية للصلح مـع الادارسة ، وظل الطرفان المتعاديان فى حالة حرب ، لكن صدامات حربية كبيرة لم تحدث بينهما .

فما هى حصيلة الكفاح التحررى فى ولاية اليمن قبيل اندلاع الحرب العالمية الاولى ؟ كانت النتيجة الاساسية هى حصول الامامة الزيدية على الحكم الذاتى وقيام العلاقات الودية بين الامام يحيى والسلطات العثمانية . وفـــى جنوب عسير ، فى سياق النضال المرير الذى تزعمه محمد بن على الادريسى ضد العثمانيين ، نشأت نواة امارة الادريسيين المرتقبة التى قاومتهـا تركيا والشريف حسين والامام يحيى .

كان حصول امامة الزيدية على الحكم الذاتى فى عام ١٩١١ مرحلة هامة على طريق توحيد القبائل المتنازعة سابقا وتأسيس الدولة اليمنية المستقلة . وكانت الاتجاهات الموضوعية للتطور الاقتصادى فى اليمن تؤدى الى توحيد المشيخـــات والامــارات الصغيرة فى دولة مركزية موحدة . وكلمـــا ضعفت مواقـــع الامبراطورية العثمانية فى اليمن اشتد الصراع بين مختلف ممثلى التكتلات الاقطاعية من اجل السلطة . الا ان الامام يحيى هو الذى كان قادراً على ان يؤدى مهمة توحيد اليمن . وكان منافسه الرئيسى فى هذا المجال هو محمد الادريسى الذى غدا الصراع معه جزءا من النضال فى سبيل توحيد اليمن فى ظل حكم الزيديين .

٣ . الجزيرة العربية فى الحرب العالمية الاولى

عندما اندلعت الحرب العالمية الاولى ساد ولاية اليمن هدوء نسبى . فالامام يحيى كان يتمتع بالحكم الذاتى الكامل ويستلم

---

* وهبة حافظ . جزيرة العرب فى القرن العشرين . القاهرة ، ١٩٥٦ ، ص ٤٣ .

مع شيوخ قبيلتي حاشد وبكيل معونات مالية شهرية كبيرة يقدمها الباب العالي مقابل الولاء للسلطات العثمانية * . واضطر الادريسيون ، بعد ان فقدوا تأييد ايطاليا لهم ، ان يوقفوا مؤقتا العمليات الحربية ضد العثمانيين وينتظروا اللحظة المناسبة لانتفاضة جديدة . وظل حكام ابها على علاقاتهم الودية مع السلطات العثمانية . وهيأ هذا الوضع الامكانية لتركيا كي تقلص عدد قواتها في شمال اليمن الى ٥ آلاف جندي * * .

وفي ٢٩ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٤ دخلت الامبراطورية العثمانية الى جانب الكتلة النمساوية الالمانية الحرب العالمية التي لقيت حتفها فيها وتورطت فيها كل الولايات العربية ، بما فيها اليمن .

وكان كبار حكام تركيا يسعون الى الغزو معتبرينه السبيل الوحيد لانقاذ الامبراطورية المتداعية ، والحفاظ على سلطتهم المتزعزعة في الولايات العربية . وكانت الخطة الاستراتيجية الالمانية العثمانية المغامرة تماما لخوض الحرب ، تنص على الاستيلاء على قناة السويس ومصر وعدن وسيطرة بلدان الحلف الثلاثي على ثغر البحر الاحمر بالاضافة الى غزو ما وراء القفقاس فالقفقاس واسفل الفولغا والقرم وتركستان .

وغدا الشرق الادنى الذي تشابكت فيه مصالح الدول الاستعمارية واحدا من الاهداف الرئيسية لسياسة الغزو التي انتهجتها الكتلتان المتحاربتان .

وسعت الامبريالية البريطانية بالدرجة الاولى الى الاستيلاء على وادي الرافدين وفلسطين ، كما ادعت فرنسا بملكية سورية وقيليقيا . وفي مسرح العمليات الحربية في الشرق الادنى نشبت المعارك الاساسية في اراضي شبه جزيرة سيناء ووادي الرافدين والحجاز وفلسطين وشرق الاردن . وحتى نهاية عام ١٩١٤ استولى الانجليز على القسم الجنوبي من وادي الرافدين ، وفي بداية عام ١٩١٥ صدوا بنجاح كل هجمات الاتراك على قناة السويس .

وانشغلت قوات كبيرة في معارك ضارية في وادي الرافدين

---

* Rihani A. Arabian Peak and Desert . . . , p. 114.

* * سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ٢٥٣ .

وشبه جزيرة سيناء ، ولذا لم تتمكن بريطانيا وتركيا من تعزيز قواتهما بقدر يذكر فى جنوب الجزيرة . فقد زيد عدد القـوات العثمانيـــة فى ولاية اليمن الى ١٥ الف جندى فقط * . ورغم تعزيز حامية عدن فقد كان عدد افرادها اقل من القوات العثمانية المرابطة فى شمال اليمن . وقرر الطرفان المتحاربان ان يتقاتلا فى اليمن بالقوات العربية المحلية على الاكثر . ودعا علماء الدين العثمانيون الشعوب الاسلامية الى الجهاد فى سبيل تحرير بلدانها من الكفار . الا ان هذه الدعوة لم تحظ فى اليمن ، كما فى سائر الاقطار العربية ، باستجابة متحمسة من جانب المسلمين . وفى سنجق تعز فقط تطوع البعض الى الجيش العثمانى . وقد اعلن الامام يحيى الحياد ، بينما اعلن الادريسى الانتفاضة على الاتراك مجددا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٤ .

وبذلت الدبلوماسية البريطانية بدورها عدة محاولات لتشكيل ائتلاف مناهض للاتراك من جانب الحكام العرب . ففى ٢٠ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٤ اعلن شيخ الكويت وشيخ المحمرة بانهما «حليفان للانجليز» مع انهما لم يشاركا مشاركة نشيطة فى الحرب ضد العثمانيين ولم يؤثرا باى حال فى سير العمليات الحربية . واحرزت الدبلوماسية البريطانية اكبر النجاح فى المفاوضات مع ممثلى العائلة الهاشمية فى الحجاز . فبعـد اخذ ورد وافقوا على دخول الحرب الى جانب بريطانيا .

وبدا وكأن اول نجاح للانجليز فى اليمن هو توقيع اتفاقية فى ١٩ شباط (فبراير) ١٩١٥ مع الشيخ محمد ناصر مقبل الذى كان قد التزم جانب الاتراك فى النزاع الانكلوعثمانى عام ١٩٠٠ . ومنحت بريطانيا الشيخ مقبل ٧٥ الف روبيه مقابل «طرد الاتراك وحلفائهم ، سواء الشافعيين او الزيديين ، من لواء تعز» وضمنت له الاعتراف بسلطته واستقلاله فى اطار هذه المقاطعة ووعدته بالحمايـــة لممتلكاته المرتقبـــة من عدوان الدول الغربيـــة والعثمانيين ** . ويعنى هذا القرار ان الانجليز كسبوا حليفا

---

* Rihani A. Around the Coasts of Arabia . . . , p. 338.

** NAI, 1915. Situation in the Aden Hinterland, Yemen and the Red Sea. No 105.

جديدا بل وفرضوا سيطرتهم على واحدة من اكثر مقاطعات اليمن خصوبة بعـــد ان كانت ، وفق مقررات اللجنــة الحدوديــة الانكلوعثمانية ، خارج منطقة النفوذ البريطانى . وفى بادئ الامر كانت السلطات الاستعمارية البريطانية تنوى ارسال قوات الى الضالع لدعم «حليفها» الشيخ مقبل ، الا انها صرفت النظر عن هذه العملية منذ آيار (مايو) ١٩١٥ . وعندما اعلن نائب ملك الهند عن هذا القـــرار صرح «بان مكانة بريطانيـــا تتوقف على الانتصار فى مسارح الحرب الاساسيــة ، وليس على التظاهرات الموضعية» * . ولم يحصل الشيخ مقبل على دعم الانجليز ففر مع اخوانـــه الى الجنوب والتحق قسم من متطوعته (٨٠٠ شخص) بالقوات العثمانية التى استولت على الضالـــع فى ايار (مايو) ١٩١٥ * * .

وفـــى نفس وقت المفاوضات مـــع الشيخ مقبـــل اجرى الدبلوماسيون الانجليز مفاوضات مع الادريسيين الذين باشروا آنذاك بعمليات حربية مستقلة ضد العثمانيين . ووافق الادريسى على الدخول فى تحالف مع بريطانيا حتى انه تقدم بخطته الخاصة لخوض العمليات الحربية . وفى ١٥ اذار (مارس) ١٩١٥ اشار المقيم البريطانى فى عدن فى تقرير سرى الى الادارة الانكلوهندية الى ضرورة «عدم تفويت هذه الفرصة الذهبية» وتوقيع اتفاقية مع الادريسى . وكتب المقيم يقول : «ان سياستنا فى تصفيـــة النفوذ العثمانى فى الاقطار العربية يمكن ان تخفق اذا لم نقدم الدعم الى الزعمـاء العرب . ويمكـــن ان يؤدى ذلك الى وقوع الادريسى من جديد فى ايدى الطليان» * * * .

وفى ٣٠ نيسان (ابريل) ١٩١٥ وقعت بريطانيا اتفاقية مع محمد الادريسى نصت على التزام الاخير بان يقاتل الاتراك فى اليمن ويوسع اراضيه على حسابهم ، ولكن يتوجب عليه فى الوقت ذاته ان يمتنع عن الاعمال العدائية ضد الامام يحيى بشرط الا يتحالف هذا الاخير مع الاتراك . وكانت بريطانيا تريد من هذا

---

* Ibid., No 145.

* * Ibid., No 148.

* * * Ibid., No 114.

الاستدراك ان تبقى الامام محايدا لتجتذبه فيما بعد الى جانبها . والتزمت الحكومة البريطانية بدورها بتقديم المساعدة الى الادارسة من جهة البحر وضمان استقلال اراضيهم ووعدت بالتوسط فى تسوية الخلافات بين الادريسى والامام يحيى بعد انتهاء الحرب . وكان من البنود الاساسية فى الاتفاقية التزام بريطانيا بتزويد الادارسة بالسلاح والمال وتوفير حرية التجارة والملاحة لهم من خلال موانىء عسير . وتفيد مواد الارشيف الوطنى الهندى ان جدلا ثار بين الاوساط الاستعمارية البريطانية بشأن بعض بنود الاتفاقية بعد توقيعها . ويقدم تحليل هذا الجدل فكرة اوضح عن المهمات الملموسة التى وضعتها الامبريالية البريطانية نصب عينها فى سياستها فى اليمن .

فقد تناول كتاب السلطات الانكلوهندية الى وزير شؤون الهند البريطانى ، بالاضافة الى طلب تصديق هذه الاتفاقية ، بعض نقاط الضعف فيها ، مثل البند السادس الذى يعلن برياء «ان الحكومة البريطانية لا تسعى الى توسيع رقعتها فى الاراضى العربية ، بل تريد فقط للحكام العرب ان يعيشوا فى وئام وسلام ، كل فى اراضيه» * . واشار الكتاب الى «ان الاتفاقية رغم توقيعها يجب ان تتضمن صيغة «غرب الجزيرة» بدلا من صيغة «الاراضى العربية» لان الصيغة الاخيرة تهدد مصالح بريطانيا فى بلاد الرافدين» حيث كانت قائمة آنذاك معارك ضارية بين القوات البريطانية والعثمانية ** .

وروعيت هذه الملاحظة فيما بعد ايضا فى الكتاب السرى الذى بعثه وزير شؤون الهند الى نائب ملك الهند وافاد فيه انه تم فى الاتفاقية مع الادريسى «استبدال الصيغة المذكورة اعلاه وجرى ذلك ليس بسبب وادى الرافدين فقط ، بل وخصوصا بسبب شيخ سعيد الذى يجب ضمه بعد انتهاء الحرب» *** . وكانت الاوساط الاستعمارية البريطانية تنوى تبرير ضم رأس شيخ سعيد لانه ، فى رأيها ، يقع فى جنوب الجزيرة وليس غربيها .

---

* Ibid., No 151.

** Ibid., No 115.

*** Ibid., No 178.

ولدى مناقشة الاتفاقية مع الادريسى اشار الساسة البريطانيون الى «ان السماح للادريسى فى البند الثالث من الاتفاقية بتوسيع اراضيه ، وضمان استقلاله فى الوقت ذاته بموجب البند الخامس يجعلاننا فى موقف حرج بالنسبة للزعماء العرب الباقين ، الا ان موقفنا فى هذه المسألة مشروط باستدراك يقول ان توسع اراضى الادريسى سيتم على حساب الاتراك واذا دخل الادريسى بسياسته العدوانية فى المستقبل فى نزاع مع الزعماء العرب الآخرين فيمكننا ان نذكره بهذا الشرط ونتنصل عن اية مسؤولية عن افعاله» * .

ويتضح بكل جلاء مما قيل اعلاه ان بريطانيا عندما وقعت الاتفاقية مع الادريسى كانت تعول على اشتداد حدة التناقضات بين الامام يحيى والادارسة . فالنزاع المدبر بهذه الصورة من شأنه ان يتفق تماما مع مصالح المستعمرين البريطانيين ويستجيب لسياستهم القديمة ، سياسة «فرق تسد» .

ويستنتج من نص الاتفاقية ان بريطانيا تخشى من تعزز مواقع الامام يحيى وما كان بوسعها ان تتجاهله ، ولهذا حاولت ، كما كتب المقيم البريطانى فى عدن ، «ان تتحاشى فى المفاوضات مع الادريسى كل ما يمكن ان يجعل الامام يشيح بوجهه عن بريطانيا» ** . كان المضمون الرئيسى للاتفاقية هو عقد تحالف عسكرى مع الادريسى ، ولذا اقترح الساسة البريطانيون جعل الاتفاقية سرية وعدم نشرها فى مجموعة الاتفاقيات بين بريطانيا وبلدان وحكومات الجزيرة العربية *** . ولم ينشر النص المصحح ، الذى استبدلت فيه العبارة المذكورة اعلاه ، فى هذه المجموعة الا فى عام ١٩٣٠ **** .

وحاولت الدبلوماسية البريطانية مرتين – فى اواخر عام ١٩١٤ وفى آب (اغسطس) ١٩١٥ – ان تجر الزيديين الى الحرب ضد الاتراك ووعدتهم فى مقابل ذلك ان تعترف باستقلالهم ، الا

---

* Ibid., No 151.

** Ibid., No 149.

*** Ibid.

**** Aitchison C. U. A Collection of Treaties . . . , vol. 13, p. 177.

ان الامام يحيى التزم بالحيـــاد طوال فترة الحرب ، ولم يشارك جنده فيها . وكانت سياسة الحياد فى الحرب العالمية هى الاكثر قبولا لدى الزيديين ، لان المنطقة الجبلية فى اليمن كانت بعيدة عن المعارك ولم تترك الحرب اثرا الا فى توقف التبادل التجارى مع العالم الخارجى نهائيا فى الواقـــع بسبب حصار السواحل اليمنية من قبل الاسطول البريطانـــى . وقرر الامام يحيـــى ان يحافظ على قواتـــه وينتهز الفرصة السانحة ليوحد كل اراضى اليمن فى ظل حكمه .

وهكذا لم يتحالف احد مع بريطانيا فى جنوب الجزيرة ما عدا الادريسى . وقد حصل فى بادئ الامر على معونة مالية قدرها ٢٥ الف روبيه واسلحة بمبلغ ٣٠ الف روبيه ، فقام فى حزيران (يونيو) ١٩١٥ بمحاولة للاستيلاء على مرفأ لحيـــا . ولكن هذه المحاولة اخفقت رغم دعم الاسطول البريطانى * . وفى نفس الشهر استولت قوات الانزال البريطانية على جزيرة كمران الهامة من الناحية الاستراتيجية والمشرفة على مداخل الساحل اليمنى ، كمـــا احتلت القوات العثمانية من جديد مواقع فى رأس شيخ سعيد كانت قد غادرتها فى اواخر عام ١٩١٤ بعد قصفها من جانب السفن البريطانية ** . وفى الوقت ذاته شرع العثمانيون بهجوم فى اعماق الامارات الواقعة تحت الحماية البريطانية . وفى بادئ الامر طلب شيوخ قبائل حوشبى وفضلى ويافع وامارة الضالـــع المساعدة والسلاح من سلطات عدن ، لكن طلبهم رفض ، فاخذوا ينتقلون الى صف الاتراك *** .

وحتـــى فى هذا الموقف الحرج لـــم يقدم المستعمـــرون البريطانيون على تسليح قبائل اليمن الجنوبى التى لم تكن تبدى ولاء كبيرا لبريطانيا . وبالنتيجة وصل الفان من الجنود العثمانيين واربعة آلاف من متطوعى هذه القبائل دون عائق الى عاصمـــة سلطنة لحج (مدينة لحج واسمها القديم الحوطة) واخمدوا مقاومة

* NAI, 1915. Situation in the Aden Hinterland, Yemen and the Red Sea. Notes, No 108.

** Busch B. Britain, India and the Arabs ..., pp. 227-228.

*** Aitchison C.U. A Collection of Treaties ..., vol. 13, p. 2.

الحامية المحلية واستولوا على المدينـــة فى ٥ تموز (يوليو) ١٩١٥ * .

وادركت سلطات عدن بعد فوات الاوان مدى الخطر الداهم . وجمع الانجليز قوات غير كبيرة فى عدن وزجوا بها فى المعركة لنجدة سلطان لحج ، الا ان القوات العثمانية بالتعاون مع متطوعة القبائل دحرت هذه الامدادات المتأخرة واحتلت ضاحية عدن ، شيخ عثمان ، فى ٧ تموز ** . وما كان بوسع الاتراك طبعا ان يحتلوا عدن بمثل هذه القوة القليلة . فان حامية عدن القويــة بدعم من السفن الحربية البريطانية وبالتعاون مـــع الامدادات الكبيـــرة التى وصلت لهذا الغرض ازاحت الاتراك من المناطق المتاخمة لعدن وجعلتهم ينسحبون الى عاصمة لحج . وظل توزيع القوى على هذه الصورة فى هذه الجبهـــة حتى نهاية الحرب . ونشأت بين القوات العثمانية فى لحج والقوات البريطانية فى عدن هدنة غير معلنة استمرت حوالى ثلاثة اعوام ونصف . وبلغ الامـــر بالطرفين المتحاربين الى حد التبادل البضاعى العينى . فقد مارس الجنود العثمانيون فى لحج الزراعة وصاروا يزودون عدن بالخضار والفواكه مقابل السكر والسجائر *** . ورغم وجود الاتراك فى لحج لم ينقطع التبادل التجارى بين المناطق الداخلية وعدن ولـــم ينخفض حجمـــه ابدا الى اوطأ من نصف المستوى المتوسط لما قبل الحرب **** .

كانت الهدنة التى حلت فى اراضى محمية عدن مناسبة تماما للانجليز ، لان مهمتهم الاساسية فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر هى السيطرة على مضيق بـــاب المندب وعدن . وكانت وزارة الحربية البريطانيـــة تدرك ان نتيجة الحرب تتقرر فى المسارح الاساسية للعمليات الحربية ، ولذا لـــم تكن تنوى اشغال قواتها فى جبهة الاطراف فى اليمن ، فلم تقم بأية محاولة جدية لزحزحة الاتراك من امارات المحمية ***** .

* Rihani A. Around the Coasts of Arabia . . . , p. 340.

** Gavin R. J. Aden under British rule . . . , p. 249.

*** Rihani A. Around the Coasts of Arabia . . . , p. 340.

**** Gavin R.J. Aden under British Rule . . . , p. 249.

***** Ibid.

وجرى التعويض عن سياسة بريطانيا الخاملة حسب الظاهر فى جنوب الجزيرة بعوامل اخرى مثل انتفاضة الحجاز التى اندلعت فى حزيران ١٩١٦ وجهد المستعمرون البريطانيون لتوجيهها فى مجرى مصالحهم السياسية . ونتيجة لعمليات ثوار الحجاز الذين ايدتهم بريطانيا انقطعت القوات العثمانية فى عسير واليمن بالكامل عن قواتها الاساسية ، ولذا لم تعد تشكل خطرا جديا على عدن.

وبعد توقيع اتفاقية سايكس – بيكو الانكلوفرنسية السرية (ايار ١٩١٦) بشأن اقتسام ممتلكات الاتراك العربية غدا هدف الاستراتيجية البريطانية فى جنوب شرق حوض البحر الاحمر ليس مقاومة القوات العثمانيـــة المرابطة فى هذه المنطقة ، بل على الاكثر الحيلولة دون احتمال تسرب دول اوربية اخرى الى شبه جزيرة العرب .

وكانت ايطاليا المنافس الاكثر احتمالا لبريطانيا فـــى هذا المجال . فان ايطاليـــا دخلت الحرب الى جانب دول الوفاق فى ايار (مايو) ١٩١٥ . وبموجب معاهدة لندن ١٩١٥ التى وقعتها بريطانيا وفرنسا وروسيا من جهة ، وايطاليا من جهة اخرى ، حصلت هذه الاخيرة ، مقابل خروجها من الحلف الثلاثى على وعود بمناطق شاسعة فى شمال الادرياتيك (تريسته وايستريا ودلماشية الشمالية وفالونـــا وقسم من البانيا وجزر دوديكانيز وكثير غيرها) . ووافق الحلفاء على منح ايطاليا «جزءا مكافئا من مناطق البحر الابيض المتوسط المتاخمة لمنطقة اداليا فى حالة اقتسام تركيا الآسيوية فيما بينهم كليا او جزئيا» . ووعدوا الامبريالية الايطالية كذلك بانهـم سيعترفون من حيث المبدأ ، اذا كانت ممتلكات فرنسا وبريطانيـــا فى افريقيا ستزداد على حســـاب المانيا ، بحق ايطاليا فى المطالبة بتعويضات مماثلة على حساب المستعمرات البريطانية والفرنسية المتاخمة لاريتريا وليبيـــا والصومال * .

الا ان عددا من الاعمال ، مثل غزو الانجليز لجزيرة كمران واحالة جزر فرسان الى الادريسيين فى بداية عام ١٩١٧ ومحاولة

---

* مجموعة معاهدات روسيا مع الدول الاخرى . ١٨٥٦–١٩١٧ ، موسكو ١٩٥٢ ، ص ٤٤٠–٤٤١ .

التحالف مع الامام يحيى ، كان موجها ضد ايطاليا اكثر مما هو ضد تركيا مع ان ايطاليا غدت حليفة لدول الوفاق . فان الساسة البريطانيين كانوا يتطلعون ببعد نظر وقد لاحظوا دلائل سقوط الامبراطورية العثمانية ودلائل الصراع من اجل مناطق النفوذ فى شبه جزيرة العرب . وكان من العمليات الوقائية ضد الطليان استخدام قوات الادريسى فى احتلال ميناء القنفذة الحجازى . فبعد قصف هذا الميناء من جانب السفن البريطانية قام الانجليز بانزال بحرى مكون من قوات الادريسى . ومع ان الادارسة هم الذين حرروا المدينة المذكورة من الاتراك فان الانجليز سرعان ما خملوهم على الجلاء وسلموا القنفذة الى القوات الحجازية التى وصلت بقيادة الشريف حسين * .

وهكذا استخدم الانجليز الادارسة بالاساس ليس لغزو القنفذة بل كوسيلة تحول دون تدخل ايطاليا المحتمل فى العمليات الحربية فى الحجاز . وكان لمخاوف الانجليز من تدخل ايطاليا ما يبررها . فان ايطاليا عندما دخلت الحرب صارت تطالب بالمشاركة فى عمليات الحجاز لانها تعتبر نفسها «دولة عمرانية اسلامية لها مصالح معينة فى البحر الاحمر» * * .

ولم ينتظر الطليان موافقة بريطانيا فقرروا ان يستعيدوا بانفسهم صلاتهم القديمة مع الادارسة فارسلوا لهم مدافع نقلتها سفينة حربية ايطالية الى عسير . واثار هذا التدخل فى شؤون الجزيرة العربية احتجاجا شديدا من جانب بريطانيا جعل ايطاليا تعد بالامتناع فى المستقبل عن اية عمليات فى الجزيرة . ومع ان محمد الادريسى استاء من تصرف بريطانيا غير المهذب ، فقد استمر على تعاونه مع الانجليز ووسع لدرجة كبيرة قبيل نهاية الحرب الاراضى التى يسيطر عليها . وبموجب اتفاقية ٢٢ كانون الثانى (يناير) ١٩١٧ اعترفت بريطانيا بان جزر فرسان داخلة ضمن ممتلكات الادريسى وذلك مقابل التزامه

---

* فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٦ استعاد العثمانيون القنفذة ولم تحررها قوات الشريف حسين من جديد الا فى ايار (مايو) ١٩١٩ (ملاحظة المؤلف) .

Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 241. * *

بعدم تسليمها الى دولة اخرى * . وفى ١٨ شباط (فبراير) ١٩١٧ احتل الادريسى بدعم من الاسطول البريطانى ميناء لحيا ثم زحف الى الجنوب حتى الزيدية .

وحتى منتصف عام ١٩١٧ تم تحرير عسير ، ما عـدا بعض النقاط ، من الاتراك . وحتى نهاية الحرب العالمية الاولى صار الادريسيون ، الذين كانت سلطتهم محصورة فى مناطق الصبية سابقا ، يسيطرون على اراض ساحلية شاسعة تمتد من مدينة البرك حتى الزيدية ** .

وشعر الامام يحيى بالقلق من تعزز الادارسة وضعف مواقع العثمانيين فى شبه الجزيرة العربية بسبب انتصارات انتفاضة الحجاز وعمليات القوات البريطانية فى وادى الرافدين وفلسطين . وفى تموز (يوليو) ١٩١٧ بادر الى استئناف المفاوضات مع سلطات عدن فى محاولة للتحالف مع بريطانيا . علما بان الامام يحيى طالب ، فى مقابل هذا التحالف ، بالحصول على السلاح والمال والعتاد والاعتراف بسيادتـه على الاراضى الممتدة من الرأس الخالى (٦٠ كيلومترا عن القنفذة) حتى حضرموت ضمنا . ووافق الامام على ترك عدن والمناطق المتاخمة لها للانجليز . واستمرت المفاوضات اكثر من عام دون ان يتوصل الطرفان الى اتفاق . ولم تقبل سلطات عدن بشروط الامام يحيى ورفضت تزويد الزيديين بالسلاح . *** .

وتجدر الاشـارة الى ان بعض المؤرخين الغربيين الذين يصورون المستعمرين البريطانيين اناسا افاضل مهتمين بمصير العرب انما يزعمون بان بريطانيا رفضت مطالب الامـام يحيى لسبب واحد هو ان فى تلك المطالب هضما لحقوق الادريسيين حلفاء بريطانيا . اما فى الواقع فان المستعمرين البريطانيين لم

---

* Aitchison C. U. A Collection of Treaties ..., vol. 13, pp. 178-179.

** Macro E. Yemen and the Western World. 1571-1964. London, 1968, p. 46.

*** NAI, File No 134, 1923. Report on the Middle East Conference held in Cairo and Ierusalem 26-30 March 1921. Appendix 26, annex. 2, pp. 177-180.

يعودوا آنذاك فى حاجة ماسة الى التحالف مع الامام ، لا سيما وان تنفيذ مطالبه يعنى تضييع كل الامارات والمشيخات الواقعة تحت الحماية البريطانية ، اى تضييع ما يسمى بالمناطق الداخلية التى تؤدى دور المنطقة العازلة لحماية عدن من جهة البر وتمونها بالاغذية .

وهكذا ظل الزيديون محايدين حتى نهاية الحرب ولم يشاركوا فى العمليات الحربية .

وفى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ وقع ممثلو الباب العالى اتفاقية الهدنة فى مدينة مدروس ، وقد نص البند السادس عشر من الاتفاقية على استسلام جميع القوات العثمانية وتصفية الادارة التركية تصفية تامة فى لبنان وسورية وفلسطين والعراق والحجاز وعسير واليمن . ووضعت القوات العثمانية المرابطة فى لحج السلاح وسلمت نفسها الى السلطات فى عدن ، الا ان قسما من القوات العثمانية بقيادة والى اليمن السابق محمود نديم بك (حوالى ٨٠٠ شخص فقط) رفض الاستسلام للانجليز والتحق بقوات الامام يحيى * .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٨ دخل الامام يحيى العاصمة صنعاء مظفرا ، فقد اعترف به محمود نديم رسميا بوصفه الوريث الشرعى للادارة العثمانية ** . ولم يخف الامام يحيى نيته فى توحيد اليمن كله ، بما فيه المناطق الواقعة تحت الحماية البريطانية ، فاعلن للسلطات فى عدن بانه لا يعترف بالاتفاقيات التى وقعتها الادارة العثمانية مع بريطانيا (ولا سيما معاهدة ١٩١٤ الانكلوعثمانية التى صادقت على الحدود بين ولاية اليمن ومحمية عدن) . كما رفض الامام يحيى اتفاقيات الحماية التى فرضتها بريطانيا على امارات جنوب اليمن *** .

ولم يكن المستعمرون البريطانيون راضين اطلاقا بتأسيس الدولة اليمنية المستقلة بزعامة الامام يحيى . ومنذ الايام الاولى بعد الحرب قاموا بمحاولات لعرقلة توحيد اليمن . فقد تذرعت

---

* سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ٢٣٦ .

** Ingrams H. The Yemen . . . , p. 63.

*** NAI, 1921, Yemen affairs, encl. to No 317.

بريطانيا باستسلام القوات العثمانيـــة غير الكامل فى اليمن واحتلت فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٨ الساحل اليمنى من لحيا حتى الحديدة التى هى اكبر ميناء فى اليمن الشمالى يجرى من خلاله الجزء الاساسى من التداول التجارى الخارجى للبلد . وسلم الانجليز لحيا الى الادريسيين ، بينمـــا ظلت الحديدة تحت السيطرة البريطانية .

وكان احتلال القوات البريطانية لمينـــاء الحديدة قد حرم المناطق الداخلية فى اليمن من المنافذ الى البحر الاحمر وقطع صلاتها التجارية التقليدية مع العالم الخارجى . وواجه البلـــد وضعا اقتصاديا عصيبا . فقد حرمت الحديدة من مؤخرتها الداخلية الطبيعية ، كما عزلت المناطق الجبلية اليمنية عن اهم مينـــاء لها . وتقلص عدد اهالى الحديدة الى ١٠ آلاف نسمة بعد ان كان قبل الحرب ٣٠ الفا . وشلت التجـارة التى كانت مزدهرة فى حين من الزمان .

وهكذا فرغم تصفية السيطرة العثمانية على الحجاز وعسير بنتيجة الحرب العالمية الاولى لم يؤد ذلك الى استقلالهما ، لان السيطرة البريطانية حلت فى الواقع محل السيطرة العثمانية . وبموجب شروط اتفاقية ١٩١٥ الانكلوسعودية غدت دولة امير نجد ابن سعود فى تبعية لبريطانيا . وخضعت امارات الخليج العربى بالكامل لبريطانيا فى سياق الحرب العالمية الاولى .

ولم يحرز الاستقلال شكليا من بين كل الاقطار العربية الا اليمن الشمالى ، لكن اليمانيين المطوقين باتباع بريطانيا اضطروا امدا طويلا للنضال من اجـل توحيد بلدهم واحراز الاستقلال التام .

الفصل الثانى

اليمن فى مخططات التوسع البريطانى فى الجزيرة العربية خلال العشرينات

١ . سياسة بريطانيا الاستعمارية فى اليمن حتى منتصف العقد الثالث من القرن العشرين

ما ان انتهت الحرب العالمية الاولى حتى بدأ الصراع بين الحلفاء من دول الوفاق من اجل اعادة اقتسام العالم والمكاسب الاقليمية الافضل . وكانت الدول المغلوبة : المانيا والنمسا - المجر وبلغاريا وتركيا تنتظر مصيرها الذى كان ستقرره الدول الغالبة فى مؤتمر الصلح الذى عقد فى باريس (١٩١٩-١٩٢٠) . الا ان تناقضات عميقة بين الحلفاء تجلت على طاولة المفاوضات. فكل بلد من الحلفاء يريد ان يحصل من النصر على اكبر قدر من الامتيازات السياسية والاقتصادية والاستراتيجية .

ومع ان الحرب ضعضعت القدرة الاقتصادية والمالية لبريطانيا فان الامبرياليين الانجليز كانوا يأملون فى التعويض عن ذلك باستغلال المساحات الشاسعة التى استولوا عليها فى سياق الحرب العالمية الاولى فى الشرق الادنى وافريقيا . وبالاضافة الى الاراضى المحتلة عمل الامبرياليون البريطانيون بحجة حماية «ميادين النفوذ البريطانى» من اجل الهيمنة على الاراضى التى تتسم بأهمية استراتيجية واقتصادية كبيرة ، لكن القوات البريطانية لم تكن قد احتلتها . وابدى الانجليز اهتماما خاصا من هذه الناحية بالجزيرة العربية .

وقد وردت المبادئ الاساسية لسياسة بريطانيا بعد الحرب فيما يخص حكام الجزيرة فى البرقية التوجيهية التى بعثتها وزارة الخارجية البريطانية فى ٩ تموز (يوليو) ١٩١٩ الى الجنرال اللنبى المندوب السامى فى مصر ، وتتلخص هذه المبادئ فيما يلى :

«١ – تضطلع بريطانيا بدور التحكيم فى جميع الخلافات بين حكام الجزيرة ، ٢ – وتدافع عنهم دون الهجوم الخارجى ، ٣ – وتتمتع بحق مراقبة علاقاتهم الخارجية ، ٤ – وبدون موافقة بريطانيا لا يجوز منح الاراضى والامتيازات للاجانب» . وجاء فى تلك البرقية ان الوفد البريطانى فى مؤتمر الصلح فى باريس ينـــوى ادراج هذه المبادئ ضمن المعاهدة مع تركيا بغية اضفاء الشرعية على حقوق بريطانيا فى الجزيرة العربية والحيلولة دون دخول الدول الغربية الاخرى الى هذه المنطقة الاستراتيجية الهامة * .

واقترحت الادارة البريطانية فى مصر برئاسة اللنبى السعى فى مؤتمر الصلح الى الحصول على حق الانتداب فى الجزيرة العربية كلها ، وبضمنهـــا نجـــد وعسير واليمن ** . حتى ان وزارة المستعمرات البريطانية اعدت مسودة معاهدة مع تركيا يتعلق الفصل الثامن منها بالجزيرة العربية . ونصت هذه المسودة على ان تعترف بلدان مؤتمر باريس «بالمصالح السياسية الخاصة لبريطانيا فى الجزيرة العربية والجزر المتاخمة لها» وتتخلى عن اية حيازات اقليمية وتكف عن محاولة بسط نفوذ تلك البلدان فى المنطقة «البريطانية» . وابدت المسودة اهتماما خاصا بجزيرة كمران التى يتعين على الحلفاء ان ينيطوا ادارتهـــا رسميـــا ببريطانيا *** .

وفى كتاب الى وزير شؤون الهنـــد قال ممثلو السلطات الانكلوهندية «ان سياسة حكومة صاحب الجلالة بعد الحرب . . . تمليها النية فى منع الدول الاجنبية الاخرى من الحصول على نقاط ارتكاز فى الجزيرة العربيـــة والنيـــة فى ملء الفراغ السياسى الناشئ عن طرد العثمانيين من الجزيرة» **** .

واثارت مخططات بريطانيا التوسعية مقاومة شديدة من جانب الدول الغربية ، ولاسيما فرنسا وايطاليا اللتان لم ترغبا فى

---

* NAI, 1921 Jemen affairs, No 217.

** Ibid.

*** NAI, 1920. Administration of the Camaran Island, pp. 12-13.

**** NAI, File 492-x of 1923. Treaty negotiations with the Imam of Yemen. Question of altering the boundary of Aden Protectorate No 63.

التخلي عن المشاركة في استثمار الجزيرة العربية . واضطر ذلك كله الدبلوماسية البريطانيـــة الى الاستعجال في المبادأة بملء «الفراغ السياسي» في اليمن . واتخذت لندن قرارا عاجلا بارسال بعثة بريطانية الى صنعاء برئاسة الكولونيـل جاكوب الذي كان آنذاك مستشارا للمندوب السامـــي في مصر لشؤون الجزيرة العربية . ويتلخص هدف البعثة ، اولا ، في تأكيد اولويـــة بريطانيا على الدول الامبرياليـــة الاخرى في العلاقات مع حكام الجزيرة ، وثانيا ، في تمهيد التربة لتوقيع اتفاقية انكلويمنية تجعل اليمن ميدانا للنفوذ البريطاني .

وسبقت مهمة جاكوب في صنعاء مناقشات طويلة للمسائل التي ينتظر ان تطرح على امام اليمن . فقد اقترح المندوب السامي في القاهرة اللنبي والمقيم البريطاني في عدن الجنرال ستيوارت رسم الحدود بالقوة بين اراضي الامام يحيى واراضي الادريسي ، الامر الذي كان سيؤدي الى عزل المناطق الداخلية في اليمن نهائيا وبصورة رسمية عن منافذ البحر ويحول دون نشوء الدولة اليمنية المركزية .

وكان ستيوارت وجاكوب يعتقدان ان الامـــام يحيى يمكن ترويضه بسهولة اعتمادا على «الحافـز المالي» . وكتب المقيـــم البريطاني في عدن بوقاحة ان «بالامكان حمل الادريسي ويحيى على تنفيذ كل رغباتنا اذا سمعا رنين نقودنا» * .

وتتميز بقيمة كبيرة بهذا الخصوص المسودة السرية للاتفاقية مع الامام يحيى ، وهي المسودة التي بعثها اللنبي الى لندن لتنظر فيها الحكومة البريطانية * * . وتجدر الاشارة الى ان مؤلفـــات المؤرخين السوفييت والغربيين والعرب لم تذكر حتى الآن شيئا عن وجود هذه المسودة ، في حين يقدم تحليلها فكرة واضحة عن المخططات الحقيقية للمستعمرين البريطانيين ازاء اليمن ويساعد على فضـــح محاولات الموظفين الاستعماريين آنذاك والمؤرخين الغربيين لتزويق سياسة بريطانيا الاستعمارية في جنوب الجزيرة العربية .

---

* NAI, 1921, Yemen affairs, No 214.

* * Ibid., notes No 323.

وبموجب هذه المسودة وافقت بريطانيا على «ضمان استقلال اليمن دون الحاق ضرر بالاشخاص الذين ترعاهم بريطانيا» * . ويعنى ذلك ان بريطانيا تعترف للامام يحيى بالقسم الجبلى من اليمن فقط ، وهو قسم معزول فى الواقع عن المنافذ البحرية الموجودة فى اراضى الادريسى ومشايخ اليمن الجنوبية الموالين لبريطانيا والذين قبلوا بالحماية البريطانية . علما بان بريطانيا كانت تؤمل فى الحصول على موافقة رسمية من الامام يحيى لرسم حدود ممتلكاته .

ووافقت بريطانيا على منح اليمن حرية التجارة عبر ميناء الحديدة ، عندما يسمح الموقف الحربى بذلك فقط . وكان بوسع بريطانيا ان تستفيد دوما من هذا الاستدراك وتمارس الضغط على الامام يحيى ، لان السيطرة على تجارة اليمن الخارجية تعنى فى الواقع السيطرة على مجمل اقتصاد البلاد الذى يواجه صعوبة كبيرة اذا انعدمت صلاته بالعالم الخارجي . ونصت مسودة المعاهدة على حصول بريطانيا على امتيازات مد السكك الحديدية وانشاء المشاريع الاقتصادية الاخرى فى اليمن ، والزام الامام بان يقيم العلاقات مع الحكومة البريطانية فقط ولا يقدم او يبيع اى جزء من اليمن الى دولة اخرى. ومنعت المسودة الامام من استيراد السلاح ، وآذا دعت الحاجة الى السلاح عليه ان يطلبه من الحكومة البريطانية فقط . وكان هذا الشرط يخفى نية بريطانيا فى اضعاف القدرة العسكرية لليمن والهيمنة عليه بالكامل .

وكانت شروط مسودة الاتفاقية لا تسمح للامام يحيى باستخدام الاجانب الا بموافقة الحكومة البريطانية . وكان هذا البند موجها ، كما هو واضح ، ضد الوالى العثمانى السابق فى اليمن نديم بك والـ٨٠٠ تركى الذين ظلوا فى خدمة الامام . كانت الادارة فى عدن قلقة من نشاط نديم بك المعادى لبريطانيا وصارت تبحث عن وسيلة لتنحيته . ونصت المسودة على ان تلتزم بريطانيا بتقديم معونة مالية شهرية للامام بشرط ان يؤدى واجباته * * .

---

* Ibid.

* * Ibid.

وردا على استجواب وزير شؤون الهنـــد الى الحكومـــة الانكلوهندية بخصوص هذه المسودة اعلنت الحكومة المذكورة عن موافقتها . واقترحت هذه الحكومة التى تشرف مباشرة على محمية عدن ان يضاف الى الامتيازات الواردة فى المسودة امتياز مد خط التلغراف * .

ومن الادلة على سعى بريطانيا لاستخدام اليمن من الناحية الاقتصادية ، فضلا عن الناحيتين السياســـة والاستراتيجية ، التقرير السرى الذى بعثه المقيـــم البريطانى فى عدن الى وزارة المستعمرات والذى جاء فيه : «بودنـــا لو تطورت المؤسسات الانتاجية البريطانية فى اليمن . والبلد مدروس فى بعض مناطقه فقط ، ولكننى واثق من ان فيه امكانيات كبيرة ، ولا نحبذ ان يمتلك الاجانب هذه الثروة التى من شأنها ان تساعد على ازدهار امبراطوريتنا» * * .

ومع ان المسودة نصت على الاعتراف باستقلال الامام يحيى ، الا ان تطبيق شروط الاتفاقية يعنى فى الواقع فرض الحمايـــة البريطانية على المنطقة الجبلية الداخلية من اليمن وتجزئتها الى امارات صغيرة .

واقترح الوفد البريطانى الى مؤتمر الصلح فى باريس توقيع الاتفاقية مع امام اليمن باسرع مـــا يمكن ، لان ذلك ، فى رأى اعضاء الوفد يعزز كثيرا مواقع بريطانيا لدى مناقشة مسألـــة مستقبل الجزيرة العربية فى المؤتمر * * * . وكان من الاسباب الرئيسية لهذا الاستعجال ان الوفد الايطالى فى مؤتمر باريس ابدى اهتماما سافرا باليمن . واعلنت الصحافة الايطالية صراحة ان رغبة بريطانيا فى تحويل اليمن الى منطقة نفوذ بريطانيا صرف يمكن ان تثير جدالا * * * * .

وعجلت الدبلوماسية البريطانية فى انهاء «قضية اليمن» ولذا تقرر الاكتفاء بالمفاوضات التمهيدية مع الامام يحيى بدون مناقشة

---

* Ibid.

* * NAI, File 186 of 1924-1925, Yemen affairs. No 8.

* * * NAI, 1921, Yemen affairs. Notes, No 323.

* * * * Gavin R.J. Aden under British Rule . . . , p. 258.

مسألة توقيع الاتفاقية ، لان ذلك ، كما ترى لندن ، يحتاج الى وقت طويل . وكان جاكوب ينوى فى سياق المفاوضات المرتقبة مع الامام يحيى مناقشة مسألة امارات جنوب اليمن . والسبب فى ذلك ان عدن فى اواخر صيف ١٩١٩ اخذت تستلم انباء عن تحشد متطوعة الامام يحيى قرب الحدود العدنية اليمنية وافتتاح مركز جمارك له فى قرية تقع ضمن اراضى مشيخة اميرى التى تتمتع بالحماية البريطانية * .

كانت بعثة جاكوب تضم بالاضافة الى رئيسها ، الكابتن بروك والكابتن ريتشاردسون والميجر برنارد ريلى الذى صار فيما بعد اول حاكم لعدن .

فى ١٨ آب (اغسطس) ١٩١٩ وصلت البعثـــة الى مينـــاء الحديدة . ولكنها لم تتمكن من الذهاب الى صنعـــاء ، لان احدى القبائل الشافعية القت القبض على افراد البعثة فى اليوم التالى بمدينة باجل على بعد ٥٠ كيلومترا عن الحديدة .

هناك عدة افتراضات بصدد تدبير اعتقال بعثة جاكوب . فقد كتب امين سعيد فى «اليمن» ان اعتقال البعثة قد يكون من تدبير محمد الادريسى ، فهو ضد التقارب بين الامام يحيى وبريطانيا ، او من تدبير والى اليمن السابق محمود نديم بك ** ويؤيد هذا الافتراض سالم مصطفى *** . الا ان الاحتمال الاغلب هو ان شيوخ القبيلة الشافعية بادروا بانفسهم الى اعتقال اعضاء البعثة خشية ان تحال اراضيهم الى الامام يحيى بنتيجـــة المفاوضات

---

* يؤكد بعض الباحثين خطأ ان قرار ارسال جاكوب الى صنعاء جاء بعد ان قطعت متطوعة الامام يحيى على الانجليز الطريق الى الضالع ، راجع مثلا : Faroughi A. Introducing Yemen, pp. 58.-59; Macro E. Yemen and the Western World, p. 53. اما فى الواقع فان المتطوعة الزيدية لم تدخل اراضى امارات جنوب اليمن حتى نهاية الحرب ، وذلـــك لان الامام يحيى التزم بالحياد ولم يشارك فى الهجوم العثمانى على عدن . ولذا ما كان بوسع الزيديين ان يقطعوا على الانجليز الطريق الى الضالع . ولم يدخلوا اراضى هذه الامارة الا اثناء اسر بعثة جاكوب فى مدينة باجل ، اى بعد ارسال البعثة الى صنعاء وليس قبله (ملاحظة المؤلف) .

** سعيد امين . اليمن . . . ، ص ٦٢ .

*** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ٢٦٣ .

الانكلويمنية . وكان اعتقال البعثة البريطانية على الاغلب تعبيرا عفويا عن احتجاج سكان الساحل الاكثر تضررا من عزل المناطق الداخلية عن منافذ البحر الاحمر .

وبغية اطلاق سراح اعضاء البعثة ارسل الامام يحيى الى باجل محمود نديم بك كبير مستشاريه . وكان هذا الاخير يأمل فى اطلاق سراح البعثة البريطانية مقابل ٤ آلاف ليرة عثمانية تسلمها من الامام يحيى . وقامت بمحاولة مماثلة سلطات عدن التى عرضت على شيوخ (القهرة) تعويضا بمبلغ ٥٠ الف جنيه استرلينى * . الا ان الشيوخ امتنعوا عن استلام النقود وطرحوا مطالب ذات طابع سياسى فى اغلبها . فقد طالبوا بان يغادر الانجليز ميناء الحديدة ويقدموا للشيوخ الف بندقية والفى صندوق من الذخيرة و٥ مدافع مع قذائفها و٥ رشاشات ** . ورفضت سلطات عدن هذه المطالب وصممت على الانتقال من «اللين» الى «الشدة» .

ففى ٢٨ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٩ قامت طائرة بريطانية من حامية عدن بتحليق استعراضى فى سماء باجل لتخويف القبيلة الشافعية ، لكن استعراض العضلات هذا لم يسفر عن النتيجة المنشودة . بالعكس ، فقد كاد ينتهى بفاجعة بالنسبة لاعضاء البعثة . فقد اطلقت القبائل نيران بنادقها على الطائرة ، وبعد ان انصرفت الطائرة تحولت نيران البنادق الى المبنى الذى كان فيه اعضاء البعثة . ولم يحل دون التنكيل بهم الا تدخل شيوخ القبيلة . وفى سياق الحملة من اجل اطلاق سراح اعضاء بعثة جاكوب انفقت سلطات عدن ٣٧٠ الف روبية لشراء الذمم فقط *** .

ولم يطلق سراح البعثة الا بعد ان وقع جاكوب اتفاقية مع شيوخ القبائل فى ١٢ كانون الاول (ديسمبر) ١٩١٩ . ويقول جاكوب فى كتابه «ملوك الجزيرة العربية» ان نص الاتفاقية من وضع ممثل بريطانيا السياسى فى الحديدة ، لكن جاكوب لا يكشف عن مضمونها **** .ويعزى ذلك ، فى اغلب الظن ، وكما يتضح

* Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 212-214.

** NAI, 1921, Yemen affairs, encl. to No 343, p. 17.

*** Ibid., encl. to No 200.

**** Jacob H. Kings of Arabia . . . , p. 216.

من وثائق الارشيف الوطنى فى الهند ، الى ان جاكوب ، فى رأى السلطات البريطانية فى عدن ، اقترف عدة اخطاء اضرت بمصالح بريطانيا . فقد ادرج فى الاتفاقية ، مثلا ، بصورة اعتباطية ، عدة بنود تتناقض ، كما يرى المسؤولون فى عدن ، مع السياسة البريطانية فى اليمن . ففى هذه الاتفاقية التزم جاكوب ، نيابة عن بريطانيا ، بعدم اتخاذ اية اجراءات تنكيلية ضد القبائل وبالدفاع عنها دون الاعمال العدوانية من جانب الامام يحيى والادريسى بالطرق الدبلوماسية وبالقوة ، ومنح القبائل حرية المتاجرة من خلال الحديدة وهلمجرا * . وفيما بعد رفضت الحكومة البريطانية الاعتراف بهذه الاتفاقية متذرعة بان جاكوب وقعها عندما كان معتقلا . وسرعان ما اقتربت عساكر الامام يحيى من حدود باجل وقرر الشيوخ الاعتراف بسلطة الادريسى خوفا من الاحتلال الزيدى ، وسرعان ما احتلت قوات الادريسى اراضى قبيلتى القهرة وعبس .

وانتهت حادثة اعتقال اعضاء البعثة البريطانية ، ولكن فى الوقت الذى كان فيه الانجليز يبذلون الجهود لاطلاق سراح البعثة جرت فى اليمن احداث غيرت الموقف جذريا فى جنوب الجزيرة العربية . فقد دخلت العساكر اليمنية فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩١٩ اراضى محمية عدن واحتلت امارة الضالع ذات الموقع الاستراتيجى الهام ، وبعدها احتلت مشيخة الشعيب العائدة لاتحاد قبائل يافع اليمنية الجنوبية ** . وكان ذلك استمرارا لكفاح مشايخ الزيديين من اجل توحيد الاراضى اليمنية تحت سلطتهم .

وتجدر الاشارة الى ان المؤرخين الغربيين ينعتون دخول جند الامام يحيى اراضى امارات جنوب اليمن بانه «غزو» و«عمل عدوانى» وهلمجرا *** . فالمؤرخون الغربيون يحاولون الحط من سمعة النضال التحررى للشعب اليمنى ويصورونه بمثابة تطاول على «الحقوق المشروعة» لبريطانيا فى جنوب الجزيرة العربية . والحال فان النضال من اجل توحيد اليمن والذى تزعمه الزيديون

---

* NAI, 1921, Yemen affairs, encl. to No 200.

** Ibid., sub. encl. to No 337.

*** See, for example, Survey of international affairs, 1928, p. 310.

بالتعاون مع بعض القبائل الشافعية التى مالت اليهم انما هو جزء من نضال الشعوب العربية ضد الامبريالية .

ومع ان اليمن الشمالى كان مستقلا من الناحية الشكلية ولم تتعرض اراضيه للاحتلال من قبل اية دولة فان النضال الذى قاده الامام يحيى كان تحرريا فى الواقع . ولكنه كان فى البداية موجها ضد السيطرة العثمانية فى اليمن ، وبعد ذلك اتخذ شكل الحركة من اجل تأسيس دولة يمنية موحدة ومستقلة حقا . ولما كانت بريطانيا قد حالت دون ذلك بكل السبل متوخية تجزئة اليمن الى امارات صغيرة فقد اكتسب النضال الذى خاضه الامام يحيى طابعا مناهضا لبريطانيا بوضوح .

وحطم اليمن المستقل السلسلة التى شكلتها بريطانيا بشق الانفس من البلدان العربية الخاضعة للحماية ، وقد حطمها فى المنطقة الاكثر حساسية من الناحيـــة الاستراتيجية ، فى مخرج البحر الاحمر . ولذا كانت سياسة بريطانيـــا فى العشرينات تستهدف اخضاع اليمن الشمالى لنفوذها وعزله عن الدول الاخرى .

وكان من عناصر سياسة عزل اليمن تسليم الحديدة ، اهـــم ميناء فى شمال اليمن ، الى الادريسى الموالى للانجليز آنذاك . وتم ذلك وفقا لقرار الحكومةالبريطانيـــة فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢١ . وجرى رسميا تبرير هذا التسليـــم بعزم بريطانيا على «تعزيز الصداقة مع الادريسى ومكافأته على الخدمات التى قدمها فى محاربة الاتراك» * . وقد تقبل المؤرخون الغربيون وغيرهم هذا التبرير على علاته * * .

وتجدر الاشارة الى ان ايـــا من دراسات هؤلاء المؤرخين لم يتضمن تحليلا للاسباب الحقيقيـــة التى دعت الانجليز الى ترك الحديدة ، فى حين انها ميناء كبير فى شمال اليمن كان ولا يزال يعتبر مركزا حساسا فى تجارة واقتصاد البلاد ، وكان بوسع

---

* NAI, File 149-N. Arabia series, part 3, No 104. 1924-1925, p. 78.

** See Basic Chronology for History of the Yemen (Middle East Journal, vol. 17, No 1-2; Philby H. Arabia . . . , p. 334; Gavin R. J. Aden under British rule. . . , p. 261; Faroughi A. Introducing Yemen . . . , p. 60; Wenner M. Modern Yemen . . . , p. 143).

الانجليز ان يستفيدوا منه بكل الوسائل ويحولوه الى «عدن ثانية» . وواضح ان سببا خطيرا للغاية جعلهم يتركون الحديدة (ولم يكن ذلك ابدا تعبيرا عن «الامتنان» الى الادريسى الذى لم يكن الانجليز يقيمون له اعتبارا وقد تركوه فيما بعد على كف القدر حينما انتفت الحاجة اليه) . وينبغى البحث عن هذا السبب ليس فى العلاقات بين بريطانيا والادريسى ، بل فى الموقف الدولى الجديد الذى نشأ فى عام ١٩٢٠ . كان الصراع بين الامبرياليين من اجل اقتسام التركة العثمانية ، وهو الصراع الذى احتدم بخاصة بعد الحرب العالمية الاولى ، قد اسفر عن تنشيط محاولات فرنسا وايطاليا لترسيخ اقدامهما فى شبه الجزيرة العربية . وتذكر الفرنسيون من جديد «حقوقهم» القديمة فى رأس شيخ سعيد ، بينما حاول الطليان ان يدخلوا عسير من خلال التقارب مع الادارسة * . ولذا كان الاحتلال البريطانى لميناء الحديدة اليمانى يمكن ان يدفع الحلفاء الى ابداء ادعاءات اقليمية فى الولايات العربية بحجة ضرورة الالتزام «بالتكافؤ» التام فى اقتسام التركة العثمانية .

وتجدر الاشارة بهذا الخصوص الى ان المادة ١٠ من اتفاقية سايكس - بيكو التى وقعتها ايطاليا فيما بعد (١٩١٧) تلزم بريطانيا وفرنسا بعدم حيازة ممتلكات اقليمية فى شبه جزيرة العرب وعدم السماح لاية دولة ثالثة بحيازة مثل هذه الممتلكات او بناء قواعد بحرية على سواحل وجزر البحر الاحمر . زد على ذلك ان حكام مسقط الموالين لبريطانيا تكبدوا فى خريف ١٩٢٠ هزيمة ماحقة على يد ثوار عمان واضطروا فى ٢٥ ايلول (سبتمبر) على توقيع معاهدة السيب التى اعترفت باستقلال عمان . وكان يخشى ان تتكرر احداث عمان فى شمال اليمن حيث اشتد تذمر السكان المحليين من احتلال الحديدة الذى ادى الى تقلص التبادل التجارى بين الساحل والجبل لدرجة كبيرة . واخذت المجاعة تتفشى فى المدن الساحلية ، بينما صارت المناطق الداخلية تعانى من نقص السلع الصناعية وغيرها مما كان يستورد فى السابق عن طريق الحديدة .

وفى هذا الوضع قررت الاوساط الحاكمة فى بريطانيا اجلاء

* NAI, 1926-27, File 427-N. Yemen affairs, encl. to No 206.

قواتها من الحديدة واحالة الميناء الى «صاحبها» الادريسى . وبهذه الخطوة رمت بريطانيا عصفورين بحجر . فمن جهة ظلت مسيطرة على ساحل البحر الاحمر عن طريق الادارسة وابقت على عزلة اليمن الداخلى وحرمانه من منفذ الى البحر ، مما جعل السكان اليمنيين فى تبعية للانجليز ومكن هؤلاء الاخيرين من استخدام الحديدة عند الاقتضاء كوسيلة للضغط على الامام يحيى . ومن جهة اخرى ازالت بريطانيا الذريعة التى كان يحتمل ان يتحجج بها الطليان والفرنسيون للتسلل الى الجزيرة العربية .

وبعد ان سلم الانجليز الحديدة الى الادارسة ركزوا جهودهم على جر الامام يحيى الى فلك نفوذهم وعزله وقطع اتصالاته مع العالم الخارجى . وكان ذلك هو الهدف الرئيسى الذى اجمعت عليه مختلف الكتل داخل الجهاز الاستعمارى البريطانى . الا ان الطرائق التكتيكية لبلوغ هذا الهدف كانت متباينة ، ولذا ارتسمت لدى الاوساط الاستعمارية البريطانية صيغتان لحل ما سمى «بالمشكلة اليمنية» . كانت الادارة فى عدن برئاسة المقيم البريطانى الجنرال سكوت تنادى ببعث الحدود التى رسمتها اللجنة الانكلوعثمانية فى ١٩٠٣-١٩٠٥ ، وقد اقترحت تحقيق ذلك بالطرق الدبلوماسية من خلال مفاوضات مع الامام يحيى . وكان انصار هذه الصيغة يؤملون فى استخدام الحديدة اثناء المفاوضات المرتقبة بمثابة طعم ليحصلوا لقاء هذا الميناء الهام على اعتراف الامام يحيى بالتقسيم الانكلوعثمانى لليمن الى شطرين . واعربت لندن والحكومة الانكلوهندية عن موافقتهما على تعديل طفيف فى الحدود بين اليمن وعدن لصالح الامام ، اى انهما تسمحان «بالتنازل» عن اراضى المحمية التى احتلها اليمنيون ، لكنهما اصرتا على ابقاء اليمن معزول عن المنافذ الرئيسية الى البحر (اى انهما لم توافقا على التنازل عن الحديدة للامام يحيى) واقترحتا توجيه التجارة الخارجية اليمنية بصورة مصطنعة من الحديدة صوب عدن بجعل هذه الاخيرة المنفذ الوحيد للتجارة الخارجية لليمن * .

---

* كان المنفذ الوحيد الى البحر لدى الامام يحيى فى تلك الفترة هو ميناء مخا الضحل الذى يمكن ان تدخله سفن ملاحة السواحل الصغيرة .

وطوال عشر سنين كانت السياسة البريطانيـــة فى اليمن تتذبذب بين هاتين الصيغتين . وادرجت مسألة العلاقات المتبادلة مع امام اليمن ضمن جدول اعمال مؤتمر الشرق الاوسط لممثلى الدوائر الاستعمارية البريطانية الذى عقد فى اذار (مارس) ١٩٢١ فى القاهرة . وحتى ذلك الوقت ، كما جاء فى المذكرة التى اعدها العقيد لورنس مستشار الشؤون العربية لدى وزارة المستعمرات (والذى كان فى السابق من زعماء انتفاضة الحجاز) ، «توغلت العساكر الزيدية مسافـــة ٢٥ ميلا فى اعماق محمية عدن فى منطقة الضالع وتقدمت قليلا فى اراضى صبيحى . . .» . واكد المؤتمر ان توقيع الاتفاقية مع الامام يحيى تمليه ضرورة «ازالة اية فرصة للدسائس الفرنسية او الايطالية فى اليمن» * . ولبلوغ هذا الهدف قرر المؤتمر الاقدام على بعض «التنازلات» الاقليمية لامام الزيدية . واقترحت مذكرة لورنس التى اقرهـــا المؤتمر التعهد للامام يحيى بتسهيلات جمركية فى الحديدة وتقديم معونة شهرية وضمان سيطرته على مخا والاعتراف بسلطته فى المناطق الداخلية من محمية عدن ما عدا لحج والفضلى .

وكان يراد للامام بدوره ان يلتزم «بعدم تسليم اى جزء من اراضيه الى دول اخرى بدون موافقة بريطانيا ومنح الامتيازات للرعايا البريطانيين بالدرجة الاولى» ** .

وتجدر الاشارة الى ان ذلـــك يعتبر تنازلا كبيرا من جانب بريطانيا . الا ان انصار حل «المشكلة اليمنيـــة» بهذه الصورة كانوا يؤملون بانهم سيعوضون عن «خسائر» الاراضى بابقاء عزلة اليمن الداخلى والتزام الامام بعدم الاتصال بدول اخرى . وكانوا يريدون ليس فقط تأمين اعتراف الامام بحقوق بريطانيا فى عدن ولحج ، بل والهيمنة عليه من خلال جعـــل عدن المنفذ التجارى الاساسى لليمن *** . وبعبارة اخرى كانت وراء هذه المساومة حسابات اقتصادية الهدف منها سد منافذ البحر فى وجه اليمن من خلال الحديدة وجعل عدن الميناء الوحيد لليمن كله ، بشمالـــه

---

* NAI, 1923. Report on the Middle East Conference . . . p. 172.

** Ibid.

*** Gavin R.J. Aden under British Rule . . . , p. 263.

5*

وجنوبه . وهذا يعنى ان الانجليز عندما يستولون على القسم الاعظم من تجارة اليمن الخارجية يستطيعون فى اللحظة اللازمة ان يمارسوا الضغوط الاقتصادية والسياسية على الامام يحيى فضلا عن الارباح الكبيرة من جباية الضرائب الجمركية .

وكان ونستون شرشل ، وزير المستعمرات آنذاك ، قد ايد فكرة «التنازل» عن قسم من اراضى المحمية الى الامام يحيى انطلاقا من «ان الصعوبات السياسية والمالية التى تواجهها بريطانيا تعيق الحرب ضد الامام فى المرحلة الراهنة» * .

وكان اجتماع المسؤولين الاستعماريين البريطانيين الذى عقد فى وزارة المستعمرات فى ٢ حزيران (يونيو) ١٩٢٢ قد توصل الى استنتاج بشأن ضرورة «رسم حدود جديدة لمحمية عدن بحيث ترضى الامام وتستجيب فى الوقت ذاته لمصالح بريطانيا الاستراتيجية والسياسية» ** . علما بان الاجتماع اشار الى استحالة التنازل للامام عن اى جزء من الساحل . واوصى الاجتماع ببذل قصارى الجهود لتحويل عدن الى المنفذ التجارى الخارجى الوحيد لليمن والعمل على تجميد التجارة من خلال مرفأ الحديدة . وبغية تنسيق مسألة تعديل الحدود بين عدن واليمن تقرر استدعاء المقيم البريطانى فى عدن الجنرال سكوت الى لندن *** .

وفى اعقاب الاجتماع طلبت وزارة الحربية البريطانية من الجنرال سكوت ان يبدى رأيه بخصوص مواقع وكيفية رسم الحدود الجديدة للمحمية بحيث تكون مناسبة من وجهة نظر الاستراتيجية الحربية **** .

الا ان المقيم البريطانى فى عدن اعترض بشدة على تعديل الحدود التى رسمتها اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية فى ١٩٠٣-١٩٠٥ . وقد دافع عن رأيه وحاول ان يثبت بان الحدود الحالية اكثر مناسبة ، لانها تمر اساسا عبر قمم السلاسل الجبلية ، الامر

---

* NAI, File 492-x, 1923. Treaty Negotiations . . . , No 8, p. 3.

** Ibid.

*** Ibid.

**** Ibid., No 5.

الذى يشكل عائقا طبيعيا امام اى توغل فى اراضى المحميـــة البريطانية من المؤخرة * .

واثار اعتراض المقيم البريطانى فى عدن استياء شرشل لدرجة كبيرة ، حتى انه كلف نائبه فى ٢٠ حزيران (يونيو) بان يؤثر على المقيم ، فهو ، كما اكد شرشل ، «لا يفهم ، على ما يبدو ، جوهر المشكلة التى نظر فيهـــا اجتماع ٢ يونيـــو فى وزارة المستعمرات» ** .

وفى ٣ تموز (يوليو) ١٩٢٢ بعثت وزارة الحربية الى الجنرال سكوت برقية جاء فيها : «نظرا لصعوبة طرد عساكر الامام من الاراضى التى احتلتها لا بد من تقليص اراضى المحميـــة بعض الشىء . فهل يمكنك ان تقترح حدودا جديدة تستجيب لمصالحنا السياسية والاستراتيجية وتلبى ادعاءات الامام الاقليمية فى الوقت ذاته ؟» *** . الا ان الجنرال سكوت اصر هذه المرة ايضا على موقفه السابق .

وعندما كانت المجادلات مستمرة فى الاوساط الاستعمارية البريطانية بخصوص تعديل حدود ١٩٠٥ اليمنية العدنية جرت فى عدن مفاوضات بين الميجر برنارد ريلى نائب المقيم البريطانى وعبد الله العرشى مبعوث الامام الذى وصل الى عدن فى حزيران (يونيو) ١٩٢١ **** . جاءت المبادرة الى اجراء هذه المفاوضات من الجانب البريطانى ، وقد اوقف الامام يحيى مؤقتا زحف جنده فى امارات الجنوب دون ان يتخلى عن خطته لتوحيد اليمن ، فوافق على ارسال ممثله الى عدن . وكان الهدف الرئيسى الذى يتوخاه الامام عندما اقدم على هذه الخطوة هو كسب الوقت اللازم لاخماد الحركة الانفصالية التى قامت بها بعض القبائل واشتدت فى مطلع العشريـنـــات . فبدون تعزيز المؤخرة فى ظروف الانقطاع التام تقريبا عن البحر مـــا كان اليمنيون يؤملـــون فى الانتصار على الانجليز . واذا كان الامام يحيى يدارى املا فى استرجاع الحديدة

---

* Ibid., No 6.

** Ibid., No 14.

*** Ibid., No 11.

**** Ibid., No 58, appendix A.

بنتيجة المفاوضات فان ذلك الامل كان ضعيفا واهيا ، لان الامام يعلم ان الانجليز من جهة والادريسى من جهة اخرى لن يوافقوا على ذلك بدون تنازلات خطيرة من جانبه .

واستمرت المفاوضات فى عدن عامين ونصفا (من حزيران ١٩٢١ حتى بداية عام ١٩٢٤) ناقش فيها مبعوث الامام مع ريلى عدة مشاريع للاتفاقية ، وكان يرتحـــل الى صنعاء للتشاور مع الامام ويعود مجددا لعرض التعديلات الجديدة التى يطرحها الامام يحيى ، وفى آخر المطاف ، عندما صار الوضع فى مقاطعات اليمن الجبلية اكثر استقرارا واخضع الامام بالقوة القبائل التى تمردت عليه استدعى مبعوثه من عدن .

ان الارشيفات الدبلوماسية البريطانية التى ازيح عنها النقاب مؤخرا تساعد على متابعة سير مفاوضات العرشى - ريلى وتحليل تكتيك الدبلوماسية البريطانية فى تلك المرحلة والكشف عن نوايا بريطانيا الفعلية تجاه اليمن . وتجدر الاشارة الى ان المؤلفات الموجودة حاليا فى تاريخ اليمن تخلو من تفاصيل هذه المفاوضات التى نوردها ادناه .

منذ بداية المفاوضات اعلن العرشى ان الامام يحيى يطالب باراضى الادريسى شمالى جيزان (عسير) وباليمن كله فى حدوده التاريخية ، اى بما فيه محمية عدن . وردا على ذلك طرح الانجليز شروطهم الواردة فى مسودة الاتفاقية بين بريطانيا والامام يحيى . وسلموا المسودة الى مبعوث الامام فى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ .

وتتلخص اهم احكام مسودة الاتفاقية فيما يلى :

تعترف بريطانيا «باستقلال الامام وسلطته فى جميع الاراضى المتاخمة لاراضى بريطانيا (اى محمية عدن) من جهة واراضى الملك حسين والادريسى من جهة اخرى . وهذه الاراضى (اراضى الامام يحيى) ستسمى فى المستقبـــل باليمن» * . وبعبارة اخرى فان الانجليز ، مثلما كانوا فى التقسيم الانكلوعثمانى لليمن ، يريدون ان يغيروا بصورة مفتعلة مفهـــوم «اليمن» التاريخى الجغرافى ويكرسوا نهائيا عزل اراضى الامام فعليا عن البحر .

---

* Ibid.

وبموجب مسودة الاتفاقية البريطانية يتعين على الامام يحيى ان يعترف باتفاقيات الحماية التى وقعتها بريطانيا مع قبائل اليمن الجنوبى وان يقيم العلاقات مع بريطانيا وحدها ولا يسلم باى شكل كان ولو جزءا من اراضيه الى دول اخرى وان يقدم الامتيازات بالدرجة الاولى الى الرعايا البريطانيين . وفى مقابل ذلك تلتزم بريطانيا بتقديم معونة شهرية للامام وتمنح اليمن حرية التجارة عن طريق البحر * .

لم يرفض مبعوث الامام رأســا المسودة التى اقترحهــا الانجليز ، لكنه اعترض على بعض بنودها . وبنتيجة المباحثات الطويلة وضع العرشى وريلى فى بدايــة تموز (يوليو) ١٩٢٢ مشروعا مشتركا للاتفاقية ، ومع ذلك ظلت معلقة المسألــة الاساسية الخاصة بمكانة امارات جنوب اليمن والحدود بين اراضى الامام ومحمية عدن .

وسعى مبعوث الامام فى بادئ الامر الى جعل بريطانيا تعترف بحقوق الامام فى جنوب الجزيرة العربية كله ، لكنه اعلن فيما بعد ان الامام يحيى مستعد لعدم الاصرار على ذلك اذا عمــل الانجليز على تسليمه الحديدة التى هى ، كما اكد ، ميناء لصنعاء ولليمن كله ** . ورأى ريلى الذى لا يتمتع بصلاحيات البت فى مثل هذه المسألة الخطيرة ان من المجدى ترك البند الخاص بمكانة امارات جنوب اليمن وحدودها خاليا ، وسلم مشروع الاتفاقيــة بشكله هذا الى الجنرال سكوت الذى توجه آنذاك الى لندن .

وكان نبأ استعداد الامام يحيى للاعتراف بالحماية البريطانية فى جنوب اليمن مقابل الحديدة هاما للغاية بالنسبة للمقيــم البريطانى في عدن ، ولذا قرر استخدام هذه «الورقة الرابحة» فى الاجتماع المرتقب للموظفين الاستعماريين البريطانيين لاقناع لندن بضرورة استئناف حدود عام ١٩٠٥ بين اليمن وعدن .

واعلن الجنرال سكوت فى كلمته فى الاجتماع الذى عقد فى وزارة المستعمرات يوم ٢٨ تموز (يوليو) ١٩٢٢ ان استخدام الطائرات فى شباط (فبراير) ١٩٢٢ ضد عساكــر الامام يحيى

---

* Ibid.

** Ibid., encl. to No 20, p. 18.

وانسحابها بنتيجة قصف المناطق الحدودية فى حوشبى وصبيحى قد بينا ان بالامكان استئناف حدود ١٩٠٥ بواسطة سلاح الجو وتسليح قبائل المحمية ، وبذا يمكن الحيلولـــة دون استمرار «توغل» فصائل الامام فى اراضى المحمية . واطلع المقيم البريطانى الحاضرين على سير المفاوضات بين ريلى والعرشى واقترح لاول مرة تسليم الحديدة الى الامام يحيى مقابل اعترافـــه «بحقوق» بريطانيا فى جنوب اليمن . وبرر الجنرال سكوت اقتراحه هذا بعدم اهتمام الادارسة بتطوير ميناء الحديدة وبكون موقعهم فى هذه المدينة مضعضعا وغير مأمون اطلاقـــا ، لان سياستهم فى النهب والسلب من خلال الضرائب تثير تذمرا شديدا لدى السكان المحليين . بينما توجد للزيدية مصلحة عميقة فى تطوير هذا الميناء الذى يمر من خلاله القسم الاساسى من علاقاتهم التجارية الخارجية .

واعرب المقيم البريطانى عن ارتيابه فى واقعية توجيه التجارة الخارجية اليمنية بصورة مفتعلة من الحديدة الى عدن . فالمسافة من منطقة الجبل الزيدية الى الحديدة هى نصف المسافة الى عدن . زد على ذلك ان تغيير الاتجاه التقليدى لطرق القوافل التجارية الموجودة من قرون عديدة امر فى منتهى الصعوبة . وابلغ المقيم الحاضرين كذلك بمحاولات ايطاليا وفرنسا لاقامة اتصالات وثقى مع الامام يحيى * . كل ذلك دليل على ضرورة الاسراع فى توقيع الاتفاقية مع الامام .

وكانت حجج الجنرال سكوت مقنعة ، ولذا اتخـــذ الاجتماع قرارا «بمطالبـــة الادريسى بترك الحديدة والتنازل عنها للامام» ووعده فى مقابل ذلك بتطوير ميناء الصليف وزيادة المعونـــة الشهرية المقدمة الى الادريسى من الف جنيه استرلينى الى الفين وتزويده بسفينة . وبموجب قرار الاجتماع كان على الامام يحيى ، مقابل استلام الحديدة ، ان يعترف بكـــل اتفاقيات الحمايـــة

---

* فى عام ١٩٢٢ وصلت الى صنعاء بعثة فرنسية حاولت عبثـــا توقيع عدة اتفاقيات تجارية مع الامام يحيى ، بما فى ذلك الحصول على احتكار شراء البن اليمنى كله مقابل ارساليات السلاح والعتاد الحربى من فرنسا .

البريطانية فى امارات اليمن الجنوبى ويسحب قواته الى ما وراء حدود ١٩٠٥ التى رسمتها اللجنة الانكلوعثمانية * .

وهكذا كانت الغلبـــة لانصار استئناف حدود ١٩٠٥ . وفى رسالة مؤرخـــة فى ١٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ اكـــد وزير المستعمرات ونستون شرشل «ان الحدود العثمانية الحالية يجب ان تغدو حدا فاصلا بين محمية عدن واراضى الامام» ** بعد نجاح المباحثات مع الادريسى حول تسليم الحديدة الى الامام يحيى .

وبغية تنفيذ قرارات اجتماع تموز (يوليـــو) اتفق الجنرال سكوت مع محمد الادريسى على التفاوض من اجل توقيع اتفاقية جديدة تحل محل اتفاقيتى ١٩١٥ و١٩١٧ . وكان سكوت يريد فى الوقت ذاته ان يناقش مع الادريسى مسألة تسليم الحديدة الى امام الزيدية *** . الا ان المفاوضات تأجلت بسبب مرض محمد الادريسى ولم تناقش مسألـــة الحديدة معه حتى نيسان (ابريل) ١٩٢٣ .

وفى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ عاد العرشى من صنعاء واستؤنفت المفاوضات بينه وبين ريلى . وافاد العرشى ان الامام يحيى اطلع على مشروع الاتفاقية الاخير واستحسنه بالاساس ولم يبـــد الا بعض الملاحظات . وحتى شباط (فبراير) ١٩٢٣ كان ريلى والعرشى قد فرغا من اعداد مشروع الاتفاقية الجديد بعد ان اخذا بعين الاعتبار ملاحظات وتعديلات الهيئات الاعلى . ولم يعد المشروع الجديد يتضمن تفسيرا اعتباطيـــا لمفهوم «اليمن» . واعترفت بريطانيا «بالاستقلال التام لصاحب الجلالـــة الامام فى جميع المسائل السياسية والادارية ، الداخلية منها والخارجية ، وبسلطته فى الاراضى التابعة له» . الا ان هذا «الاستقلال التام» مقيد بالتزام الامام «بعدم الدخول فى اية علاقات مع الدول الاخرى اذا كانت تلحق ضررا ببريطانيا **** . وفى هذا المشروع ، شأن المسودة السابقة ، لم يرد ذكر للمسألـــة الاساسية بخصوص مكانة امارات اليمن الجنوبى . وحاول ريلى اقناع العرشى بتوقيع

* NAI, File 492-x, 1923. Treaty negotiations . . . , No 24.

** Ibid., No 23, p. 28.

*** Ibid., encl. to No 29.

**** Ibid.

الاتفاقية بشكلها غير الكامل هذا ، وتأجيل البت فى مسألة الحدود حتى وصول ممثل الادريسى الى عدن . الا ان العرشى رفض رفضا باتا واعلن ان الامام يحيى لن يصادق على الاتفاقية ما لم يستلم الحديدة ، كما رفض العرشى فكرة الالتقاء بممثل الادريسى واعلن بانه لا يعترف بمطامعه فى اليمن * .

وهكذا قوضت مشكلة الحديدة خطط الانجليز الذين سعوا الى توقيع الاتفاقية مع الامام يحيى باسرع ما يمكن ، بينما ادى تدهور صحة محمد الادريسى الى تأجيل المفاوضات بشأن الحديدة المرة بعد المرة .

كانت لدى الادارة فى عدن اسباب وجيهة للقلق على مصير «الدولة» الادريسية التى ادت دورا مزدوجا . فمن جهة سدت منافذ البحر فى وجه اليمن ، وحالت من جهة اخرى دون تسرب الدول الاخرى الى القسم الجنوبى من الجزيرة العربية . وكان من اسباب قلق الانجليز ان الضرائب الفاحشة التى يجبيها الادارسة وسوء تصرف موظفى عسير فى الاراضى المحتلة قد اثارا تذمرا شديدا لدى السكان المحليين .

وافاد الميجر باريت ، نائب المقيم البريطانى فى عدن ، فى تقرير بعثه الى وزير المستعمرات فى ٢٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٢ ان الحرب ضد الامام استنزفت موارد الادريسى ، وربما يمكنه ، وهو حى يرزق ، ان يحافظ على الوئام والنظام فى ممتلكاته اعتمادا على منزلته ومكانته . ولكن من بعده سيحل «الطوفان» . فهو لا يستطيع ان يشكل حكومة مستقرة بقدر ما . وستكون وفاته نذيرا بالقلاقل والفوضى .

واثبت سير الاحداث اللاحق صحة هذه التوقعات . ففى ٢٠ آذار (مارس) ١٩٢٣ قضى محمد بن على الادريسى نحبه وغدت وفاته فى الواقع بداية لسقوط امارة الادريسى السريعة الزوال . وكان سقوطها محتما ، لان هذه الامارة التى اتسع نطاقها كثيرا ابان الحرب العالمية الاولى كانت هشة للغاية .

ولئن كان الادارسة يتمتعون بمنزلة مرموقة فى جنوب عسير حيث حكموه عشرات السنين وكانت لهم مصلحة فى تطوير التجارة

---

* Ibid., notes, No 24.

والاقتصاد فيه ، فقـــد كانوا فى الساحـــل اليمنى بمصاف المحتلين ، وما كان يهمهم سوى نهب الاهالى فى السر والعلن . وكان الاحتلال قد اخـــل بالعلاقات التجارية والاقتصاديـــة والاجتماعية التقليدية بين اهالى الساحل اليمنى واهالى المنطقة الجبلية الخصبة التى تؤمن للمـــدن والقرى الساحلية المواد الغذائية الاساسية . وبالنتيجـــة تفشت المجاعة فى الساحـل وتقلص عدد المدن الساحلية . الا ان الاحتلال فى الوقت ذاته كانت له بعض النتائج الايجابية اضافة الى عواقبه السلبية .

فلئن كانت تحدث فى الماضى صدامات طائفيـــة بين اهالى الساحل الشافعية واهالى الجبـــل الزيدية ، فان المصالـــح الاقتصادية فى الوضـــع الطارىء وحدت هاتين الطائفتيـــن المتعاديتين فيما مضى . وفى سيـــاق نشوء السوق اليمنية المشتركة على نحو سريع وازدياد دور المصالح السياسيـــة العامة لسكان اليمن من مختلف القبائل كان لا بد من تصفيـــة العزلة المصطنعة وطرد النازحين من جند عسير فيما بعد .

وبعد وفاة محمد الادريسى غدا ابنه على البالغ من العمـــر السابعة عشرة حاكما لامارة الادارسة ، وقد حكمها فى البدايـــة تحت وصاية عمه حسن الادريسى * .

وكان الحاكم الشاب قليل الخبرة فى الشؤون السياسية ولا يتحلى بسعة الاطلاع ، مما ادى الى تدهور الوضع العصيب اصلا فى امارة الادارسة . واستحثت وفاة محمد بـــن على الادريسى السلطات الاستعمارية البريطانية للتعجيل فى حل مسألـــة الحديدة . فقد عقد فى لندن مـــن جديد ، فى ٢٣ ايار (مايو) ١٩٢٣ ، اجتماع لجنة الشرق الاوسط لـــدى مجلس الوزراء البريطانى ، وكان مكرسا لعلاقات بريطانيا مع الامام يحيـــى

---

* ولد على بن محمد الادريسى عام ١٩٠٥ فى مدينة دنقلـــة (السودان) . وكتب الكابتن فضل الدين ممثل بريطانيا فى الحديدة عـن الحاكم الجديد فى عام ١٩٢٣ قائلا ان على الادريسى «يحفظ القرآن عن ظهر قلب وقد قرأ عدة كتب فى قواعد اللغة والفقه الاسلامى ، لكنه لا يعرف شيئا على الاطلاق عن العالم الخارجى» . (الارشيف الوطنى الهندى . الملف ٧٧٩ ، ١٩٢٣ . وفاة السيد محمد بن على الادريسى) .

والادريسى . واعلن فى الاجتماع ان مجلس الوزراء البريطانى قرر قبل وفاة الادريسى الامتناع عن دفع المساعدات له ، لكنه خصص مبلغ ٢٠ الف جنيه استرلينى يمكن ان يسدد الى الادريسى لقاء موافقته على تسليم الحديدة الى الزيديين . واعلن رئيس الجلسة ، نائب وزير المستعمرات جون شوكبورغ ، ان هذا المبلغ يمكن ان يلغى بقرار من مجلس الوزراء اذا لم يستخدم فى غضون السنة المالية الحالية ، اى قبل نيسان (ابريل) ١٩٢٤ . ونوقش فى الاجتماع المشروع الجديد للاتفاقية الانكلويمنية الذى وضعه ريلى والعرشى فى شباط (فبراير) ١٩٢٣ ، واجرى ممثلو مختلف الدوائر انطلاقا من مصالحها تعديلات واضافات على هذا المشروع * .

وهكذا فحتى آب (اغسطس) ١٩٢٣ حظى اقتراح تسليم الحديدة الى الامام يحيى مقابل اعترافه بحدود ١٩٠٥ بتأييد وزارة الخارجية البريطانية ووزارة المستعمرات والخزينة واميرالات البحرية ووزارة الحربية ووزارة سلاح الجو ** . ولم يعترض عليه الا الادارة الانكلوهندية ووزارة شؤون الهند اللتان ظلتا تحاولان الدفاع عن صيغة عزل اليمن عن البحر فى مقابل بعض «التنازلات الاقليمية» وتعديل حدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن *** .

واخيرا ، وبعد مجادلات طويلة صادقت الحكومة البريطانية نهائيا على قرار تسليم الحديدة الى الامام يحيى بشرط ان يعترف بحدود عام ١٩٠٥ . وفى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٢ بعث وزير المستعمرات الجديد فى حكومة المحافظين بونار لو ديفونشير الى المقيم البريطانى فى عدن المشروع المعدل للاتفاقية الانكلويمنية الذى ينبغى ان تجرى وفقا له المرحلة الختامية من المفاوضات مع مبعوث الامام يحيى **** . وتضمن المشروع الجديد كل الاحكام الاساسية الواردة فى

---

* NAI, File 492-x, 1923. Treaty negotiations . . . , No 37.

** Ibid., No 42.

*** Ibid., No 47.

**** Ibid., No 53.

المشاريع السالفة ، لكنه اهمل كالسابق البند الخاص بمكانة امارات جنوب اليمن وحدودها ، اى ان المسألة الرئيسية ظلت معلقة مع ذلك .

وفى العاشر من تشرين الثانى (نوفمبر) ۱۹۲۳ اعلن نائب المقيم البريطانى فى عدن الميجر باريت الذى اجرى المرحلة الختامية من المفاوضات مع العرشى عن موافقة الحكومة البريطانية على المساعدة فى حل مسألة الحديدة . ولكن من الضرورى قبل ذلك ، كما افاد باريت ، توفر اعتراف خطى من الامام باتفاقيات الحدود اليمنية العدنية التى وقعتها بريطانيا مع الباب العالى . ووافقت بريطانيا على عدم الاصرار على انسحاب المتطوعة الزيدية من اراضى المحمية التى تحتلها الى ان يستلم الامام يحيى الحديدة . وعلى الامام بدوره ان يلتزم بعدم القيام فى المستقبل باى تدخل فى اراضى المحمية * .

وطلب العرشى فرصة لتنسيق الرد مع الامام يحيى . وفى ۲۱ تشرين الثانى (نوفمبر) اعلن للميجر باريت ان الامام ورعاياه لن يعترفوا بالحماية البريطانية على امارات جنوب اليمن ، وذلك لان شيوخ جميع القبائل اليمانية (بما فيها قبائل الجنوب) لا يحق لهم توقيع اية اتفاقيات بدون سماح من امام الزيدية . واعلن العرشى كذلك ان الامام يحيى لا يستطيع ان يعترف باتفاقيات وقعها العثمانيون بخصوص اليمن . ومع ذلك وتعبيرا عن موقفه الودى من بريطانيا فانه مستعد للاعتراف ببعض حقوقها الخاصة فى جنوب شبه الجزيرة ، ولذا يصرف النظر مؤقتا عن حقوقه فى عدن ذاتها . لكن مسألة مكانة عدن يجب ان تحل ، برأى الامام ، فى اتفاقية منفصلة . وفى ٤ كانون الاول (ديسمبر) ۱۹۲۳ قدم العرشى الى باريت مشروع الاتفاقية الانكلويمنية الذى اعده الامام يحيى . وامتنع الامام يحيى فى هذا المشروع عن الاعتراف بالحماية البريطانية فى جنوب اليمن واصر على ان امارات الجنوب يجب ان تخضع بالكامل لامام الزيدية * * .

---

* Ibid., No 58.

* * Ibid.

ولئن كان الامام يحيى طوال عامين ونصف من مفاوضات العرشى فى عدن يتجنب الرفض الكامل للمشاريع البريطانية ويكتفى باجراء بعض التغييرات والتعديلات عليها ، ففى اواخر عام ١٩٢٣ التزم بموقف اكثر صلابة . وساعد على هذا التبدل استقرار الوضع الداخلى فى اليمن الزيدى وتعزز سلطة الامام يحيى الذى تمكن من اخماد قلاقل القبائل ذات الميول الانفصالية . زد على ذلك ان امارة الادارسة ، بعد وفاة محمد الادريسى المنافس العربى الرئيسى للامام يحيى فى الصراع من اجل السلطة فى اليمن ، لم تعد قادرة على الصمود امام الامام الزيدى الاقوى بعد ان نهشتها الصراعات والعداوات بين مختلف التكتلات .

وتقوت ثقة الامام يحيى خصوصا عندما اقام فى بداية عام ١٩٢٤ اتصالات مع ايطاليا وصار يستلم السلاح الايطالى الذى كان يصل الى مخا ومنها الى منطقة الجبل الزيدية * .

وبعد وفاة محمد الادريسى نشط جند الامام العمليات الحربية الرامية الى انهاء عزل اليمن الداخلى عن البحر الاحمر ، كما استأنفوا فى الوقت ذاته زحفهم الى اعماق محمية عدن . وفى تموز (يوليو) ١٩٢٣ احتلوا اراضى قبيلة الكتيب اليمنية الجنوبية ** .

وبناء على اقتراح وزير المستعمرات لم يرد الانجليز باى حال على هذه العمليات ، وذلك ليتم توقيع الاتفاقية مع الامام بصورة اسرع . الا ان احتلال اليمنيين الشماليين لامارة البيضاء فى ايلول (سبتمبر) ١٩٢٣ وتشدد موقف مبعوث الامام فى مفاوضات عدن قد قوضا اخيرا الخطط البريطانية لاخضاع امام الزيدية للنفوذ البريطانى .

ولم يسفر عن النتيجة المنشودة وعد الانجليز بتسليم الحديدة الى الامام الزيدى مقابل اعترافه بحدود ١٩٠٥ . فالامام يحيى كان مصمما على توحيد اليمن كله تحت سلطته

---

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 6.

** NAI, File 492-x, 1923. Treaty negotiations . . . , encl. to No 41.

ولم يوافق على اية تنازلات . وسرعان ما استدعى الامام مبعوثه من عدن دون ان يوقع اية اتفاقية .

وعندما كان مبعوث الامام يتفاوض مع ممثلى الادارة فى عدن وصل الى صنعاء فى اواخر عام ١٩٢٣ هارولد جاكوب النائب السابق للمقيم البريطانى فى عدن * . وقد اثارت هذه الزيارة الشخصية مختلف الاشاعات والاقاويل التى انعكست فى الصحافة فى الفترة ١٩٢٣-١٩٢٤ . ومن تلك الاشاعات النبأ القائل بان جاكوب وقع الاتفاقية الانكلويمنية فى صنعاء . وقد اقلق هذا النبأ الحسين ملك الحجاز لدرجة كبيرة ، فقد كان يخشى ان توجه هذه الاتفاقية ضده ، حتى انه بعث فى ٢٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٤ استجوابا عاجلا الى لندن بشأن صحة هذه الاشاعات . وسرعان ما جاءه الجواب بان بريطانيا لم توقع الاتفاقية مع امام اليمن بعد ، وان احكام الاتفاقية فى كل الاحوال لن تمس مصالح الحجاز ** .

كانت زيارة جاكوب الى الامام يحيى فى عام ١٩٢٣ قد ضللت صحافة العشرينات ، وليس الصحافة وحدها ، بل وبعض المستشرقين الغربيين والسوفييت والباحثين العرب الذين تصوروا خطأ ان مهمة جاكوب كانت رسمية وانه اقترح على الامام يحيى الاعتراف بسيادته فى محمية عدن ، بما فيها لحج وحضرموت ، وبذا اعرب عن وجهة نظر الحكومة البريطانية .

ولذلك ظلت المطبوعات العلمية حتى الآن تحتوى على رأى ثابت يقول ان «بعثة» جاكوب الى صنعاء فى عام ١٩٢٣ كانت من المحاولات الدبلوماسية لتوقيع الصلح مع امام اليمن . ونشأ انطباع وكأن بريطانيا اقدمت على تنازلات اقليمية كبيرة بموافقتها على تسليم حضرموت ، بل وحتى لحج ، الى الامام

---

* يؤكد المؤرخ الاميركى أ. فروجى خطأ ان جاكوب كان فى عام ١٩٢٣ مندوبا ساميا فى عدن . (Faroughi A. Introducing Yemen..., p. 60.) فلم يكن هناك عموما مثل هذا المنصب . ثم ان جاكوب فى تلك الفترة اعتزل السياسة ومارس التجارة . وقد وصل الى صنعاء ممثلا عن شركة «زيد» البريطانية «المحدودة» . انظر : (الارشيف الوطنى الهندى . الملف ٤٩٢ اكس ، رقم ٧) .

** NAI, File 492-x, 1923. Treaty negotiations ..., No 59.

يحيى ، مع ان هـــذه الاخيرة كانت دوما المرتكـــز الاساسى للسيطرة البريطانية فى محمية عدن . الا ان وثائق الارشيـــف الوطنى الهندى تدل على ان الامور كانت فى الواقع على غير ذلك تماما .

فعندما وصل جاكوب الى عدن فى تشرين الاول (اكتوبـــر) ١٩٢٣ اعلن للمقيم البريطانى «انـــــه الآن تاجر لا يمارس السياسة» * . الا ان جاكوب عندما وصل الى صنعاء تلبية لدعوة الامام يحيى انتحل صلاحيات ممثل الحكومة البريطانية وحاول ان يحصل على امتيازت اقتصادية وتجارية نافعة واعلن ان بريطانيا مستعدة لمنح الامام يحيى معونة مالية واسلحة وطائرات مـــع طيارين وفنيين لخدمتها ، وهى موافقة على الاعتراف بسيادته فى امارات جنوب اليمن ما عدا عدن * * .

ولم يستعجل الامام بالرد ، فهو يسعى الى الحصول عـــلى المزيد من التنازلات من جانب بريطانيا . وقرر ان يستفيد من جاكوب لاقامة اتصال مباشر مع لندن ، بتخطى الادارة فى عدن التى تضع ، كما خيل اليه ، عراقيل فى طريق تسوية كـــل المشاكل . وكتب الامام يحيى رسالة الى ملـــك بريطانيا جورج الخامس وكلف جاكوب بارسالهـــا الى لندن متصورا بانهـــم سيفهمونه هناك اكثر مما فى عدن * * * .

ولبى جاكوب طلب الامام وفعل ما اراد دون علم الادارة فى عدن . وقد ثارت حفيظة المسؤولين فيها من هذا النبأ ومـــن انتحال جاكوب لصلاحيات هو غير مخول بها فى وقت كانـــت المفاوضات مـــع العرشى تشرف على الانتهاء وكل الدوائـــر الاستعمارية البريطانية تناقش نتائجها وتناقش المشروع الجديد للاتفاقية مع الامام . وبعث الجنرال سكوت فى الحال رسالة الى الامام يحيى اعلن فيها ان جاكوب «لا يمت بأيـــة صلة لشؤون الدولة ولذا فان حكومتى لا تعير اهتماما لتصريحاته فى المسائل السياسية» * * * * .

---

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 8, p. 5.

* * Ibid., No 6, p. 8.

* * * Ibid.

* * * * Ibid., No 6.

وسرعان ما ورد من لندن جواب على رسالة الامـام واوصى الجواب بمراجعة المقيم البريطانى فى عــدن ، وليس جاكوب ، فيما يخص كـل المسائل * . وهكذا اخفقت محاولة الامـام يحيى لتخطى الادارة فى عدن . وفى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٤ عاد جاكوب من صنعاء الى عدن وظل فيها حتـى حزيران (يونيو) من العام نفسه .

لم يكن نشاط جاكوب «الموالى للامام» فـــى اليمن يروق للادارة فى عدن ، وكاد الجنرال سكوت ، على حد اعترافه فى برقية سرية الى وزير المستعمرات ، ان يطـرده من اليمن لولا انه يخشى «الفضيحة» ويخشى الاعلان الواسع عـــن واقع كون النائب السابق للمقيم البريطانى فى عدن يطبق الآن سياســة تتعارض مع مصالح بريطانيا .

وكانت الادارة فى عدن تخشى الاعلان عن ذلك لسبب آخر هو ان الرأى الذى انتشر فى كل مكان ، والقائل بـان جاكوب عرض رسميا على الامام يحيى اعتراف بريطانيا بسيادته عــلى محمية عدن كلها تقريبا لكن الامام رفض ، سيكون من مصلحــة الدبلوماسية البريطانية لانه يوفر لها الفرصة للاستفادة فـــى المستقبل من هذا الرفض لتبرير العمليات الحربية ضد الحركة التوحيدية اليمنية .

ولذا امتنعت الادارة عن تكذيب الاشاعات بخصوص «مهمة» جاكوب ولم تشجب تصرفه رسميا . وبنتيجة ذلك ظهر فــــى الصحافة ، وفيما بعد فى المؤلفات العلمية الخاصة بتاريـــــخ اليمن ، تفسير خاطئ لنتائج رحلة جاكوب الى صنعاء فــــى عام ١٩٢٣ ، ولم تكشف عن حقيقة هذه «المهمة» الا الوثائـــق الارشيفية .

ومن المهم بهذا الخصوص ان نورد على سبيل المقارنة مثالا على ردود الفعل الشديدة لدى الدوائر الاستعمارية البريطانيـــة على الانباء او المقالات الصحفية التى لا تروق لهـا . فقد نشرت «التايمس» اللندنية فى ١٢ آب (اغسطس) ١٩٢٦ مقالة بعنوان «الحكام العرب وعدن» عرضت فيها بالاساس نفس المبادىء التى

* NAI, File No 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 8.

يتمسك بها جاكوب . ويستفاد من مضمون المقالة ، كما اكـــد وزير المستعمرات امرى فى رسالة الى هيئـــة تحرير «التايمس» ان «امام صنعاء هو الحاكم الشرعى لليمن كله وان الانجليز فى عدن ضيوف ثقلاء» * .

وبعد اسبوع ، فى ١٩ آب ، نشرت «التايمس» رسالـــة اللورد لامنغتون الذى حاول فيها ان يصحح الاخطاء التى وقـــع فيها كاتب مقالة «الحكام العرب وعدن» ** ، وفى رسالـــة شخصية الى رئيس تحرير «التايمس» نصحه وزير المستعمرات بان يراعى فى المستقبل الملاحظات التى قدمت له «اذا وقعت فـــى يده مقالة من هذا النوع» *** . ان رد الفعـــل الشديد الذى اثارته مقالة صحفيـــة صغيرة لدى الحكومـــة البريطانية يدل بوضوح على ان حقيقة «مهمة» جاكوب ورحلته الى صنعاء فـــى ١٩٢٣ قد اخفيت عمدا عن الرأى العام . فقد تداركوا حادثـــة رحلة جاكوب وتمكنـــت الدبلوماسية البريطانية مـــن تفادى الفضيحة التى كانت تخشاها كثيرا .

والحال ظلت العلاقات بيـــن بريطانيا والامام يحيى دون تسوية . وخلافا لجهود بريطانيا تزايد نفوذ امام الزيدية ، فى حين راحت دويلة الادارسة التى انشئت بمساعدة الانجليـــز كدولة حاجزة ، تتقوض كبيت من ورق .

وبالاضافة الى الخطر الخارجى المنبعث من الزيدية والوهابية (احتل جند ابن سعود فى عام ١٩٢٣ شمال عسير كله ، كمـــا احتلوا فى عام ١٩٢٤ بعض مناطـــق جنوب عسير العائـــد للادارسة) نشب فى امارة الادارسة الصراع من اجل السلطة بين كبار حاكميها . وفى ربيع ١٩٢٤ اعلن مصطفى الادريسى الذى كان يسيطر على المناطق الجنوبية من امارة الادارسة ، بما فيها الحديدة ، عن استقلاله وشـــن حربا ضد ابن اخيه عـــلى الادريسى . وفى تشريـــن الاول (اكتوبر) ١٩٢٤ تمكن على بمساعدة مماليكه من اخماد ذلك التمرد واستعاد مؤقتا سلطتـــه

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, encl. to No 41.

** "The Times", 19.8.1926.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 41.

المتضعضعة فى جميع اراضى الامارة * . وبعد هذا الانتصار طرد الحاكم الشاب غير المحنك مستشارى ابيه السابقين وكـــــل الشيوخ الذين لهم ضلع فى عصيان مصطفى الادريسى . وبذلك حرم نفسه من تأييد اكبر القبائل التى كان المطرودون يتمتعون فيها بنفوذ كبير . وحاول على ان يشترى ذمم شيوخ القبائـــــل فانفق على ذلك كل اموال الخزينة وضيع بالتالى فرصة الاستفادة من «سلطة المال» فيما بعد .

وادت الازمة السياسية لدولة الادارسة الى اضعاف سلطتهم فى الساحل لدرجة كبيـــرة . وتهيأت للامام يحيى امكانيـــة الاستيلاء على الحديدة وفك الحصار عن الجبل بدون عون مـــن الانجليز . وفى عام ١٩٢٤ نشط جنده عملياتهم الحربية ضـــد الادارسة الذين يحتلون الساحل اليمنى . كان الامام يحيى فـــى السابق مشغولا باخماد عصيان قبائل الجبل اما الآن بعد قمـــع الحركات الانفصالية ، فقد تمكن مـــن تخصيص قوات كبيرة لمكافحة الادارسة . وتقوت صلات الامام بايطاليا التى زودتـــه بالسلاح ، واثار ذلك قلقا شديدا لدى الادارة فى عدن .

وفى ١٧ نيسان (ابريل) ١٩٢٤ بعث المقيم البريطانى فى عدن الجنرال سكوت برقية مستعجلة الى لندن جاء فيها ان الامام «فى الوقت الحاضر يميل بوضوح الى التوجه صـــوب ايطاليا» . وافاد المقيم البريطانى «ان خط التلغراف افتتح بيـــن الامام واريتريا وان حاكم اريتريا بعث الى الامام تهنئة من صميم القلب بهذه المناسبة» * * .

بديهى ان ارساليات الاسلحـــة والذخيرة الايطالية عززت قدرات جند الامام وساعدت بقدر ما على طرد الادارسة مـــن الساحل اليمنى . الا ان السبب الاساسى لانتصار الزيدية هـــو انتقال القبائل الشافعية فى تهامة اليمن وبعض قبائل عسير الى صف الزيدية . وكـــان استئناف الشريان التجارى الاقتصادى التقليدى الذى قطعه الانجليز بصورة مفتعلة بين المنطقـــة الجبلية فى اليمن وساحل البحر الاحمر هو العامل الرئيسى الذى

* "The Times", 14.4.1925; Survey of international affairs, 1925, vol. 1, p. 322.

* * NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 6.

خفف لدرجة كبيرة من النزاعات الطائفية القديمة بين الشافعية والزيدية .

وقطعت احدى قبائل تهامة مواصلات الادارسة التى تربط بين ابو عريش والحديدة ، وبذلك قدمت دعما نشيطا للامام يحيى . وفى الوقت ذاته تمردت على الادارسة قبيلة الشيخ مصطفى النعيمى . وكفت القبائل القريبة من الصبية ، عاصمة الادارسة ، عن تأييد على الادريسى ، وانتقل بعض قادة عساكره الى قوات الامام يحيى . ولم يبق على الولاء للادريسى الا حرسه المكون من المماليك * .

وانتهز الزيدية فرصة تقوض امارة الادارسة من الداخل فاستطاعوا فى عام ١٩٢٥ ان يطردوهم من قسم كبير من اراضى تهامة اليمن واحتلوا مراكز سكنية كبيرة ، بما فيها باجل التى اعتقلت فيها بعثة جاكوب عام ١٩١٩ . وفى بعض قطاعات الجبهة اخترقت الفصائل اليمنية الحصار ووصلت الى سواحل البحر * * . الا ان اتجاه الضربة الرئيسى تركز على الحديدة الهدف الاول لحرب الامام يحيى ضد الادارسة .

وفى ٢٧ اذار (مارس) ١٩٢٥ تم بلوغ هذا الهدف . واحتلت القوات اليمنية بقيادة الامير احمد نجل الامام يحيى مدينة الحديدة وبعد ذلك بقليل ، وبالتعاون مع قبائل تهامة ، طردت الادارسة من الساحل اليمنى وازاحتهم حتى مدينة ميدى * * * . وعلى اثر احتلال الحديدة اتخذ الزيديون عدة تدابير لاستئناف التجارة الخارجية اليمنية باسرع ما يمكن . وبقرار من الامام يحيى خفضت الضرائب الجمركية على البضائع التصديرية من ١٠٪ الى ٢٪ ، وعلى البضائع المستوردة من ١٠٪ الى ٥ر٢٪ . ووعد الامام اهالى تهامة بتخفيض بعض الضرائب الاخرى التى ارتفعت كثيرا فى ظل حكم الادارسة * * * * .

وهكذا استولى اليمانيون الشماليون ، بدون معونة الانجليز ، على الحديدة المركز الحساس فى التجارة الخارجية

* "The Times", 10.3.1925.

* * Survey of international affairs, 1925, vol. 1, p. 322.

* * * NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 23.

* * * * Ibid.

اليمنية ، الامر الذى بدد نهائيا آمال الدبلوماسية البريطانية فى استخدام الحديدة «كورقة رابحة» فى المفاوضات بشأن اعتراف الامام يحيى بحدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن .

وفى الوقت ذاته اخذت الاوساط الاستعمارية البريطانيـــة تفهم حتمية سقـــوط امارة الادارسة التى خلقوهـــا بصورة مصطنعة . ولذا وزنت بريطانيا الامـــور بسلبياتها وايجابياتها وصممت على ترك حليفها الميئوس منه فى كف القدر .

ذلك هو مصير الدويلة المفتعلة التى ادت كل الوظائـــف التى كلفتها بها حليفتها الاكبـــر . ونعيد الى الاذهان كيـــف استخدمت ايطاليا الادارسة فى فترة الحرب العثمانية الايطالية ، وكيف تخلت عنهم فيما بعد . والآن ادركت بريطانيا حتميـــة هزيمة الادارسة فقررت الا تنفق الاموال عبثا على استعادة مـــا تتعذر استعادته .

وفى برقية بعثها وزير المستعمرات فى حكومة المحافظيـــن الى المقيم البريطانى فى عدن فى السادس مـــن نيسان (ابريل) ١٩٢٥ جاء فيها ان الحكومة البريطانية ترى ان اتفاقية ١٩١٥ مع الادريسى لم تعد سارية المفعول . وكتب الوزير يقول : «يتعين عليك ان تتمسك فقط بالمادة الرابعة من اتفاقية ١٩١٧ مـــع الادريسى» . وكان المفروض ان يجرى تبرير التخلى عن الادريسى بكون المادة الرابعة من الاتفاقية المذكورة تتضمن ارسال السلاح وتأمين الحماية دون الاعمال العدائية الصادرة عن دول اجنبيـــة وليس عن حكام عرب مجاورين . واعلـــن وزير المستعمرات صراحة فى البرقية السرية الى المقيم البريطانى «ان الحكومـــة البريطانية لا تزود بالسلاح اولئك الذين ليست لديهم مكانـــة راسخة» * .

وسرعان ما ابلغ المقيم البريطانى ، عملا بتوجيهات لندن ، على الادريسى بان بريطانيا قررت ان تلتـــزم الحياد فى النزاع بين الادارسة والامام يحيى * * . وفى اواخـــر نيسان (ابريل) كلف سفيرا بريطانيا فى باريس وروما باشعار حكومتى فرنســـا

---

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 40.

* * Ibid., No 53.

وايطاليا بحياد بريطانيا فى «النزاع اليمنى الداخلى» ودعوتهما الى التزام مثل هذا الموقف اذا حاول الامام يحيى او الادريسى الحصول على السلاح من احدى هاتين الدولتين * . وفى ايار (مايو) ١٩٢٥ اقترحت بريطانيا على هذين البلدين توقيع اتفاقية بشأن حظر ارسال السلاح الى اليمن وعسير ، وبعد ضغوط معينة قبلت حكومات ايطاليا وفرنسا وبلجيكا هذا الاقتراح . واوضحت السلطات الاستعمارية البريطانية بواعث هذا الحظر انطلاقا من الرغبة فى «تضييق نطاق العمليات الحربية بين الامام يحيى والادريسى» حقنا للدماء ** . الا ان الانجليز فى الواقع كانوا يسعون الى الحيلولة دون تقوية الامام يحيى وحرمان الدول الاخرى فى الوقت ذاته من اية فرصة للتدخل فى شبه الجزيرة العربية .

فى عام ١٩٢٥ نشأ موقف متماثل تقريبا فى اليمن والحجاز ، فهنا وهناك كانت الابادة التامة تهدد حلفاء بريطانيا (الادارسة فى اليمن والهاشميين فى الحجاز) . ففى الحجاز كانت نتائج المرحلة الاولى من حرب ابن سعود ضد الملك حسين الذى اعلن عن نفسه ، خلافا لرغبة بريطانيا ، ملكا وخليفة للعرب ، ترضى المستعمرين البريطانيين تماما . فقد ازيح الملك حسين المتشدد وحل محله ابنه على الذى لم يتجرأ على انتهاج خط ابيه العربى والاسلامى الجامع . الا ان تقوية نجد فيما بعد وخطر التهديد التام الذى ظهر فى عام ١٩٢٥ لاحتواء الحجاز بالكامل كان من شأنهما ان يحبطا المخططات البريطانية لتجزئة الجزيرة العربية الى دويلات صغيرة . ولذا جهد المستعمرون البريطانيون بمختلف الوسائل ، ومنها حظر ارسال السلاح الى الحكام العرب ، للحيلولة دون تدخل الدول الغربية الاخرى فى النزاعات فى الجزيرة العربية .

الا ان آمال الدبلوماسية البريطانية فى الاتفاقية بشأن حظر ارسال السلاح لم تتحقق . فمع ان ايطاليا وقعت هذه الاتفاقية فقد ظلت تزود اليمانيين بالاسلحة وتطبق بالتالى سياستها

---

* Ibid., No 46, 46a.

** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 15, encl. 1.

الرامية الى جر اليمن الى فلك نفوذها .

وكان الامام يحيى ، وهو سياسى ذكى بعيد النظر ، قد استفاد بمهارة من ازمة امارة الادارسة ومن رغبة ايطاليا فى «التعاون» معه مدركا ان هذه الرغبة ليست نزيهة بالطبع .

كان برنامج الحد الادنى بالنسبة للامام يحيى فى عام ١٩٢٥ قد طبق فى الواقع . فقد تمت تصفية الانعزال عن البحر وتوحد شمال اليمن كله تقريبا تحت سلطته . الا ان اراضى اليمن الجنوبى ظلت تحت الحماية البريطانية ، كما ظل جنوب عسير تحت سيطرة الادارسة . وكان النضال من اجل هذه الاراضى بزعامة الزيدية قد حدد سير الاحداث اللاحقة فى جنوب شبه جزيرة العرب .

فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٥ استأنفت القوات اليمانية زحفها فى اعماق محمية عدن واحتلت مساحات شاسعة من اراضى اتحاد قبائل العودلى * . وفى بداية حزيران (يونيو) ١٩٢٥ احتلت فصائل الامام بدعم من قبيلة الفضلى كل اراضى العودلى .

وفى ٤ حزيران ١٩٢٥ اخبر المقيم البريطانى الجديد فى عدن الجنرال كيس ستيوارت وزير المستعمرات بان الزيديين احتلوا كل المناطق الجبلية الداخلية شمال شرقى عدن ، ما عدا اراضى يافع والعوالق ** .

واثار ذلك بخاصة قلق الادارة فى عدن . فالزيديون فى السابق كانوا يقتحمون المناطق الحدودية فى محمية عدن ، لكن احتلال العودلى الآن ، كما جاء فى التقرير الذى بعثه الجنرال ستيوارت ونائبه الميجر ريلى الى لندن ، يفتح امام الزيديين طريق حضرموت ومنطقة قبيلة الفضلى المتاخمة مباشرة لمستعمرة عدن . وقد وصل جند الامام يحيى الى نقطة تبعد ٤٠ ميلا عن ساحل خليج عدن ، وهذا ينطوى على خطر بتر الجزء الشرقى كله من المحمية عن عدن . وبغية ازالة هذا الخطر اقترحت الادارة العدنية استخدام طائرات حامية عدن من جديد ضد اليمانيين مثلما فى عام ١٩٢٢ . وكان من المرتأى ان يقترن القصف الجوى

---

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, encl. to No 63.

** Ibid., No 61.

بعمليات برية تقوم بهـا العساكر اليمنيـة الجنوبية الموالية للادارة فى عدن * . وبعد النظر فى اقتراح ستيـوارت وريلى وافقت لندن فى ٢٦ حزيران (يونيو) ١٩٢٥ على شن الغارات الجويـة ** . وفى تموز – آب (يوليـو – اغسطس) ١٩٢٥ قصفت الطائرات البريطانية بانتظام الفصائل الامامية لجند الامام يحيى فى اراضى العودلى ، بما فيها بلدة لودر . وشنت سبـع غارات شاركت طائرتان فى خمس منها وثلاث طائرات فى غارتين منها . والقى اكثر من ٦٠ قنبلة واطلق حوالى ٢٠٠٠ رصاصة . وبنتيجة القصف قتل حوالى مائة من اليمانيين *** . فى بادئ الامر اثار القصف الرعب بين جند الامام الذيـن فروا مذعورين . وانتهزت الوحدات العشائرية التـى شكلتها سلطات عدن هذه الفرصة فاحتلت القرى التى تركها الزيديون . ولكنه سرعان ما اتضح ان سلاح الجو فى حامية عدن ، وهو مكون من بضـع طائرات ضعيفة قصيرة المدى ، عاجز عن تأمين تغطية جويـة فعالة . وادى سوء الطقس والعطل المتكرر فى الطائرات العتيقـة الى فرار الوحدات الموالية لبريطانيا من القرى التى احتلتها بعد ان ظلت لوحدها فى مواجهة جند الامام يحيى **** .

وفى ٥ آب (اغسطس) ١٩٢٥ كتب المقيم البريطانى فى عدن الجنرال ستيوارت فى تقرير سرى الى وزير المستعمرات امرى يقول «لقد مر ذلك الزمان الذى كان فيـه الامام يستطيع ان يتخلى عن ادعاءاته فى المحمية مقابل وعـد بمساعدته فى طرد الادريسى من الحديدة . فالآن ، حيث استولى الامام على الحديدة بدون مساعدة بريطانيا واقام علاقات ودية مع دولة اوربيـة (ايطاليا) ، لن يتخلى عن ادعاءاته . . . وقـد اشار الى ذلك بوضوح قولا وفعلا . ففى سياق المفاوضات الطويلة مع سلطات عدن لم يعترف بحقوق بريطانيا فى المحمية . ولم يفوت ادنـى فرصة فى الوقت ذاته ليحتل اراضى المحمية عندما يشعر بانه

---

* Ibid., No 63.

** Ibid., No 69-71.

*** Ibid., No 110.

**** Ibid., No 116.

يتمتع بقوة كافية . وقد حاول المقيم البريطانى فى عدن سابقا (الجنرال سكوت) ان يطبق بالطرق الدبلوماسية سياسة حكومة صاحب الجلالة الرامية الى استئناف حدود المحمية السابقة . ولم يستخدم القوة (سلاح الجو) الا مرة واحدة فى عام ١٩٢٢ . . . وتبين الممارسة ان الدبلوماسية وحدها غير كافية لبعث حدود المحمية . ولذا يغدو استخدام القوة محتما ان آجلا او عاجلا» * .

واشار المقيم البريطانى فى تقريره الى ان الطائرات الموجودة فى عدن من طراز «بريستول» ضعيفة قصيرة المدى ولذا فلا يرجى خير من استعمالها . واقترح ستيوارت استبدال هذه الطائرات بسرب من قاذفات القنابل الحديثة التى تسهل كثيرا ، فى رأيه ، مهمة شن العمليات ضد جند الامام يحيى ** .

ووافقت وزارة المستعمرات على تعزيز حامية عدن بسرب من قاذفات القنابل *** . وايدت وزارة الحربية البريطانية كذلك اقتراح المقيم البريطانى . فقد جاء فى برقية سرية بعثتها وزارة الحربية الى وزارة المستعمرات فى ٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ «ان العمليات الجوية فى مثل هذه الحالة هى الوسيلة الارخص والاكثر فعالية المتوفرة لدينا» **** . واوصت وزارة الحربية بالاستمرار فى تزويد قبائل جنوب اليمن الموالية لبريطانيا بالسلاح والعتاد واستخدامها فى العمليات الحربية ضد اليمانيين الشماليين .

ورغم موافقة وزارة المستعمرات ووزارة الحربية على تعزيز سلاح الجو فى حامية عدن اوصت وزارة الخارجية البريطانية (شمبرلين) فى رسالة توجيهية مؤرخة فى ١٧ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٥ بالاستفادة حتى النهاية من امكانيات المفاوضات قبل شن الحرب على الامام .

واوضحت الرسالة هذا الموقف الحذر على النحو التالى : «بعد افول سلطة الملك حسين والادريسى غدا الامام يحيى الحاكم

* Ibid., No 28.
** Ibid.
*** Ibid., No 92.
**** Ibid., No 99.

الثانى فى الجزيرة العربية بعد ابن سعود . ومعروف انه اقام اتصالات وثقى مع الطليان ولذا يجب تقوية تأثير بريطانيا عليه عن طريق اضعاف تأثير ايطاليا . واذا شنت حكومة صاحب الجلالة عمليات حربية سافرة ضد الامام فستجعله يشيح بوجهه عن بريطانيا ويقوى صلاته مع ايطاليا بقدر اكبر . وان تدخل ايطاليا فى شؤون الجزيرة العربية ، برأى الوزير شمبرلين ، امر غير محمود اطلاقا ، ولهذا السبب وحده يعترض الوزير شمبرلين على تعزيز حامية عدن بسرب من قاذفات القنابل المخصصة لشن الحرب على الامام ، ويرى ان من الضرورى ابداء اقصى حد من التأنى والصبر فى العلاقات مع هذا الحاكم . ويرى وزير الخارجية شمبرلين بانه لا يجوز القيام باية عمليات بل لا يجوز حتى التحضير لاية عمليات ضد الامام بدون توصية شخصية من الوزير امرى وموافقة من مجلس الوزراء» * .

ان السبب الرئيسى لتخلى لندن مؤقتا عن استخدام القوة ضد الامام يحيى هو عدم رغبة بريطانيا فى الدخول فى نزاع مع ايطاليا عشية انعقاد المؤتمر الدولى الذى كان مقررا ان يفتتح فى لوكارنو فى الخامس من تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٥ . وكان الانجليز ينوون فى هذا المؤتمر جر ايطاليا الى تحالف الدول الغربية المناهض للسوفييت ، حيث اقترحوا عليها ان تغدو ، الى جانب بريطانيا ، الضامن الثانى لحلف الراين الموجه ضد الاتحاد السوفييتى . وهكذا كانت سياسة بريطانيا فى اوربا متشابكة تشابكا وثيقا مع سياستها فى الشرق الاوسط . وفى ٤ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٥ اتصل وزير المستعمرات امرى بالمقيم البريطانى فى عدن واخبره بان «حكومة صاحب الجلالة ترى من الضرورى الاستمرار حتى النهاية فى امكانيات المفاوضات قبل شن الحرب على الامام» * * .

وانطلاقا من هذا التوجيه ردت الادارة فى عدن بالموافقة على اقتراح الامام يحيى بشأن ارسال ممثل عن بريطانيا الى صنعاء للتفاوض حول توقيع اتفاقية انكلويمنية . ومع ان

---

* Ibid., No 108, encl. to No 2.

* * Ibid.

الجنرال ستيوارت تصرف على هذا النحو فقد قال فى تقرير الى امرى انه يتوقع بان الامام يحيى عندما وافق على المفاوضات يريد فى الحقيقة مشاغلة بريطانيا وكسب الوقت لانجاز دحر امارة الادارسة وتعزيز مواقعه فى الحديدة لدرجة اكبر * .

وقد اثبت سير الاحداث لاحقا صحة هذا التوقع . فان حالة «اللاحرب» نافعة فعلا بالنسبة للامام يحيى فى علاقاته مع بريطانيا ، وذلك لان الموقف السياسى فى اليمن كان لصالحه . زد على ذلك ان امكانيات المناورة السياسية عند الامام يحيى ازدادت بسبب اشتداد التناقضات بين بريطانيا وايطاليا فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر .

٢ . مهمة كلايتون فى صنعاء

فى اواخر عام ١٩٢٥ قررت الحكومة البريطانية القيام بالمحاولة الثانية لارسال بعثة دبلوماسية رسمية الى صنعاء . ورشح وزير المستعمرات امرى الجنرال كلايتون لاداء هذه المهمة ** . وبعد النظر فى عدة ترشيحات اخرى وافق مجلس الوزراء على اقتراح امرى واقر تعيين كلايتون رئيسا للبعثة البريطانية الى صنعاء .

كان القرار بارسال هذا الرجل البارز فى المخابرات والدبلوماسية البريطانية الى صنعاء دليلا على الاهمية الكبيرة

---

* Ibid., No 121, encl. 4 to No 109.

** خدم كلايتون فى صفوف فيلق كيتشنير وشارك فى دحر الجيش السودانى وفى تحويل السودان الى مستعمرة بريطانية فى الواقع . وفى عام ١٩١٤ عين مديرا لادارة المخابرات العسكرية والسياسية فى الشرقين الادنى والاوسط ، اى مديرا لما يسمى «بالمكتب العربى» حيث عمل لورنس تحت اشرافه مباشرة . وفى عام ١٩١٧ حصل كلايتون على رتبة عميد . وشارك مشاركة نشيطة فى ادارة فلسطين وفى تسوية النزاعات الحدودية بين اتباع بريطانيا فى القسم الغربى من الجزيرة العربية . وفى عام ١٩٢٥ انجز كلايتون بنجاح المفاوضات مع ابن سعود حيث تم توقيع اتفاقيتى الحدود بين نجد من جهة والعراق وشرق الاردن من جهة اخرى .

التى تعلقها بريطانيا على اليمن . ففـــــى ظروف انتصار ثورة اتاتورك فى تركيا وتصاعد النضال التحررى المناهض لبريطانيا فى فلسطين والسودان ومصر وشرق الاردن ، وتعزز ابن سعود الذى احبط المخططات البريطانية لعزل نجد لم تتجرأ الاوساط الحاكمة فى بريطانيا على استخدام القوة الفظة ضد اليمن .

وكتب وزير المستعمرات امرى فى توجيه الى كلايتون قبل سفر هذا الاخير الى عدن يقول : «مـــــن الضرورى اقناع الامام بتوقيع مشروع الاتفاقية» الذى ارسل الى المقيم البريطانى فـــى عدن ببرقية سرية فى ٤ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٤ * . ونص هذا المشروع على ان تعترف بريطانيا باستقلال اليمن ، بينما يعترف الامام يحيى من جانبه باتفاقيات الحماية الموقعة بين بريطانيـا وامارات اليمن الجنوبى ولا يخرق الحدود التى رسمتهـا اللجنة الانكلوعثمانية . ونـــص المشروع على التزام الطرفيـــن بعدم الاعتداء على بعضهما البعض . ومن بنود المشروع الهامة التزام الامام يحيى بطلب السلاح من بريطانيا وحدها والحيلولـة دون ورود السلاح الى اليمن من اى بلـــد آخر ** . وكلف كلايتون بالتلميح الى امام اليمن بان الحكومة البريطانية لا تنوى الاقدام على اية تنازلات بخصوص حدود محمية عدن وبان انسحاب قوات الامام فورا من اراضى المحمية شرط ضرورى لتوقيع الاتفاقيـــة معه *** .

ورغم الحياد الذى اعلنته بريطانيا فى النزاع بين الزيدية والادارسة كانت السلطات الاستعمارية البريطانية لا تريد هزيمة الادارسة بالكامل وتصفية امارتهم . ولذا كان المرتأى بعــــد توقيع الاتفاقية الانكلويمنية ان تناقش مع الامام يحيى مسألـة مستقبل امارة الادارسة . وفى ظروف طرد الادارسة تقريبا من اراضى تهامة اليمن اقترح المقيم البريطانى فى عدن ان يخبـــر كلايتون الامام بان بريطانيا لا تؤيد ادعاءات الادريسى فـــى الحديدة والاراضى المتاخمة لها . الا ان الادارة فى عدن كانـــت تنوى اثناء المفاوضات طرح مسألة استقلال الادريسى فـــى

---

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 145.

* * Ibid., No 115.

* * * Ibid., No 145.

الاراضى التى كانت فى حوزتـــه اثناء توقيع اتفاقية ١٩١٧ الانكلوادريسية ، وذلك بغية الحيلولة دون استمرار زحف جند الامام * .

كان موقف بريطانيا هذا نابعا من قلقها من احتمال توجـه الادريسى ، فى ظل الحياد البريطانـــى ، الى فرنسا او ايطاليا لطلب المساعدة وتقديم جزر فرسان اليها ، فهى واقعـة ضمن امارة الادارسة . وكانت جزر فرسان التى اكتشف فيها البترول آنذاك تتسم كذلك بأهمية استراتيجية صرف . ففى عام ١٩١٩ انشأت بريطانيا فى هذه الجزر مطارات غدت قواعـد للطائرات التى يستخدمها الانجليز فى عملياتهم لمراقبة اراضى الامام يحيى والادريسى ** . وكانت السلطات الاستعمارية البريطانية ترى بانه لا يجوز منح امتياز التنقيب عن البترول فى هذه الجزر الى اى بلد آخر . وفى حالة استيلاء امام اليمـــن على هذه الجزر يمكنه ، كما تعتقد لندن ، ان يسلم امتيازات البترول الى دولة اجنبية ما *** . ولذا تقرر القيام بمحاولة دبلوماسية للحيلولة دون تصفية امارة الادارسة بالكامل .

كان احتمال نجاح مهمة كلايتون ضعيفا . ولذلك ، على مـــا يبدو ، كان قائد القوات الجوية البريطانية فى الشرق الادنـــى المارشال اولفـــر سوين ، بعد زيارة قام بهـــا الى عدن فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٥ قد اوصى وزارة الطيران فـــى تقرير سرى قبل بدء المفاوضات فى صنعاء بزيادة طائرات حامية عدن حتى تصل الى سرب من قاذفات القنابـــل البعيدة المدى والتى تستطيع ان تبلغ اجواء اليمن الداخلية **** .

وفى ٢٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٦ بـــدأت المفاوضات الانكلويمنية فى صنعاء . وعرض الجنرال كلايتون ، انطلاقا من توجيه حكومته ، على الامام مشروع الاتفاقية الذى توافـــق بريطانيا بموجبه على الاعتراف باستقلال الامام يحيى فى اراضى اليمن الشمالى فقط ، وينبغى عـــلى الامام بدوره ان يعترف

* Ibid., No 47, 160.

** Ibid., No 147.

*** Ibid., No 138.

**** Ibid., encl. 2 to No 170.

بالحدود التى رسمتها اللجنة الحدودية الانكلوعثمانية وباتفاقيات الحماية البريطانية فى امارات اليمـــن الجنوبى . الا ان الامام يحيى الذى يدرك بان القبول بالشروط البريطانية يعنى تكريس التقسيم الانكلوعثمانى لليمن الى شطرين قانونيا ، قد اعلن بان اليمن الذى تحكمه السلالة الزيدية مستقل منـــذ ١٠٦٠ عاما . وان السيطرة العثمانية على اليمن كانـــت ظاهرة وقتية ، ولذا فالامام لا يريد الا الاعتراف بحقوقه الشرعية فى اليمن المستقل الذى يضم ايضا الامارات الواقعة تحت الحمايـــة البريطانية * . وفى ٣ شباط (فبراير) ١٩٢٦ عرض الامام يحيى على الانجليـز مشروعه للاتفاقية . ويستند هذا المشروع الى موافقة الامام على «الاحتلال المؤقت لعدن والمناطق المتاخمة لها من قبل بريطانيا» والالتزام بعدم ارسال القوات الى الاراضى التى لم يدخلها بعد ، اى ان الامام ظل مصرا على حقه فى حكم اليمن كله ، بما فيـه عدن ويرفض سحب قواته من اراضى المحمية ** . وقد رفض كلايتون هذا المشروع . وكان عليه ان يختار احد امرين ، فاما ان يقطع المفاوضات واما ان يجرى بنفسه بعض التعديلات على الاتفاقية التى وضعتهـــا السلطات البريطانيـــة ، ويحافظ على اتجاهها الاساسى . واختار كلايتون الامر الثانى ، وذلك فـــى محاولة للعثور على صياغة تضمن انسحاب جند الامام من اراضى محمية عدن *** . وفى ١٠ شبـــاط (فبراير) ١٩٢٦ عرض كلايتون على الامام مشروعا محورا بعض الشىء وفيه طائفة كاملة من التناقضات . فالبند الاول من المشروع ينص على ان مسألة حق الامام فى بعض اراضى المحمية ورسم «حدود اليمن الجنوبية» تؤجل لغرض المناقشة فى المفاوضات القادمة ، لكن البند الثانى يطالب الامام بالاعتراف باتفاقيات الحماية التى وقعتها بريطانيا مع امارات محمية عدن وقبوله الالتزام «بالحيلولة بكل الوسائل دون اى تدخل للقوات المسلحة من خلال الحدود التى رسمـــت فى اعوام ١٩٠٣ و١٩٠٤ و١٩٠٥ وصادقـــت عليها الحكومتان البريطانية والعثمانية فى عام ١٩١٤» . وبموجب البند الثالـــث

---

* Ibid., notes, p. 32.

** Ibid., notes, annex. 6, pp. 23-24.

*** Clayton G. An Arabian diary. California, 1969, p. 238a.

يتعين على الامام ان يسحب قواته من اراضى محمية عدن فى غضون ستة شهور .

ورفض الامام يحيى شروط مشروع كلايتون ، وتقدم ، من جهته فى ١٤ فبراير (شباط) ١٩٢٦ بمشروع ثان وافق فيه على ترك مسألة الحدود الجنوبية معلقة وتأجيل مناقشتها حتى المفاوضات التالية والتزم بعد الاخلال بالوضع القائم فى اراضى محمية عدن الى ان يتم توقيع الاتفاقية النهائية . وبعبارة اخرى تعهد الامام بعدم التوغل فى اعماق المحمية ، لكنه رفض فى الوقت ذاته سحب قواته من الاراضى التى ترابط فيها .

كان المشروع اليمنى الجديد اكثر اعتدالا من موقف الامام يحيى فى فترة المفاوضات بين العرشى وريلى (١٩٢١-١٩٢٣) . وهو يدل على رغبة الامام فى الابقاء على الحدود الجنوبية لاراضيه كما هى . وكان هذا التحول فى موقف الامام متأثرا لدرجة كبيرة بتعزز ابن سعود الذى ضم الحجاز كله الى نجد حتى عام ١٩٢٦ . ولم يكن بين اليمن وبين الحجاز ونجد سوى امارة الادارسة الضعيفة (جنوب عسير) التى يدعى كل من ابن سعود والامام يحيى بعائديتها له سواء بسواء . وكان الامام يعتقد ان ضم جنوب عسير الى اراضيه فى مثل هذا الموقف اكثر الحاحا ، ولذا وافق على بعض المساومات مع بريطانيا .

الا ان كلايتون رفض هذه المرة مشروع الامام وطالب بحزم ، انطلاقا من توجيهات لندن ، بسحب القوات اليمنية بالكامل من اراضى محمية عدن .

ولم يتوصل الطرفان الى اتفاق فى سياق المفاوضات . ولم يوافق الامام على المشروع النهائى الذى تقدم به كلايتون فى ١٨ شباط (فبراير) ولم يكن يختلف كثيرا عن سابقه ، ولم يبق امام كلايتون الا ان يغادر صنعاء .

وعلى اثر عودة كلايتون الى لندن عقد فى وزارة المستعمرات فى الخامس من آب (اغسطس) ١٩٢٦ اجتماع مغلق لممثلى وزارات الخارجية والمستعمرات وشؤون الهند ووزارة الحربية ووزارة الطيران وغيرها من الدوائر حيث نوقش تقرير كلايتون عن المفاوضات فى صنعاء . وفى سياق المناقشة نظروا فى ثلاث صيغ لتسوية العلاقات مع الامام يحيى . ونصت الصيغة الاولى

على «طرد جند يحيى بالقوة فورا» ونصت الثانية على ابقاء الوضع على حاله وتوقيع اتفاقية مع الامام رغم بقاء قواته فى اراضى المحمية ، ونصت الصيغة الثالثة على توقف المفاوضات مع الامام وعدم استخدام القوة قبل ان يقوم الامام «بغزو» جديد لاراضى المحمية ، وكذلك الاستفادة من الادريسى كقوة فى مواجهة الامام يحيى . وقرر الاجتماع ان القيام بحملة كبيرة ضد الامام امر سابق لاوانه ، وان افضل مخرج من الورطة هو تعزيز القوات الجوية فى عدن بحيث يمكن بواسطتها فى المستقبل ارغام الامام على سحب عساكره من اراضى محمية عدن * . وكان هذا القرار يعكس اتجاها عاما ارتسم فى السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية فى اواسط العشرينات . وفى ظل تصاعد النضال التحررى الوطنى ضد السيطرة البريطانية (فى عام ١٩٢٦ اندلعت انتفاضات ضد الانجليز فى الهند ومصر وكردستان وفلسطين وشرق الاردن) لم يكن بوسع بريطانيا التى بنت جيشها على اساس التطوع الحر ان تحتفظ بقوات دائمية فى جميع اراضى الامبراطورية البريطانية الشاسعة . وفى محاولة للتعويض عن قلة القوات علق الانجليز آمالهم على استخدام سلاح الجو لاخماد الانتفاضات المناهضة لبريطانيا فى اواسط العشرينات ، كما فعلوا فى اليمن .

وبعد اخفاق مهمة كلايتون تخلت السلطات الاستعمارية عن الاستمرار فى المحاولات الدبلوماسية وراحت تستعد لشن عمليات حربية ضد العساكر اليمنية . وكان اخفاق مهمة كلايتون بداية لتشدد موقف بريطانيا ازاء اليمن ، وقد ساعد ذلك فى نفس الوقت على تقوية العلاقات بين الامام يحيى وايطاليا ، الامر الذى ادى الى اشتداد التنافس الانكوايطالى فى جنوب الجزيرة العربية .

٣ . التنافس الانكلوايطالى فى اليمن فى العشرينات

كانت بريطانيا فى سياستها الخارجية تسعى الى استخدام ايطاليا بمثابة وسيلة لتقييد النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 4.

المتوسط وافريقيا ، ولا سيما فى جيبوتى فى شمالها الشرقى . وكان هدف الامبريالية الفرنسية فى هذه المنطقة هو التوغل فى الحبشة وايجاد رأس جسر لمواصلة التوسع باتجاه السودان .

وكانت الاوساط الحاكمة البريطانية تخشى تغلغل فرنسا فى السودان وتفضل وجود ايطاليا الضعيفة فى هذه المنطقة بدلا من فرنسا القوية . ولذا وافقت بريطانيا على ان تحول ايطاليا منطقة عصب التى تمتلكها منذ عام ١٨٦٩ على الساحل الغربى من البحر الاحمر الى مستعمرة لها .

وكانت انتفاضة الشعب السودانى ضد الانجليز التى اندلعت فى آب (اغسطس) ١٨٨١ بقيادة محمد احمد «المهدى» والانتفاضة الوطنية فى مصر التى تزعمها عرابى باشا فى ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٨١ حافزا جعل بريطانيا تشجع التوسع الايطالى فى شمال شرقى افريقيا . وكان المستعمرون البريطانيون ينوون من وراء تشجيع مخططات الغزو الايطالية ان يستخدموا ايطاليا بمثابة حليف هم بحاجة ماسة اليه فى فترة اشتداد التناقضات الانكلوفرنسية وتصاعد حركة التحرر الوطنى فى مصر والسودان . وبمبادرة من بريطانيا وقعت فى ١٥ شباط (فبراير) ١٨٨٢ اتفاقية انكلوايطالية بشأن مسألة المعاهدة التى اعترفت بريطانيا بموجبها بعائدية عصب الى ايطاليا .

وبعد الحصول على موافقة بريطانيا سجلت الحكومة الايطالية فى ١٠ اذار (مارس) ١٨٨٢ قانونيا حقها فى ملكية عصب ، وفى ٥ تموز (يوليو) ١٨٨٢ حولت هذه المنطقة الى مستعمرة لها .

ومع ان بريطانيا عززت مواقعها كثيرا فى شمال افريقيا باحتلال مصر فى عام ١٨٨٢ فانها لم تتمكن من تحقيق مثل هذا النجاح فى السودان . فبعد ان تكبد المستعمرون البريطانيون عدة هزائم امام المهديين فى ربيع ١٨٨٤ قرروا اجلاء القوات المصرية من الساحل الغربى للبحر الاحمر جنوبى مصوع التى كان خديوى مصر قد استأجرها سابقا من الاستانة ، وزج تلك القوات لاخماد انتفاضة المهدى . وتقرر ملأ الفراغ هناك بالايطاليين قبل ان يسرع الفرنسيون الى الاستفادة منه . وفى ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ اقترحت بريطانيا على الحكومة

الايطالية ان تستولى على مصوع ، وفى صيف ١٨٨٥ اعلنـــــت السيادة الايطالية على هذا الميناء .

واخذت ايطاليا التى تحظى بتشجيع من بريطانيا توســـع باستمرار ممتلكاتها على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ، وفــى عام ١٨٩٠ تحولت تلك الممتلكات الى مستعمرة اريتريـــــــا الايطالية .

وفى الفترة ١٨٨٥–١٩٠١ فرضت ايطاليا ، بموافقة بريطانيا ايضا ، الحماية على اراضى الصومـــــال الشاسعة ، مما ادى الى حرمان الحبشة من المنافذ الى المحيط الهندى .

ولم يكتف المستعمرون الايطاليون بغـــزو تلك الاراضى ، بل قرروا بسط نفوذهم على القسم الشرقى من السودان ، الا ان ذلك واجه مقاومة شديدة من جانب بريطانيا التى وقعت فـــى ١٨٩١ و١٨٩٤ اتفاقيتين مع ايطاليا بشأن تحديد مجالات النفوذ فى شمال شرقى افريقيا . وبموجب هاتين الاتفاقيتين شملـت منطقة النفوذ الايطالى اراضى الحبشة واريتريا وقسما كبيرا مـن اراضى الصومال وقسمـــــا غير كبير من الســـودان المصرى . واعترفت ايطاليا من جانبها بحقوق بريطانيا فى مصر وفى القسم الاكبر من السودان وغرب الحبشة مع بحيرة تانا وروافـــــد النيل * .

وفى ١٨٩٤–١٨٩٦ قام المستعمرون الطليان بمحاولـــــة للاستيلاء على الحبشة وفقا للاتفاقيـــــة الانكلوايطالية بشأن مجالات النفوذ . لكنهم واجهوا هزيمة ماحقة فى معركـة (عدوة) فاضطروا للاعتراف باستقلال هذه الدولة .

وبعد ان ثبتت ايطاليا مواقعها على الساحل الغربى للبحـــر الاحمر انخرطت بهمة فى الصراع من اجـــل اقتسام المستعمرات العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وعندما احتجزت الجمارك العثمانية فى منطقة الحديدة فـــى عام ١٨٩٩ ثلاثة قوارب شراعية كبيرة تحمل العلم الايطالى كانت قد وصلت محملة بالبضائع المهربة من عصب ارسلت السلطات الاستعمارية فى اريتريا الى الحديدة سفينة حربية طالبت باطلاق

---

* British and Foreign State Papers, vol. 83, pp. 19-21.

المتوسط وافريقيا ، ولا سيما في جيبوتي في شمالها الشرقي . وكان هدف الامبريالية الفرنسية في هذه المنطقة هو التوغل في الحبشة وايجاد رأس جسر لمواصلة التوسع باتجاه السودان .

وكانت الاوساط الحاكمة البريطانية تخشى تغلغل فرنسا في السودان وتفضل وجود ايطاليا الضعيفة في هذه المنطقة بدلا من فرنسا القوية . ولذا وافقت بريطانيا على ان تحول ايطاليا منطقة عصب التي تمتلكها منذ عام ١٨٦٩ على الساحل الغربي من البحر الاحمر الى مستعمرة لها .

وكانت انتفاضة الشعب السوداني ضد الانجليز التي اندلعت في آب (اغسطس) ١٨٨١ بقيادة محمد احمد «المهدي» والانتفاضة الوطنية في مصر التي تزعمها عرابي باشا في ٩ ايلول (سبتمبر) ١٨٨١ حافزا جعل بريطانيا تشجع التوسع الايطالي في شمال شرقي افريقيا . وكان المستعمرون البريطانيون ينوون من وراء تشجيع مخططات الغزو الايطالية ان يستخدموا ايطاليا بمثابة حليف هم بحاجة ماسة اليه في فترة اشتداد التناقضات الانكلوفرنسية وتصاعد حركة التحرر الوطني في مصر والسودان . وبمبادرة من بريطانيا وقعت في ١٥ شباط (فبراير) ١٨٨٢ اتفاقية انكلوايطالية بشأن مسألة المعاهدة التي اعترفت بريطانيا بموجبها بعائدية عصب الى ايطاليا .

وبعد الحصول على موافقة بريطانيا سجلت الحكومة الايطالية في ١٠ اذار (مارس) ١٨٨٢ قانونيا حقها في ملكية عصب ، وفي ٥ تموز (يوليو) ١٨٨٢ حولت هذه المنطقة الى مستعمرة لها .

ومع ان بريطانيا عززت مواقعها كثيرا في شمال افريقيا باحتلال مصر في عام ١٨٨٢ فانها لم تتمكن من تحقيق مثل هذا النجاح في السودان . فبعد ان تكبد المستعمرون البريطانيون عدة هزائم امام المهديين في ربيع ١٨٨٤ قرروا اجلاء القوات المصرية من الساحل الغربي للبحر الاحمر جنوبي مصوع التي كان خديوي مصر قد استأجرها سابقا من الاستانة ، وزج تلك القوات لاخماد انتفاضة المهدي . وتقرر ملأ الفراغ هناك بالايطاليين قبل ان يسرع الفرنسيون الى الاستفادة منه . وفي ٢٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٨٨٤ اقترحت بريطانيا على الحكومة

الايطالية ان تستولى على مصوع ، وفى صيف ١٨٨٥ اعلنت السيادة الايطالية على هذا الميناء .

واخذت ايطاليا التى تحظى بتشجيع من بريطانيا توسع باستمرار ممتلكاتها على الساحل الافريقى للبحر الاحمر ، وفى عام ١٨٩٠ تحولت تلك الممتلكات الى مستعمرة اريتريا الايطالية .

وفى الفترة ١٨٨٥–١٩٠١ فرضت ايطاليا ، بموافقة بريطانيا ايضا ، الحماية على اراضى الصومال الشاسعة ، مما ادى الى حرمان الحبشة من المنافذ الى المحيط الهندى .

ولم يكتف المستعمرون الايطاليون بغزو تلك الاراضى ، بل قرروا بسط نفوذهم على القسم الشرقى من السودان ، الا ان ذلك واجه مقاومة شديدة من جانب بريطانيا التى وقعت فى ١٨٩١ و١٨٩٤ اتفاقيتين مع ايطاليا بشأن تحديد مجالات النفوذ فى شمال شرقى افريقيا . وبموجب هاتين الاتفاقيتين شملت منطقة النفوذ الايطالى اراضى الحبشة واريتريا وقسما كبيرا من اراضى الصومال وقسما غير كبير من السودان المصرى . واعترفت ايطاليا من جانبها بحقوق بريطانيا فى مصر وفى القسم الاكبر من السودان وغرب الحبشة مع بحيرة تانا وروافد النيل * .

وفى ١٨٩٤–١٨٩٦ قام المستعمرون الطليان بمحاولة للاستيلاء على الحبشة وفقا للاتفاقية الانكلوايطالية بشأن مجالات النفوذ . لكنهم واجهوا هزيمة ماحقة فى معركة (عدوة) فاضطروا للاعتراف باستقلال هذه الدولة .

وبعد ان ثبتت ايطاليا مواقعها على الساحل الغربى للبحر الاحمر انخرطت بهمة فى الصراع من اجل اقتسام المستعمرات العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة العربية .

وعندما احتجزت الجمارك العثمانية فى منطقة الحديدة فى عام ١٨٩٩ ثلاثة قوارب شراعية كبيرة تحمل العلم الايطالى كانت قد وصلت محملة بالبضائع المهربة من عصب ارسلت السلطات الاستعمارية فى اريتريا الى الحديدة سفينة حربية طالبت باطلاق

---

* British and Foreign State Papers, vol. 83, pp. 19-21.

سراح المهربين واعادة البضاعة المصادرة ودفع ٨٨٠٠ ريال لهم بشكل تعويض . وفى حالة عدم النزول عند هذه المطالب هدد الطليان بقصف الحديدة بالمدفعية . وايدت الاوساط الدبلوماسية الايطالية افعال سلطات اريتريا وسرعان ما اضطر الاتراك الى التنازل لها وتنفيذ كل المطالب . واستخدمت السلطات الاستعمارية الايطالية حادثة المهربين بمثابة المحك الاول فى سياستها التوسعية فى شبه جزيرة العرب .

وتعززت مواقع الامبريالية الايطالية كثيرا فى شمال شرقى افريقيا بعد اتفاقيات ١٩٠٢ الانكلوايطالية التى اعترفت بريطانيا بموجبها بادعاءات المستعمرين الطليان فى ملكية طرابلس الغرب وبرقة واقدمت على تنازلات فى الاراضى لصالح اريتريا مقابل مشاركة ايطاليا فى اخماد انتفاضة محمد عبد الله فى الصومال . وهيأ ذلك مقدمات معينة للتوسع الايطالى فى شبه الجزيرة العربية .

وفى مطلع القرن العشرين حاول المستعمرون الطليان ان يستفيدوا من تزايد نشاط القراصنة عند سواحل اليمن ليعززوا مواقع ايطاليا فى شبه الجزيرة العربية . واعتبرت السلطات الاستعمارية الايطالية الفارين من اريتريا الى العسير قراصنة ايضا . وعندما شارك اللاجئون الاريتريون مع العرب من قبيلة حوقلى المقيمة قرب ميناء ميدى فى الهجوم على احدى جزر الارخبيل المقابل لميناء مصوع والاستيلاء على بعض القوارب الاريترية ارسلت الحكومة الايطالية فى تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٠٢ الى البحر الاحمر عمارة من اربع سفن حربية . ومع ان الطليان اعلنوا ان هدف هذه العملية هو مكافحة القرصنة فقد كانوا فى الواقع يريدون ان يثبتوا اقدامهم على ساحل الجزيرة العربية من جهة ويخمدوا من جهة اخرى الحركة التحررية الاريترية التى التجأ مناضلوها الى عسير . وطالب الطليان السلطات العثمانية بتسليم المهاجرين الاريتريين ، لكن السفن الايطالية قصفت ميدى بوحشية مع ان السلطات العثمانية سلمت اولئك المهاجرين . وهكذا غدت الاعمال العدوانية التى اقدمت عليها ايطاليا فى ١٨٩٩ و١٩٠٢ بداية للتوسع الايطالى المرتقب فى شبه الجزيرة العربية .

وكان عدم التناسب بين مطامع الامبريالية الايطالية

7*

وامكانياتها الاقتصادية قد ترك اثرا سلبيا فى السياسة الخارجية الايطالية حيث طبعها بطابع المغامرة والعدوان . وكان من نتائج هذه السياسة استيلاء ايطاليا على طرابلس الغرب وبرقة وجزر دوديكانيز ابان الحرب الايطالية التركية ١٩١١-١٩١٢ .

وفى فترة الحرب العالمية الاولى لم تقم ايطاليا بنشاط يذكر فى شبه جزيرة العرب بسبب انشغالها بالعمليات فى الجبهة الاوربية . اما بريطانيا التى توقعت سقوط الامبراطورية العثمانية فقد اتخذت ، كما اسلفنا ، عدة اجراءات وقائية تهدف الى ازالة امكانية تغلغل الدول الغربية الاخرى ، بما فيها ايطاليا ، فى شبه الجزيرة العربية . ومع ذلك ادى خطر التدخل الايطالى الى اجراء تعديلات معينة على السياسة البريطانية فى البحر الاحمر . ففى شباط (فبراير) ١٩١٥ وافقت وزارة الخارجية ، لتسبق ايطاليا ، على احتلال جزيرة كمران الهامة استراتيجيا والواقعة مقابل الساحل اليمنى . علما بان العملية كلها كانت مخططة على نحو يستبعد اية مشاركة فيها من جانب ايطاليا * . وفى حزيران (يونيو) ١٩١٥ احتلت قوات الانزال البريطانية جزيرة كمران دون ان تواجه مقاومة من جانب المستخدمين العثمانيين الستة الذين كانوا يخدمون مركز الحجر الصحى فى الجزيرة ** . وكان ابقاء القوات فى هذه الجزيرة شبه الصحراوية عبئا ثقيلا على الانجليز فى زمن الحرب ، ولذا قرروا اجلاءها . الا ان السلطات الاستعمارية البريطانية تباطأت فى اجلاء القوات خشية احتلال كمران من قبل ايطاليا ، بل استأجرت عددا من عرب كمران وطلبت منهم ان يرفعوا العلم البريطانى لدى ظهور السفن الحربية الاجنبية وخصوصا الايطالية *** .

وفى ٢٩ كانون الثانى (يناير) ١٩١٧ جرى اشعار السفارة الايطالية فى لندن من خلال الامير بورغيزى بان العلم البريطانى

---

* Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 227.

** كان العثمانيون قد افتتحوا مركز الحجر الصحى فى عام ١٨٨٠ للحجاج القادمين الى مكة عن طريق البحر الاحمر .

*** Op. eif, pp. 228-230.

رفع فى جزر فرسان وجزيرة كمـــران «لصالح الادريسى» * . وبيّن المؤرخ السوفييتى المعروف الاكاديمى روتشتين بمنتهى البساطة والوضوح الهدف من هذه الاعمال التى اقدمت عليهـــا الادارة البريطانية وكانت جزءا لا يتجزأ من تكتيك المستعمرين عموما واستراتيجيتهم الشاملة . فقد كتـــب روتشتين يقول : «الاراضى التى كان يدور النزاع بشأنها لم تكن فى الغالب تتسم بأية اهمية اقتصادية . فهى مستنقعات وصحار خالية من البشر والمزروعات ، لكنها كانت ضرورية لهذا الطـرف او ذاك لتكون حلقـــة وصل بين مختلف البقـــاع او حاجـزا يعيق تقـــدم المنافسين صوب الاراضى التى تروق لهم . ولا يندر ان تبقـى الاراضى التى يرفعون فوقها هذا العلـــم «الوطنى» او ذاك دون احتلال» ** .

وكان رد فعـــل روما سلبيا على التحالف بين بريطانيـــا والادريسى . فقد حاولت الاوساط الحاكمة الايطالية ان تنتهز اية فرصة لتعيق التقارب بين الادريسى والانجليز . فلأن الادريسى ، مثلا ، يستخدم بالاساس السلاح الايطالى ، رفض الطليان طلب بريطانيا بيع كمية معينة مـــن العتاد الى الادريسى . وكان هذا الرفض المتعمد قد حمل الانجليز على ارسال كمية كبيرة مـــن البنادق والعتاد البريطانى الى الادريسى *** .

وفى عام ١٩١٥ وجدت الاوساط الحاكمة البريطانية ضرورة للاعتراف «بحق» الادارسة فى جزر فرسان التى حرروها مـــن الاتراك فى كانون الثانى (يناير) من العام نفسه . بديهـــى ان بريطانيا لم تكن مستعدة للقيام بهذه الخطوة الا بتوفر ضمانات اكيدة من جانب الادريسى وتعهده بالا يقدم هذه الجزر فـــى المستقبل الى اية دولة اخرى **** .

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27. No 15, encl. 1 to No 1.

** روتشتين . العلاقات الدولية فى نهاية القرن التاسع عشر ، موسكو – لينينغراد ، ١٩٢٠ ، ص ١٠٢ (باللغة الروسية) .

*** Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 229.

**** Ibid., p. 328.

وكان السبب الاول لهذا القرار هو الخوف من احتلال ايطاليا للجزر المذكورة ، الامر الذى يشكـــــل خطرا على المواصلات البريطانية فى البحر الاحمر لقلة القوات البريطانية عموما فـــى حوض هذا البحر . وكانت اتفاقية ٢٢ كانـــون الثانى (يناير) ١٩١٧ بين الانجليز والادريسى قد تضمنت شروط تسليم جزر فرسان نهائيا الى الادارسة ، وبذلك انجزت الصفقة بين حاكم الصبية والسلطات الاستعمارية البريطانية * . وقد جاءت هذه الاتفاقية فى الوقـــت المناسب تمامـــا ، وكانـــت اجراءات الدبلوماسيين البريطانيين مجدية . ففى نفس اليوم الذى وقـع فيه الصلح الذى الزم تركيا بتـــرك الجزيرة العربية ووادى الرافدين والشام وارمينيا وجزء من قيليقيا اعلنت ايطاليا عـــن حقها فى جزر فرسان . وفى ٣٠ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩١٨ بعثت الحكومة الايطالية مذكرة الى لنـــدن اعلنت فيها «ان جزر فرسان الواقعة قرب ساحل عسيـــر يجب ان تحتل من قبـــل ايطاليا ، لان ايطاليا دولة اسلامية تمر حدودها عبر البحـــر الاحمر» * * .

وتحججت بريطانيا فى رفض الادعاءات الايطالية باتفاقيـــة ١٩١٧ بين الانجليز والادريسى والتى نصت على ان جزر فرسان لم تعد حقوقيا من ممتلكات تركيا المغلوبة ، بل تعود لحاكـــم عسير الادريسى . وبهذه الصورة استخـــدم الانجليز الادريسى الذى نعتته الاوساط الاستعماريـــة البريطانية «بـــالدعى» وسيلـــة لمواجهـــة ايطاليـــا حسب اعتراف الانجليـــز انفسهم * * * .

وهكذا ففى سياق الحرب العالمية الاولى توقعت بريطانيـا نشوب الصراع من اجل التركة العثمانية فـــى شبه الجزيرة العربية فحاولت ان تنصب «حاجزا» يعيق التغلغل الايطالى فـــى

---

* Aitchison C. U. A Collection of Treaties . . . , vol. 13, pp. 178-179.

* * Baldry J. The Powers and Mineral Concessions in the Idrisi imamate of Asir (1910-1929)-Arabian studies, 2, London, 1975, p. 79.

* * * Busch B. Britain, India and the Arabs . . . , p. 239.

شبه الجزيرة . ومن مقومات هذا «الحاجز» جزيرة كمران وجزر فرسان المطلة على منافذ الساحل اليمنى ، وكذلك الساحل نفسه الذى يسيطر عليه الادارسة . الا ان نصب ذلك «الحاجز» اخفق بالاساس لان الدبلوماسيين البريطانيين لم يتمكنوا من استمالة امام الزيدية يحيى . وهذا ما يشير اليه ، مثلا المؤرخ الاميركى برايتون بوش الذى استشهد بوثائق ارشيفية بريطانية غير منشورة واكد ان احد الاسباب الرئيسية لسعى بريطانيا الى التحالف مع الامام يحيى هو خشية الاوساط الحاكمة البريطانية من احتمال توغل ايطاليا فى اليمن ، ولا سيما جزر فرسان الواقعة عند الساحل اليمنى * .

كانت الاجراءات الوقائية التى طبقتها بريطانيا ضد ايطاليا فى حوض البحر الاحمر جزءا من السياسة التى طبقها الدبلوماسيون البريطانيون فيما وراء الكواليس ازاء ايطاليا . فلئن كانت شروط معاهدة لندن لعام ١٩١٥ قد صيغت ، بسبب الموقف الحربى انذاك ، على اساس مبدأ التكافؤ التام لايطاليا بين الحلفاء ، فقد حاولت بريطانيا وفرنسا بعد الحرب العالمية الاولى ان تحولا دون تعزز مواقع ايطاليا فى البحر الابيض المتوسط وقد ركزتا كل جهودهما على تقييد المطامع الاقليمية للامبريالية الايطالية الى اقصى حد . وفى مؤتمر باريس لم تنفذ اغلبية الوعود التى تعهد بها الحلفاء لايطاليا فى معاهدة لندن وفى اتفاقية سان جان ديمورين (١٩-٢١/٤/١٩١٧) . وشعرت الامبريالية الايطالية بانها «المغلوبة بين الغالبين» . وبالاضافة الى الضحايا البشرية الجسيمة ودمار المحافظات الشمالية الخصبة وفقدان ٦٠٪ من الاسطول التجارى الايطالى اتضح ان ايطاليا مدينة لحلفائها – لبريطانيا اساسا (٥ر٢ مليار ليرة) وللولايات المتحدة الاميركية (٥ر١ مليار ليرة) . ولئن كانت للامبريالية البريطانية مصلحة فى الابقاء على الوضع القائم فى البحر الابيض المتوسط وآسيا وافريقيا بعد الحرب العالمية الاولى فان الامبريالية الايطالية ، على العكس ، كانت تسعى الى تغيير ذلك الوضع لصالحها وتعمل بمزيد من الهمة والنشاط فى هذا

---

* Ibid., p. 237.

الاتجاه . وقد حاول المستعمرون الايطاليون الذين لم تعجبهم نتائج التقسيم الاستعماري للعالم ان يتوصلوا الى اعادة توزيع المستعمرات ومناطق الانتداب وطالبوا باسواق التصريف ومصادر الخامات . وكانت ايطاليا تؤمل فى الحصول على اكبر لقمة ممكنة من «كعكة الاستعمار» ، فحاولت بكل الوسائل ، رغم معارضة بريطانيا ، ان تثبت مواقعها على ساحل البحر الاحمر الشرقى . فان تعزيز المواقع الايطالية فى عسير واليمن ، اى عند المنفذ الجنوبى من البحر الاحمر الذى يتسم بأهمية استراتيجية بالغة بالنسبة لبريطانيا قبل غيرها ، وتأجيج الميول المناهضة لبريطانيا بين سكان اليمن ، من شأنهما ان يمكنا ايطاليا فى الوقت اللازم من ممارسة الضغط على لندن والحصول منها ، لقاء تنازلات معينة ، على تعويضات مناسبة فى مناطق اخرى (البحر الابيض المتوسط والحبشة وشمال افريقيا) ، حيث مصالح الامبريالية الايطالية اكبر .

فى البداية كان المستعمرون الايطاليون ينوون ترسيخ اقدامهم فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة الادارسة حلفائهم من عهد الحرب العثمانية الايطالية ١٩١١-١٩١٢ . وفى عام ١٩٢١ بعث حاكم اريتريا الى محمد الادريسى عدة رسائل وهدايا من بينها سيارة مؤملا فى الحصول منه على امتيازات للشركات الايطالية ، وخصوصا امتياز التنقيب عن البترول فى جزر فرسان . الا ان الادارسة المرتبطين مع بريطانيا بالتزامات تعاقدية لم يستجيبوا لمغازلات حاكم اريتريا .

وبدأت المرحلة الجديدة فى السياسة الاستعمارية الايطالية باستلام الفاشيين السلطة فى عام ١٩٢٢ . فقد غدا الفاشيون الايطاليون مساهمين فى اكبر الاحتكارات الصناعية والبنوك وشركات التأمين فى ايطاليا . وكان كبار ممثلى الرأسمال المالى الاحتكارى هؤلاء يملون ارادتهم ويرسمون الاتجاهات الرئيسية فى السياسة الخارجية للدولة الايطالية . واتهم موسولينى كل الحكومات السابقة بالعجز عن الذود عن مصالح ايطاليا فى مؤتمر باريس واعلن عن نهج عدوانى سافر يستهدف بعث الامبراطورية الرومانية وبناء «ايطاليا العظمى» . ونصت مخططات الفاشيين الايطاليين على التوسع فى البحر الابيض المتوسط والشرق

الادنى ، لاسيما اليمن . وبغية تطبيق هذه المخططات اعلن موسوليني ان ايطاليا دولة اسلامية ، لانها تضم اراضى اسلامية مثل ليبيا واريتريا والصومال . وفى مجلس الشيوخ الايطالى نعت موسولينى ايطاليا بانها صديقة العالم الاسلامى التى تدرك دورها كدولة اسلامية عظمى .

وبعد وفاة محمد الادريسى فى ١٩٢٣ صار ابنه على البالغ من العمر سبعة عشر عاما حاكما جديدا للبلاد كما اسلفنا . وبعثت السلطات الاستعمارية فى اريتريا الى عسير فورا ممثلها سيد المرغنى محملا باموال كثيرة . وكسب المرغنى ود الحاكم الشاب على الادريسى بسرعة عن طريق الهدايا الشخصية حتى جعله يوافق على افتتاح قنصلية ايطالية فى الحديدة . ولم يحل دون بقاء الايطاليين فى الحديدة الا مقاومة الاوساط المتنفذة فى امارة الادارسة بدعم من السلطات الاستعمارية فى عدن * .

وعندما اخفق الطليان فى محاولاتهم مع الادريسى قرروا التغلغل فى شبه الجزيرة العربية بمساعدة امام الزيدية يحيى . وكان الفاشيون الطليان يؤملون فى الاستفادة من التناقضات بين بريطانيا والامام . فقد رتبت ايطاليا اتصالات مع الامام يحيى وصارت تساعده فى مكافحة الادارسة ، الامر الذى اقلق السلطات الاستعمارية البريطانية . لقد ساعد الدبلوماسيون البريطانيون ايطاليا عندما استهدفوا اضعاف مواقع فرنسا ، منافسة بريطانيا ، لكنهم كانوا يعارضون دوما افعال المستعمرين الايطاليين التى تتعارض مع مصالح بريطانيا . الا ان تذمر لندن لم يمنع ايطاليا من تنفيذ مخططاتها التوسعية فى اليمن . فان اشتداد التناقضات الانكلويمنية واخفاق مهمة كلايتون افادا المستعمرين الايطاليين ، فسعوا الى الاستفادة القصوى من الوضع الملائم لهم . وكانت ايطاليا تؤمل فى استخدام نضال الشعب اليمنى لتوحيد البلاد لاغراضها الخاصة فظلت تقدم المساعدات العسكرية للامام .

واستمرت انباء الارساليات الجديدة من السلاح الايطالى الى الامام يحيى تتوارد على لندن اكثر فاكثر . وافاد المقيم

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 206.

البريطاني في عدن في تقرير سرى بتاريخ ٢٠ نيسان (ابريل) ١٩٢٦ بان الامام منح ايطاليا احتكار بيع الكيروسين في اليمن ، وفي مقابل ذلك وعدته ايطاليا بتشكيلة من التجهيزات لصنع العتاد وبست طائرات و٤٩٠٠ صندوق من العتاد و٢٠ مدفعا . وكتب المقيم يقول : «عندما سيصل ذلك كله يتعين على الامام ان يدفع ٣ر٣ ملايين فرنك ويمنح ايطاليا امتياز استخراج الملح في الصليف» . وحتى نيسان (ابريل) ١٩٢٦ استلم الامام ست طائرات واجهزة لصنع العتاد و٤٥٠ صندوقا من الاعتدة * واخذت اللجنة البريطانية لادارة الاسطول البحرى تبعث المزيد من التقارير الى وزارة الخارجية بشأن نوايا الطليان في احتلال جزر فرسان بمساعدة الامام يحيى . كما صار الطليان يبدون نشاطا في منطقة الصليف التي توجد فيها احتياطيات كبيرة من الملح . ونصبوا على الساحل بطارية مدفعية تشرف على الطرق المؤدية الى جزيرة كمران ** . وكان الادريسي الذي تراجعت عساكره تحت ضغط جيش الامام على شفا الهزيمة ، وهذا يعني بالنسبة لبريطانيا ليس فقط ضياع مراكز استراتيجية هامة بل وتعزز مواقع ايطاليا في البحر الاحمر . ورأت لندن ان من الضرورى اتخاذ اجراءات عاجلة لدرء العواقب غير المرغوب فيها . ففي ١٦ تموز (يوليو) ١٩٢٦ عقد في وزارة المستعمرات اجتماع عاجل لممثلي مختلف الوزارات ، وكان ينتظر منه ان يجد الطرق التي من شأنها ان «تعيق الايطاليين عن تعزيز مواقعهم على الساحل الشرقي من البحر الاحمر» *** .

وتوصل المساهمون في الاجتماع الى استنتاج مفاده ان الاحتجاجات على الحكومة الايطالية وانذار الامام يحيى لا تكفي وحدها للحيلولة دون سقوط امارة الادارسة . الوسيلة الفعالة الوحيدة ، كما اشار الاجتماع ، هي رفع الحظر عن ارسال السلاح الى الادريسي والامام يحيى ، وهو الحظر الذي فرضته حكومات بريطانيا وايطاليا وفرنسا وبلجيكا في آيار (مايو) ١٩٢٥ . ولذا اتخذ قرار باستئناف تزويد الادريسي بالسلاح من خلال

* NAI, File 186-N. Yemen affairs, 1924-25, No 206, encl. 1.

** Ibid., No 245.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 1.

شركة «ايسترن اند جنرال سنديكات» البريطانية التى وقعت فى ٤ ايار ١٩٢٦ اتفاقية امتياز التنقيب عن البترول فى جزر فرسان وامتياز استخراج الملح فى الصليف مع الحاكم الجديد لجنوب عسير حسن الادريسى الذى اطاح بحكم ابن اخيه الشاب على فى شباط (فبراير) ١٩٢٦ * .

وولد توغل ايطاليا فى اليمن مخاوف عند السلطات الاستعمارية البريطانية ليس فقط على مصالحها العسكرية والسياسية ، بل وكذلك الاقتصادية فى البحر الاحمر . وحاول الطليان تشجيع التجارة المباشرة بين الحديدة واريتريا تحت اشرافهم ففتحوا خطوطا للملاحة تربط موانئ اليمن بميناء مصوع وحاولوا الحصول من الامام على احتكار تجارة البن اليمنى ، وهو احتكار نافع جدا . وافاد نائب المقيم البريطانى فى عدن فى تقرير الى لندن بان ضريبة البن المستورد من الحديدة الى مصوع تعادل ١٪ من قيمته ، بينما تبلغ ضريبة البن المستورد من عدن الى جيبوتى ٨٪ . وادى ذلك الى جعل قسم من التجارة التى كانت فى السابق تمر من عدن يتحول الآن الى مصوع ، وهذا يلحق ضررا كبيرا بتصدير البن من خلال عدن ** .

وفى معرض تحليل السياسة الايطالية فى اليمن كتبت «التايمس» اللندنية آنذاك «ان ايطاليا تحاول ، بنجاح على ما يبدو ، ان تحصل على المكانة التجارية التى كان الانجليز يحتلونها قبل ذلك فى جنوب الجزيرة العربية» *** .

وحققت ايطاليا نجاحا كبيرا فى تنافسها مع بريطانيا من اجل النفوذ فى اليمن بتوقيع اتفاقية الصداقة والتجارة مع اليمن لمدة عشر سنوات فى ٢ ايلول (سبتمبر) ١٩٢٦ . واعترفت ايطاليا لاول مرة فى هذه الاتفاقية «بالاستقلال التام المطلق لحكومة اليمن وملكه الامام يحيى» . وتضمنت الاتفاقية شروط التسهيلات التى يتمتع بها الطرفان فى التبادل التجارى وكذلك شروط تقديم المساعدة الايطالية الاقتصادية والفنية الى اليمن **** .

---

* Survey of international affairs, 1925, vol. 1, p. 322.

** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, encl. 2 to No 69.

*** "The Times", 7.11.1926.

**** امين سعيد . اليمن . . . ، ص ٤٥ .

وكان موقف الطرفين من الاتفاقية متباينا . فقد حاول الطليان الاستفادة من نضال الشعب اليمنى العادل ضد بريطانيا لصالحهم واعتبروه وسيلة للتغلغل السياسى والاقتصادى فى شبه الجزيرة العربية ولم يكونوا يسعون ابدا الى تطوير القدرة الدفاعية لليمن . وكان المستعمرون الايطاليون يعتقدون بان اعترافهم ، قبل سائر منافسيهم باستقلال اليمن ، الدولة العربية المستقلة الوحيدة الى جانب دولة ابن سعود ، واقامة العلاقات «الودية» معه يرفعان لدرجة كبيرة المنزلة السياسية لايطاليا فى بلدان الشرق . ونعت موسولينى اليمن بانه «المؤخرة الطبيعية لاريتريا» ، وسعى الى استخدامه بمثابة رأس جسر لتطبيق السياسة التوسعية التى انتهجها الفاشيون الايطاليون ، سياسة «حماية الدول الاسلامية» * .

اما الامام يحيى فقد كان بدوره يأمل فى استخدام الاتفاقية مع ايطاليا لمواصلة توسيع حدود دولته شمالا وجنوبا ، وبالاضافة الى ذلك ، كان يأمل فى استخدام «الورقة الايطالية» للضغط على بريطانيا ** . وكان رد فعل الاوساط الاستعمارية البريطانية على توقيع الاتفاقية الايطالية اليمنية أليما للغاية . فقد افاد نائب المقيم البريطانى فى عدن فى تقريره بان ايطاليا اعترفت من خلال هذه الاتفاقية بالامام يحيى ملكا على اليمن ، واضاف يقول : «من المعروف ان اليمن تضم من الناحيتين الجغرافية والتاريخية محمية عدن وعدن نفسها ، ويؤكد الامام يحيى كذلك ان عسير وحضرموت جزءان لا يتجزآن من اليمن» . ولذا اقترح نائب المقيم مطالبة الحكومة الايطالية بتدقيق هذه الصيغة لتبديد المخاوف من ان ايطاليا تؤيد ادعاءات الامام فى هذه المناطق الثلاث *** . وبعد مرور اسبوع على توقيع الاتفاقية الايطالية اليمنية (٩ سبتمبر ١٩٢٦) سلمت الحكومة البريطانية السفير الايطالى فى لندن مذكرة بشأن النشاط الايطالى فى شبه الجزيرة العربية ، مما يدل على ان النزاع المحلى انتقل الى صعيد السياسة

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 170.

** Philby H. Arabia . . ., p. 334.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 166.

الكبرى . واتهمت المذكرة الحكومة الايطالية بخرق اتفاقيـــة حظر تزويد الادريسى والامــام يحيى بالسلاح . واعادت الحكومـــة البريطانية الى الاذهان التزاماتها بالدفاع عن جزر فرسان وساحل البحر الاحمر العائد للادارسة دون «الاعمال العدائية» واعلنت بانها مضطرة الى السماح لاحدى الشركات البريطانية بتزويـــــد الادريسى بالسلاح . وجاء فى المذكرة : «تفيد المعلومات الواردة ان ايطاليا لا تكتفى بتشجيع الامام فى خلافـــه مع الادريسى بل تدعمه بنشاط . ويمكن ان ينشأ بسهولة وضع يتحول فيه الخلاف بين الادريسى والامــام الى تصادم بين المصالح البريطانيـــــة والايطالية ، وهذا يترك اثرا سياسيا سلبيا على العلاقات عموما بين كلا البلدين . وتأمل حكومة صاحب الجلالـــة ان السيـــد موسولينى يتفهم هذا الخطر المحتمل ويوافق على ضرورة درئه عن طريق تبادـــل الآراء بصراحـــة بين الحكومتين الايطاليـــة والبريطانية» * .

وفى اواخر ايلول (سبتمبر) ١٩٢٦ جرى فى روما لقاء بين موسولينى ووزير الخارجية البريطانى شمبرلين . وكانت مسألة اليمن من المواضيع التى طرحت فى هذا اللقاء . واهاب شمبرلين بموسولينى للعمل على درء النزاع المحتمل بين بريطانيا وايطاليا والذى يمكن ان ينشب بسبب عسير واليمن .

وبنتيجة هذا اللقاء تمكن موسولينى من الحصول على موافقة شمبرلين على توفير درجة معينة من مشاركة ايطاليا فى شؤون الجزيرة العربية . الا ان هذا اللقاء ، كما بينت الاحداث اللاحقة ، لم يسفر عن تسوية التناقضات الانكلوايطالية فيما يخص اليمن .

وفى الوقت الذى ازداد فيه التوتر فى العلاقات الانكلوايطالية بسبب اليمن وراحت روما ولندن تتراشقـــان بالاتهامات طرد اليمنيون (فى خريف ١٩٢٦) الادارسة كليا من الاراضى اليمنية الشمالية ودخلوا جنوب عسير وحاصروا مدينتى الصبية وجيزان .

وقد توقع حسن الادريسى الهزيمة المحتمة فوقع فى ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ اتفاقية مع ابن سعود اعترف فيها

---

* Ibid., encl. 1.

بسيادة السعودية على جنوب عسير * . وكانت دولة ابن سعود ، شأن اليمن ، تطبق سياسة مستقلة ، ولم تعد العوبة بيد الدول الاستعمارية ، بل صارت تلعب دورا جديدا فاعلا فى العلاقات الدولية . وبعد توقيع الاتفاقية بعث ابن سعود نسخة منها الى الامام يحيى وطالبه بوقف العمليات الحربية ضد الادارسة الذين صاروا من الآن فصاعدا تحت حمايته ** . وادرك الامام يحيى استحالة خوض الحرب ضد ابن سعود فى الشمال وضد بريطانيا فى الجنوب فى وقت واحد فقرر ان يتراجـــع مؤقتـــا . وكانت الاتفاقية السعودية الادريسية قد نصت على ان ينتقل الى ابن سعود الاشراف على التجارة الخارجية لجنوب عسير ، بما فى ذلك منح الامتيازات . واحتفظ حسن الادريسى بالاستقلالية فى الشؤون الداخلية لامارته *** .

ولم تعرف الدول الغربية بمضمون هذه الاتفاقية الا بعد ان نشر نصها الكامل لاول مرة فى جريدة «ام القرى» السعودية فى السابع من كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ . ولم يكن المستعمرون الايطاليون يعرفون بعد ان ابن سعود ، وليس الادريسى ، صار من الآن فصاعدا صاحب كل الامتيازات فى جنوب عسير ، فحاولوا شراء ذمم شيوخ جزر فرسان للحصول على امتياز التنقيب عن البترول فى الجزر المذكورة . ولهذا الغرض ارسلت سلطات اريتريا فى كانون الاول (ديسمبر) ١٩٢٦ ممثلا عنها الى هذه الجزر وزودته بمبلغ كبير من النقود . الا ان محاولة شراء ذمم الشيوخ اخفقت بسبب تشدد الادارسة **** . واثارت تصرفات الطليان هذه قلقا متزايدا لدى الاوساط الاستعمارية فى بريطانيا . فقد اشارت وزارة المستعمرات فى مذكرة سرية بتاريخ ٢٦ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٦ الى ان من اكبر مهمات السياسة البريطانية فى شبه الجزيرة العربية «زحزحة الطليان من خليج كمران ومن

* NAI, Arabia series, part 5, No 117.

** وهبة حافظ . جزيرة العرب . . . ، ص ٢٧٦ ؛ شرف الدين . اليمن . . . ، ص ٢٧٩ .

*** NAI, Arabia series, part 5, N° 117.

**** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 66, 109, 157.

جزر فرسان ان امكن» . وجاء فى المذكرة ان بريطانيا لا تستطيع ان تتدخل فى النزاع بين الامام يحيى والادريسى لان ذلك ينطوى على خطر الصدام المباشر مع ايطاليا * .

وفى ظروف التقارب العام الذى ارتسم بين بريطانيا وايطاليا بنتيجة اشتداد التناقضات الانكلوفرنسية فى اواسط العشرينات ، كانت لندن تؤمل فى استخدام الفاشية الايطالية كمعقل هام ضد القوى الثورية فى اوربا وكوسيلة لمقاومـــة النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط ، ولا تفضل تأزيم العلاقات مع موسولينى بسبب اليمن . ولذا اقترحت بريطانيا على ايطاليـــا اجراء لقاء لتسوية التناقضات التى نشأت بين البلدين فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر * * .

ولم يكن تعقد العلاقات الانكلوايطالية لاحقا يستجيب لمصالح الامبريالية الايطالية التى كانت تؤمل فى استخدام اليمن قطعة نقدية لا اكثر للمبادلة فى التساوم مع «حليفتها» القوية . ولذا اعربت الحكومة الايطالية عن موافقتهـــا على اللقاء الانكلوايطالى فى روما .

واشار توجيه شمبرلين للجنرال كلايتون الذى كان مقررا ان يمثل الحكومة البريطانية فى روما الى ان اللقاء المرتقب ليس من قبيل المفاوضات ويجب ان يجرى على سبيل تبادل الآراء . وجاء فى التوجيه : «لا موجب لتوقيع اتفاقيـــة رسمية مع ان نتائج المناقشات يجب ان تسجل فى محضر» * * * . واعلن كلايتون وهو ينفذ توجيه حكومته فى لقاء روما الذى بدأ فى ١١ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ ان بريطانيا لن تسمح بتغلغل اية دولة بحرية فى

Ibid., No 83-a. *

* * لقد ساعدت زيارتا شمبرلين وشرشل الى روما لدرجة كبيرة على التقارب الانكلوايطالى بعد مؤتمر لوكارنو . ففى شباط (فبراير) ١٩٢٦ قدمت بريطانيا الى ايطاليا عدة تسهيلات فى تسديد ديون الحرب العالمية الاولى . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٦ وقعت اتفاقيـــة انكلوايطالية وافقت بريطانيا بموجبها على اعادة توزيع مناطق النفوذ فى الحبشة لصالح الامبريالية الايطالية . ومكن تأييد بريطانيا ايطاليا من تنشيط السياسة التوسعية الايطالية فى البلقان .

Ibid., No 66. * * *

ساحل البحر الاحمر الشرقى ، لا سيمـــا جزر فرسان وجزيرة كمران . واعرب كلايتون الى الوفد الايطالى الذى ترأسه حاكم اريتريا غاسبارينى عن «قلق» حكومته من ان الخلاف بين الامام يحيى والادريسى الذى يؤيده ابن سعود ، على ما يبدو ، يمكن ان يؤدى الى تعقيد العلاقات بين ايطاليا وبريطانيا ، لان ايطاليـــا وقعت اتفاقية الصداقة مـــع امام اليمن ، فى حين توجـــد علاقات تعاقدية بيـــن بريطانيـــا والادريسى صـــاحب جزر فرسان * .

الا ان غاسبارينى حاول ان يبرر افعال ايطاليا فى شبـــه الجزيرة العربية فاعلن بانـــه لا يرى ما يشير الى خطر اصطدام مصالح بريطانيـــا وايطاليـــا فى البحر الاحمر ، لان المصالح البريطانية فى هذه المنطقة سياسية فى اغلبها ؛ بينما مصالح ايطاليا اقتصادية صرف من حيث طابعها وهى ترتبط بمهمـــات تطوير مستعمرة اريتريا الايطالية التى لا تزال عاجزة عن تأمين كل ما تحتاج اليه بنفسها . وتشكى الوفد الايطالى من «بؤس» اريتريا التى «تتميز العلاقات التجارية بينها وبين جزر فرسان باهمية حيوية بالغة» وحاول الحصول على اعتراف بحق ايطاليا فى المشاركة مع بريطانيا فى امتياز استثمار بترول هذه الجزر . الا ان كلايتون انتهز فرصة كون المشاركين فى اللقاء قد اطلعوا لاول مرة فى ١٢ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ على مضمـــون الاتفاقية السعودية الادريسية التى يستفاد منهـــا ان البت فى مسائل الامتيازات يعود من الآن فصاعدا الى ابن سعود وليس الى الادريسى ، فاقترح تأجيل مسألة مشاركة ايطاليا فى الامتياز الى اجل غير مسمى ** .

وكان واقع اطلاع الدول الغربية على نص اتفاقية ٢١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٢٦ فى كانون الثانى من العام التالى وكون كلايتون بعد هذا النبأ غير المتوقع اعلن بانه يجب ان يرتحل الى لندن لتلقى تعليمات جديدة «بسبب تبدل الموقف المرتبط بنشر

---

* Ibid., encl. to No 111.

** Ibid.

هذه الاتفاقية» يدلان على ان ابن سعود اتخذ بنفسه قرار حماية عسير *.

وبعد الاخفاق فيما يخص جزر فرسان حاول الطليان ان يجعلوا بريطانيا توافق ، على الاقل ، على تعيين طبيب ايطالى بين العاملين فى مركز الحجر الصحى فى جزيرة كمران ، متصورين بان ذلك يمكن ان يتخذ فى المستقبل ذريعة لادارة هذه الجزيرة بصورة مشتركة ** . وتلقت لندن باستياء نبأ اهتمام الايطاليين بالوضع القانونى لجزيرة كمران . فان بريطانيا لم تكن قد ضمت هذه الجزيرة رسميا ، ولذا فهى ليست ارضا بريطانية ، لان الاستانة بموجب معاهدة لوزان ١٩٢٣ سلمت كل ممتلكاتها فى شبه الجزيرة العربية (بما فيها جزر البحر الاحمر) الى بلدان الوفاق والحلفاء ، وان المادة ١٦ من هذه المعاهدة تنص على ان مستقبل الجزر التى الغى حق الاستانة فيها «ستقرره الاطراف المعنية» *** . الا ان بريطانيا ظلت تسيطر على كمران بلا منازع ولا تسمح «للاطراف المعنية» الاخرى باستخدام هذه الجزيرة . ولذا فعندما عاد كلايتون الى لندن تسلم توجيها من شمبرلين بالقيام بكل ما يلزم لتفادى مناقشة مسألة الوضع القانونى لجزيرة كمران **** . وكان وزير شؤون الهند بيركينهيد يرى ان من الضرورى تماما رفض اقتراح ايطاليا بشأن تعيين طبيب ايطالى بين اطباء مركز الحجر الصحى لانه يعتقد بان ذلك «يمكن ان يؤدى ليس فقط الى ظهور صعوبات فى ادارة الجزيرة ، بل والى طرح مسألة وضع كمران من جديد» ***** .

وفى الجولة الثانية من لقاء روما والتى بدأت فى ٣١ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٧ اعلن كلايتون استنادا الى المعلومات الاحصائية التى زودته بها لندن ان الحكومة البريطانية ترى ان

---

* Ibid., encl. 4 to No 111.

** Ibid., end. 3 to No 111.

*** فى عام ١٩٤٩ فقط اصدرت الحكومة البريطانية مرسوما نص على ان حاكم عدن هو فى الوقت ذاته حاكم لكمران ، ومع ذلك لم تدرج هذه الجزيرة ضمن محمية عدن ولا ضمن مستعمرة عدن .

**** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 122.

***** Ibid., No 110.

عدد الحجاج من المستعمرات الايطالية ضئيل للغاية ولا يستوجب ادراج طبيب ايطالى ضمن ملاك مركز الحجر الصحى فى كمران . زد على ذلك ان هناك اسبابا سياسية تحول دون ذلك ، كما اضاف كلايتون ، فالدول الاخرى ، ولاسيما فرنسا ، يمكن ان تفسره كخطوة سياسية وتطلب هى ايضا المشاركـــة فى اعمال مركز الحجر الصحى * .

وفى الجولة الختامية من اللقاء الانكلوايطالى تبادل الطرفان الآراء بخصوص الاتفاقية بين ابن سعود والادريسى . واطلـــع كلايتون الطليان على نية حكومتـــــه فى تأجيل الاعتراف بهذه الاتفاقية الى ابعد وقت ممكن . كما كان موقف الوفد الايطالى من هذه الاتفاقية سلبيا للغاية . فالطليان لم يفقدوا بعد املهم فى اخضاع عسير من خلال الامام يحيى ، ولذا رفضوا رفضا باتـــا الاعتراف بشرعية الحماية السعودية لامارة الادارسة ** .

واسفر لقاء روما عن توقيع بروتوكول فى ٧ شباط (فبراير) ١٩٢٧ التزم الطرفان بموجبه بالحيلولة دون نشوب نزاعات بين ابن سعود والامام يحيى والادريسى وعدم التدخل فى هذه النزاعات لو نشبت . واعلن البروتوكول عن «الحرية الاقتصادية والتجارية فى ساحل الجزيرة العربية وفى جزر البحر الاحمر لمواطنى ورعايا كلا البلدين» . وصرح الجانب البريطانى بان اهم ما يشغل باله هو «عدم السماح بتمركز اية دولة اوربية فى ساحل البحر الاحمر الشرقى وخصوصا فى كمران وجزر فرسان» . كما اعلن الانجليز ان كمران وجزر فرسان يجب الا تقع فى ايدى حكام عرب غير موالين لهم . واعرب الجانب الايطالى بدوره عن تصريح مماثل تماما فيما يخص ساحل الجزيرة العربية وكمران وجزر فرسان *** .

ومع ان لقاء رومـــا لم يسفر عن تسويـــة للتناقضات الانكلوايطالية فى المسائل الاساسية الا انه خفف لدرجة ما التوتر الذى نشأ فى العلاقات بين الحليفتين بسبب اليمن . وبين سير الاحداث اللاحق ان النتيجة الجوهرية الوحيدة لهذا اللقاء هـــى

---

* Ibid., No 124.

** Ibid.,

*** Ibid., No 169.

الاتفاق على «الاتصال الوثيق بين الطرفين فى كل المسائل المتعلقة بالبحر الاحمر وجنوب شبه الجزيرة لتفادى اى سوء تفاهم بين الجانبين» * .

اما ما اعلنه المشاركون فى اللقاء عن الرغبة فى صيانة السلام فى شبه الجزيرة العربية والتزامهم بعدم التدخل فى النزاعات بين الحكام العرب فقد ظل حبرا على ورق . فقد بذلت بريطانيا وايطاليا فى الواقع جهودا كبيرة لتأجيج الحرب بين السعودية واليمن والتى كان يراد لها ، وفق المخططات البريطانية والايطالية ، ان تضعف اقوى ملكين فى الجزيرة العربية وتعزز مواقع الامبريالية البريطانية والايطالية فى حوض البحر الاحمر .

وسعت السلطات الاستعمارية البريطانية عمدا الى التستر على التنافس الانكلوايطالى فى الجزيرة العربية . ولم تكرس للقاء روما الا مقالات مقتضبة فى الصحافة البريطانية اكدت بان اللقاء يتسم بطابع تبادل المعلومات ويتناول بالاساس المصالح الاقتصادية لبريطانيا وايطاليا فى البحر الاحمر ** .

وتجدر الاشارة الى ان المستشرقين لم يكونوا حتى الآونة الاخيرة مطلعين على تفاصيل لقاء روما ، لان المواد الارشيفية الخاصة به لم تكن فى متناول ايدى دارسى هذه القضية . ويعتبر انعدام المراجع هو السبب فى عدم صحة الرأى الوارد فى مؤلفات بعض المستشرقين السوفييت والقائل بان من نتائج لقاء روما فى ١٩٢٧ توقيع اتفاقية انكلوايطالية بين كلايتون وغاسباريني فى روما فى كانون الثانى (يناير) ١٩٢٨ نصت على التزام الطرفين بعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لليمن والابقاء على الوضع القائم فى الجزيرة العربية والحيلولة دون القيام باعمال مستقلة فيما يخص شؤون الجزيرة *** .

* Ibid.

** "The Times", 20.1.1927; "Morning Post", 22.1.1927; "Daily Telegraph", 22. 1927.

*** راجع كريتنير . الامبريالية البريطانية فى الجزيرة العربية . مواد فى القضايا القومية ، موسكو ، ١٩٣٤ ، العدد ٥ ؛ وتاريخ الاقطار العربية المعاصر ، موسكو ، ١٩٦٧ ، ص ٢٤٧ ، ٦٢١ ؛ وكوتلوف ، الجمهورية العربية اليمنية ، موسكو ، ١٩٧١ ، ص ٢٧٤ .

واستنادا الى دراسة المطبوعات الغربية والعربية عن اليمن التى لم يرد فيها ذكر لاتفاقية روما عام ١٩٢٨ واكبر المجاميع الدبلوماسية وصحافة العشرينات ووثائق الارشيف الوطنى فى الهند توصلنا الى استنتاج مفاده ان المصدر الذى يحتمل ان يكون قد ضلل الباحثين هو ما نشرته صحيفة «اجيبشين غازيت» المصرية فى ٢١ تموز (يوليو) ١٩٣٣ عن توقيع اتفاقية ١٩٢٨ فى روما * . ففى الحقيقة لم توقع اتفاقية انكلوايطالية رسمية بشأن اليمن لا فى عام ١٩٢٧ ولا فى عام ١٩٢٨ ، ولم يرد فى المراسلات الدبلوماسية للفترة ١٩٢٨-١٩٣٦ ، بما فيها المراسلات البريطانية والايطالية المتعلقة بالمصالح المشتركة فى اليمن ، ذكر «اتفاقية روما ١٩٢٨» ، وكل ما ورد فى تلك المراسلات هو الاشارة الى بروتوكول لقاء روما ١٩٢٧ ونعته «باتفاقية روما» و«اتفاقية كلايتون» و«اتفاق روما» و«الاتفاقية غير الرسمية» و«الاتفاق الانكلوايطالى لعام ١٩٢٧» وهلمجرا * * .

ورغم الادعاء بالالتزام بعدم التدخل فى النزاع بين الامام يحيى وابن سعود ظلت الامبريالية الايطالية تشجع الامام فى طموحه الى ضم عسير واراضى محمية عدن الى اراضيه . ففى ١ حزيران (يونيو) ١٩٢٧ وقعت ايطاليا اتفاقية سرية مع اليمن اعترفت فيها بسيادة اليمن الكاملة فى جميع «حدوده الجغرافية المعروفة» ووعدت بمواصلة تزويده بالسلاح . ومنح الامام يحيى بدوره ايطاليا الاولوية فى الحصول على الامتيازات فى اليمن * * * .

ولم تكن الامبريالية الايطالية تسعى الى استعمار اليمن بسبب ضعف امكانياتها ، لكنها استفادت من التناقضات الانكلويمنية وحاولت ان ترسخ نفوذها على ساحل الجزيرة العربية ، ولا سيما فى جزر فرسان وجزيرة كمران . فهذا يهيئ لايطاليا فرصة

---

* "Egyptian gazette", 21.7. 1933.

* * NAI, a) File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 258, 289; b) File 53-N. Yemen affairs, 1929, No 7; c) Yemen series, 1930. Foreign Office Letter No 242; d) File 78-N, 1931. Ibn Saud and Asir, encl. to No 16; e) File 496-N, 1931, Relations between Hejaz and Yemen, p. 2; f) File 12-N, 1936. Arabia series, No 89, p. 67.

* * * "The Times", 3.9.1927.

المشاركة فى الاشراف على منفذ البحر الاحمر من الشاطئين العربى والافريقى ، مما يجعل البلدان التى تستخدم هذا الطريق البحرى الهام جدا فى تبعية لايطاليا . واراد الامبرياليون الطليان ان يستفيدوا من الصعوبات التى واجهتها بريطانيا فى العلاقات مع الامام يحيى وسعوا الى اداء دور المحكم فى النزاع الانكلويمنى ، وبالتالى الى ممارسة الضغط على بريطانيا فى اللحظة المناسبة . ويهيئ ذلك لايطاليا بقدر ما فرصة تجاوز الدور الثانوى الذى كانت تلعبه فى مطلع القرن العشرين فى مجال التعاون الانكلوايطالى فى البحر الابيض المتوسط وشمال شرقى افريقيا . وكانت لايطاليا مصالح اقتصادية فى اليمن . فان استخدام اليمن بمثابة سوق لتصريف المنتجات الايطالية والمتاجرة الرابحة بالبن اليمنى واحتكار بيع المشتقات البترولية فى اليمن وغير ذلك من الامتيازات التجارية التى منحها الامام مقابل المساعدة الايطالية كان يهيئ للامبرياليين الايطاليين فرصة ابتزاز ارباح طائلة . وكان بوسع توجيه التجارة اليمنية من عدن صوب مصوع ان يقلل كثيرا دور المستعمرة البريطانية ويزيد فى الوقت ذاته من اهمية اريتريا الايطالية . ودعت الصحافة الايطالية فى تلك الفترة الى استثمار الساحل اليمنى ونعتته «بالمؤخرة الاقتصادية الطبيعية لاريتريا» * . وكانت الاوساط الحاكمة فى ايطاليا تخطط لنقل بعض الشركات الايطالية العاملة فى اسمرة الى شبه الجزيرة العربية وتأسيس شركة تجارية للبحر الاحمر والسينديكات الايطالى لافريقيا وتطوير الملاحة الايطالية فى البحر الاحمر .

الا ان كل هذه المخططات لم تنفذ بسبب ضعف الامبريالية الايطالية اقتصاديا .

اما بريطانيا فقد وضعت نصب عينيها اعاقة توغل اية دولة اوربية فى شبه الجزيرة العربية . فمن خلال البحر الاحمر كان يمر خط المواصلات الذى يربط اوربا بالشرق ، وكانت بريطانيا تسيطر على المشارف الرئيسية للنقاط الاستراتيجية فى هذا الخط – جبل طارق ومالطة والاسكندرية وقناة السويس وجزيرة

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 109.

بريم وعدن ومسقط وسيلان وسنغافورة . واضعف نقطة فى هذا الخط هى البحر الاحمر ، حيث يرابط الطليان فى اريتريا والفرنسيون فى جيبوتى . ولذا بذلت الدبلوماسية البريطانية قصارى جهدها للحيلولة دون تغلغل المستعمرين الايطاليين فى ساحل الجزيرة العربية .

كانت سياسة بريطانيا ازاء الامام يحيى تستهدف الحصول على اعتراف منه بالسيطرة البريطانية على جنوب الجزيرة العربية . ولبلوغ هذا الهدف استخدم الانجليز المفاوضات الدبلوماسية وشراء ذمم القبائل وتدبير المؤامرات والتمردات ضد الزيدية وتأجيج التناقضات بين الامام يحيى وابن سعود .

واستندت سياسة الامام يحيى فى اواسط العشرينات على الاستفادة القصوى من التناقضات بين بريطانيا وايطاليا من اجل توحيد اليمن . الا ان آمال الامام فى الدعم من جانب ايطاليا لم تتحقق . فقد زودت ايطاليا اليمن باسلحة وتجهيزات عتيقة باسعار اعلى من الاسعار العالمية بكثير . وفى الاوقات العصيبة بالنسبة لليمن ، عندما قصفت الطائرات البريطانية المدن اليمنية رفض موسولينى طلب الامام يحيى بتزويد اليمن بسلاح مضاد للجو . والاكثر من ذلك كان الفاشيون الايطاليون الذين يصورون انفسهم حماة البلدان الاسلامية مستعدين للمشاركة فى العمليات الحربية البريطانية كيلا يتخلفوا عن بريطانيا فى التوسع الاستعمارى .

كان التنافس الانكلوايطالى على النفوذ فى جنوب شبه الجزيرة العربية قد دفع الامام يحيى بقدر كبير لتطبيق سياسة الانعزال التى مكنته من صيانة استقلال البلاد من جهة ، واعاقت من جهة اخرى التطور الاقتصادى والسياسى والاجتماعى لليمن .

الفصل الثالث

قيام الدولة اليمنية المستقلة

١ . سياسة الامبريالية البريطانية المعادية لليمن في اواخر عشرينات القرن الحالي

لقد اثر اخفاق المحاولات الدبلوماسية لحمل الامام يحيى على الاعتراف بالتقسيم الانكلوعثماني لليمن وتزايد نشاط ايطاليا في جنوب حوض البحر الاحمر تأثيرا كبيرا على الانعطاف في سياسة بريطانيا ازاء اليمن ، وهو الانعطاف الذي يتلخص في الانتقال من اللين الى الشدة . ففي اعقاب توقيع اتفاقية ١٩٢٦ الايطاليـــة اليمنية بدأت بريطانيا تحضر للعمليات الحربية ضد اليمن . وافرد الدور الرئيسي فيها لسرب من احدث قاذفات القنابل . وفي بداية اذار (مارس) ١٩٢٧ وصل سرب الطائرات هذا الى عدن . وسرعان ما كلف المقيم البريطاني في عدن الجنرال ستيوارت بتوجيه انذار الى الامام يحيى يعلن فيه «ان استمرار احتلال عساكر الامـــام لاراضي المحمية يمكن ان يسفر في اية لحظة عن اجراءات تنكيلية جوابية برا وجوا وبحرا» . وحذروا الامام من ان «الغزو الجديـد للمحمية او اية عمليات اخرى موجهة ضـــــد جزر البحر الاحمر ستؤدي الى عمليات فورية من جانب حكومة صاحب الجلالة» * .

وبغية تأكيد التزام بريطانيـــا باتفاقيات روما فيما يخص المشاورات وتبادل المعلومات كلف وزير الخارجيـــة شمبرلين السفير البريطاني في روما غراهام بان يسلم الحكومة الايطالية مذكرة احاطتها علما بهذا التحول في العلاقات الانكلويمنية * * . وردا على ذلك عبرت الحكومـــة الايطالية عن قلقهـــا من الانذار

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, encl. to No 154.

* * Ibid., encl. to No 160, encl. to No 171.

البريطانى الى اليمن فاهابت بلندن ان تمتنع عن العمليات الحربية ضد الزيديين * .

ولم يسفر الانذار البريطانى الموجه الى امام اليمن عن التأثير الذى كان الانجليز يتوقعونه . فالامام يحيى لم يتخل ، فى رده ، عن حقوقه فى جنوب شبه الجزيرة ، بل اقترح ارسال ممثل عنه الى عدن لتسوية مسألة توقيع الاتفاقية ** .

ورغم رفض الامام يحيى فعليا النزول عند شروط الانذار لم تعجل بريطانيا فى تنفيذ تهديدها . ففى ٢٥ آيار (مايو) ١٩٢٧ اتخذت لجنة الامن الامبراطورى التابعة لمجلس الوزراء البريطانى قرارا بقصف المدن اليمنية ولكن بعد ان يقدم الزيديون الذريعة المناسبة لهذا الغرض اذا قاموا بغزو جديد» *** .

وتعزى عدم رغبة المستعمرين البريطانيين فى اثارة بؤرة جديدة للتوتر الى ان مكانة بريطانيا دوليا تعقدت كثيرا فى صيف ١٩٢٧ بسبب السياسة العدوانية التى طبقتها حكومة بولدوين المحافظة ضـــد الاتحاد السوفييتى . وفى اذار (مارس) ١٩٢٧ بدأ التدخل المسلح الانكلواميركى السافر فى الصين حيث اشتدت لدرجة كبيرة انذاك الثورة التى هددت باسقاط صنائع الامبريالية العالمية .

وفى نفس وقت احداث الصين تأزم الموقف فى مصر حيث اتسع النضال ضد السيطرة البريطانية . وفى تلك الفترة كانت بريطانيا تريد اشعال حرب ضد الاتحاد السوفييتى فشددت التوتر عمدا فى العلاقات الانكلوسوفييتية . وفى ٢٧ ايار (مايو) ١٩٢٧ سلم شمبرلين ممثل الاتحاد السوفييتى فى لندن مذكرة اعلنت عن قطع العلاقات الدبلوماسيـــة مع الاتحاد السوفييتى وفسخ اتفاقية ١٩٢١ التجارية من جانب الحكومة البريطانية **** . وكانت الاوساط الحاكمة البريطانيـــة تريد من وراء قطـــع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى ان تعزله سياسيا واقتصاديا

---

* Ibid., No 182.

** Ibid., No 183.

*** Ibid., No 202.

**** وثائق السياسة الخارجية فـــى الاتحاد السوفييتى ، موسكو ، ١٩٦٤-١٩٦٦ ، المجلد ١٠ ، ص ٢٤٨ .

وتشدد المقاطعة الاقتصادية والمالية ضده وتهيئ الظروف لتدبير اعتداء خارجي عليه . وقد دعا شمبرلين الى تأجيـــل العمليات التأديبية ضد اليمن واشار فى ٣ حزيران (يونيو) ١٩٢٧ الى ان بريطانيا تواجه الآن ازمات كثيرة ، وخصوصا قطـــع العلاقات الدبلوماسية مع الاتحاد السوفييتى ، وتعقد الموقف فى الصين ومصر . واقترح شمبرلين عدم شن اية عمليات حربية ضد اليمن فى المستقبل القريب حتى اذا جرى «غزو جديد للمحمية» * .

ووفقا لتوجيه شمبرلين كلف المقيم البريطانى فى عدن فى ٩ تموز (يوليو) ١٩٢٧ باعلان الموافقـــة على اقتراح الامام يحيى بشأن استئناف مفاوضات توقيع الاتفاقيـــة ودعوة ممثله الى عدن * * . الا ان الامام يحيى لم يقدم ردا محددا على مسألة سحب مفارزه المسلحة من اراضى المحمية . فقد بعث مع كراوفورد ممثل احدى الشركات البريطانية الذى كان فى صنعاء على امل الحصول من الامام يحيى على امتياز ما رسالة غير رسمية الى عدن اصر فيها على حقوقه فى الامارات اليمنية الجنوبية * * * .

وكانت لندن لا ترى جدوى من استئناف المفاوضات على هذا الاساس ، فقررت عدم الرد على الامـــام يحيى وعدم الشروع بالمفاوضات الا بعد ان يعترف بحدود محمية عدن * * * * .

وفى خريف ١٩٢٧ تهيأت للمستعمرين البريطانيين لاول مرة ذريعة لاستخدام سرب قاذفات القنابـل المرابطة فى عدن . فان مجموعة من المفارز اليمنية دخلت اراضى اتحاد قبائـــل صبيحى اليمنية الجنوبيـــة فى ايلول (سبتمبر) ١٩٢٧ واحتلت موقعين سكنيين .

وفى ٣ تشرين الاول (اكتوبر) سمحت وزارة الخارجية للادارة فى عدن بالقـــاء مناشير تتضمن نص الانذار على الاراضى التى احتلها اليمنيون . وانذرت المناشير العساكر اليمنية بانهـــا ستتعرض للقصف اذا لم تنسحب الى مواقعها السابقة فى غضون ٤٨ ساعة . وبعد انتهاء مدة الانذار فى ٦ تشرين الاول اقلعت

---

* NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 202.

* * Ibid., No 220, 221, 232.

* * * Ibid., No 248.

* * * * Ibid., No 264, 268.

الطائرات البريطانية لقصف المواقع اليمنية ، لكنهـا رأت ان مفارز الامام انسحبت ، فعدلت عن قصف المنطقة * . لقد كان الجيش اليمنى عاجزا تماما امام الغارات الجوية . ومع ان ايطاليا زودت اليمن بسبع طائرات عتيقة ، لكنها لم تستخدم بسبب عدم وجود طيارين يمنيين ** .

وبوصول سرب قاذفات القنابل خطت بريطانيا خطوة جديدة على طريق بتر المناطق الجنوبية من اليمن نهائيـا . وفى ٢٤ تشرين الاول ١٩٢٧ صدر قرار من الحكومة البريطانية بتخويل المقيم البريطانى فى عدن «بحق قصف المدن اليمنية بدون سماح خاص من لندن فى حالة قيام الزيديين بغزو جديد» *** . وفى خريف ١٩٢٧ اسرع المستعمرون البريطانيـون فى التحضير للعمليات التنكيلية ضد اليمنيين ، ولم يعودوا يكتفون بمهمة تثبيت التقسيم الانكلوعثمانى لليمن نهائيا . وبعد ان اعرب اليمن فى صيف ١٩٢٧ عن رغبته فى اقامـة علاقات ودية مع الاتحاد السوفييتى ظهر فى سياسة الامبريالية البريطانية تركيز جديد على ممارسة الضغط على الامام يحيى لحمله على التخلى عن اية اتصالات مع اول دولة اشتراكية فى العالم .

وسرعان ما حصلت الادارة فى عدن على ذريعة مناسبـة لتجريب سربها الجديد فى عمليات حربية ضد اليمنيين . ففى ٨ شباط (فبراير) ١٩٢٨ قامت عدة مفارز من عساكر الامام يحيى بحملة على اراضى قبيلـة صبيحى فى جنوب اليمن وقبضت على شيخين من شيوخها كرهينة **** . واتخذت الادارة فى عدن اعتقال الشيخين حجة لتتظاهر «بالدفاع» عن اهالى محمية عدن وتعيد حدود ١٩٠٥ العدنية اليمنية بالقوة تحت ستار اطلاق سراح الرهينتين . وكان الانجليز قد استعدوا لهذه العملية من زمان . وتشكلت مفارز مقاتلة من بين قبائل جنوب اليمن الموالية لبريطانيا لتحارب حاكم صنعاء . وبانتهاء مدة الانذار انهالت الطائرات البريطانيـة

---

* Ibid., No 278.

** Gavin R.J. Aden under British Rule . . . p. 430.

*** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-27, No 294.

**** Gavin R. J. Op. cit., p. 283; Ingrams H., Op. cit., p. 67.

بقصف وحشى على مدينة القطيب وعلى مواقع اليمنيين فى منطقة الضالع . وترك القصف الكثيف الذى قتل اثناءه اكثر من ١٤٠ شخصا اثرا كبيرا على اليمنيين الذين لم يكن الكثيرون منهم قد رأوا الطائرة قبل ذلك . وحاول الامام يحيى ان يحد من انتشار الذعر والرعب فى عساكره فطلب هدنة واصدر امرا باطلاق سراح الرهينتين * .

وتوقعت الادارة فى عدن استسلام الامام قريبا فاوقفت القصف مؤقتا ووافقت على اجراء المفاوضات ووقف اطلاق النار . الا ان اللقاء الانكلويمنى الذى جرى فى مدينة تعز لم يسفر عن نتيجة ، لانه كان مجرد حلقة فى «تكتيك المماطلة» الذى طبقه الامام لكسب الوقت ولاخماد عصيان القبائل ذات الميول الانفصالية .

ومع ان سياسة كبار الاقطاعيين الزيديين الرامية الى توحيد الاراضى اليمنية التاريخية فى دولة واحدة كانت تستجيب لحاجات البلد الاقتصادية والاجتماعية ، الا ان شكل تطبيقها الذى يتلخص فى التنكيل دون رحمة بالقبائل العاصية والنهب السافر والاستيلاء على افضل الاراضى وفرض اضطهاد مزدوج على البسطاء من ابناء القبائل غير الزيدية اثار تذمرا متزايدا بين اهالى المناطق التى جرى توحيدها . وكانت الادارة فى عدن تؤجج الميول المعادية للزيديين ، فقد كان عملاؤها يعرضون معونات مالية كبيرة على شيوخ القبائل ذوى الميول الانفصالية فى حالة التمرد على الامام يحيى .

ولذا لم يكن من قبيل الصدفة ان تمرد قبائل حاشد والزرانيق على حاكم صنعاء استؤنف ابان قصف المدن اليمنية . وفى الوقت ذاته استمر تأزم الموقف على الحدود الشمالية مع عسير التى يدعى بعائديتها كل من الامام يحيى وابن سعود . وكان الكفاح على ثلاث جبهات قد اضعف قدرة اليمنيين الشماليين واعاق تحشيد قواتهم فى اتجاه واحد . ولهذا السبب حاول الامــــام يحيى ان يخصص قوات لدعم مؤخرته فسعى الى اطالة امد الهدنة الى اقصى حد . فقد استفاد الامام من وقف اطلاق النار فى الحدود الجنوبية

---

* Survey of international affairs, 1928, p. 315; Gavin R. J. Aden under British Rule . . . , p. 283.

فبعث فى ايار (مايو) ١٩٢٨ حملة كبيرة بقيادة الامير احمـــد لاخماد حركة الزرانيق * .

وادرك الانجليز مناورة الامام يحيى عندما اتضح فى اللقاء الانكلويمنى فى تعز ان ممثلى الجانب اليمنى لا يتمتعون بصلاحية اجراء المفاوضات الرسمية فيما يخص توقيع الاتفاقية * * . فرفضوا اقتراح الامام يحيى بتمديد الهدنة فترة اخرى وطالبت الادارة فى عدن بلهجة انذارية بانسحاب المفارز اليمنية من اراضى المحمية فى مدة لا تتجاوز ٢٠ حزيران (يونيـــو) . وفى ٢٥ حزيران ١٩٢٨ استأنفت الطائرات البريطانية غاراتها . وكان نطاق غارات قاذفات القنابل هذه المرة اوسع بكثير ، حيـــث شمل تعز واب وذمار والقطيب وماوية وغيرها . واسفر القصف المكثف يوميا والذى استمر اكثر مـــن ٢٠ يوما عـــن اضرار بالغـــة بالسكان المسالمين .

ولم تكن الغارات الجوية ذات طابع عسكرى فقط . فالطائرات البريطانية القت مناشير وعدت فيهـــا ادارة اليمن بعدم قصف المناطق التى يرفض اهاليها من الشافعية تأييد الزيدية . وكان الانجليز يؤملون فى تأجيج النزاع بين مختلف الطوائف الدينية فى اليمن فكتبوا فى مناشيرهم ان الزيديين وحدهم مسؤولون عن القصف الجوى الذى لا غرض منه سوى «الدفاع» عن القبائـــل اليمنية الجنوبية التى هى تحت الحماية البريطانية . واتخذت هذه التصريحات المرائية التى تهدف الى تأليب الشافعيين على الزيديين وجرهم الى نزاع قبلى على اساس طائفى ستارا للتغطيـــة على الاغراض التوسعية الفعلية لبريطانيا .

وفى ١٦ تموز (يوليو) ١٩٢٨ انسحبت العساكر اليمنيـــة العاجزة امام الغارات الجوية وتركت مدينة الضالع الهامة من الناحية الاستراتيجية . وبعد محاولات فاشلة لاستعادة المواقع المفقودة اضطر اليمنيـــون فى اواخر تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٨ على الانسحاب الى ما وراء خط حدود ١٩٠٥ الانكلوعثمانية ، واحتفظوا

---

* Survey of international affairs . . . , p. 318; سالم مصطفى ، تكوين اليمن ، ص ٣٣٥ .

* * امين سعيد . اليمن . . . ، ص ٦٨ .

فقط بجزء من اراضى عودلى ويافع * . ولم تتحقق امال الامام يحيى فى الحصول على دعم عسكرى وسياسى من جانب ايطاليا . فان ايطاليا لم ترغب فى المزيد من تأزيم العلاقات مع بريطانيا ، ولذا لم تعارض العدوان البريطانى على اليمن . واكتفى المستعمرون الايطاليون بارساليات صغيرة من السلاح العتيق والذخيرة التى باعوها على الامام باسعار مرتفعة جدا .

٢ . العلاقات بين الاتحاد السوفييتي والحجاز واليمن . اضعاف مواقع المستعمرين البريطانيين فى شبه الجزيرة العربية

فى وضع سياسى معقد فى الداخل والخارج ابلغ اليمن الحكومة السوفيتيية برغبته فى اقامة العلاقات الدبلوماسية بين الدولتين . وتعود اولى الاتصالات بين المسؤولين اليمنيين وممثلى الاتحاد السوفييتى الى عام ١٩٢٦ حيث تقابل مبعوث الامام يحيى فى العاصمة التركية انقرة القاضى احمد الانسى مع الممثلين السوفييت . وارست لقاءات انقرة بداية العلاقات بين الاتحاد السوفييتى واليمن .

وفى صيف ١٩٢٧ بعث الامير محمد ، نجل الامام يحيى ، رسالة الى الممثلية السوفييتية فى جدة اعرب فيها عن رغبة حكومة اليمن فى التفاهم مع الشعوب الشرقية ، لاسيما التى تتميز بنمط التفكير التقدمى وتكافح الاضطهاد الامبريالى . وجاء فى الرسالة ان حكومة روسيا الموقرة تسهر على مصالح الشرق . والامبرياليون يكافحون هذه الحكومة وينفقون اموالا طائلة على ذلك ويخصصون وسائل عسكرية وسياسية ضخمة ليحولوا دون الشعوب الشرقية ودون نسيم الحرية . وتكسب هذه الحكومة عطف الشعوب المظلومة . ويأمل اليمانيون ، كما كتب الامير محمد ، فى قيام علاقات طيبة بين الحكومتين .

وبالمقارنة مع «مساعدة» ايطاليا الامبريالية التى تأكد اليمنيون من عدم نزاهتها كان بوسع الامام يحيى ان يرى كيف تتطور بشكل مثمر العلاقات التجارية المتكافئة بين العربية

---

* Servey of international affairs, 1928, p. 316.

السعودية والاتحاد السوفييتي الذى كان اول بلد فى العالم يعترف باستقلال دولة ابن سعود فى ١٦ شباط (فبراير) ١٩٢٦ ، وبذا قدم لها دعما سياسيا ومعنويا كبيرا . وفى نيسان - ايار (ابريل - مايو) ١٩٢٦ تبادل مفوض الشعب للشؤون الخارجية فى الاتحاد السوفييتي تشيتشيرين وابن سعود رسالتين اعربا فيهما عن رغبة الطرفين فى تطوير العلاقات الثنائية . وفى صيف ١٩٢٦ عقد فى مكة المؤتمر الاسلامى العام الذى دعا اليه ابن سعود لمناقشة قضايا الحج . ودعى لحضور هذا المؤتمر كذلك مسلمو الاتحاد السوفييتي الذين مثلهم وفد الادارة الدينية المركزية فى اوفا . وترأس الوفد السوفييتي المفتى فخر الدينوف الذى انتخب نائبا اول لرئيس مؤتمر مكة . وقد ساعدت مشاركة مسلمى الاتحاد السوفييتي فى المؤتمر لدرجة معينة على نجاحه ، كما ساعدت فى الوقت ذاته على اخفاق مؤتمر آخر حاول ان يعقده فى القاهرة علماء الدين المصريون بتشجيع من بريطانيا ليواجه مؤتمر مكة .

واثر قيام العلاقات السوفييتية الحجازية بقدر معين على جعل الدبلوماسية البريطانية تقدم على تنازلات فى المفاوضات مع ابن سعود خشية استمرار التقارب بين العرب والاتحاد السوفييتي . فلئن كانت المشاريع البريطانية السابقة للاتفاقية الانكلوسعودية المنتظرة تهمل عمدا مسألة اعتراف بريطانيا باستقلال نجد والحجاز * ففى اواخر عام ١٩٢٦ اضطرت لندن الى النزول عند رغبة ابن سعود والاعتراف رسميا باستقلاله ** .

وفى ايار (مايو) ١٩٢٧ وصلت من اوديسا اول سفينة سوفييتية تقل حجاجا من مختلف البلدان الاسلامية الى ميناء جدة الحجازى ، حيث نظم بمبادرة من غرفة التجارة الشرقية معرض لبيع السلع السوفييتية . وبفضل الجودة الممتازة حظيت البضائع الروسية باقبال واسع لدى الاهالى . ووقعت المؤسسات التجارية السوفييتية عدة عقود مع تجار من الحجاز . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٧ قامت الباخرة السوفييتية «تيودور نيته» برحلتها الثانية الى جدة ، حيث نقلت ٢١٧ طنا من الدقيق والسكر وكمية من

* NAI, File 114-N of 1982. Revision of the Treaty between His Majesty's government and Ibn Saud, No 4,21, encl. 2 to No 35.

** Ibid., annex. 5, No 63.

الآنية النحاسية ونماذج من مختلف البضائع . وفى الفترة الاولى من المتاجرة مع نجد والحجاز بلغ مجموع ما نقل من الاتحاد السوفييتى الى جدة ٧٥٠ طنا من السكر و٤٧٠ طنا من الدقيق ، بالاضافة الى المشتقات البترولية والمنتجات الصناعية والسليكات وغيرها من البضائع * .

واثار افتتاح الممثلية السوفييتية فى جدة وتعزز العلاقات بين الحجاز ونجد وبين الاتحاد السوفييتى رد فعل سلبيا للغاية فى الاوساط الاستعمارية البريطانية . فقد حاول المستعمرون البريطانيون بكل الوسائل ان يعيقوا تعزيز العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والعرب ، فخوفوا زعماء البلدان العربية «بالخطر البلشفى» وروجوا مختلف الاكاذيب المعادية للشيوعية وللاتحاد السوفييتى واعاقوا تطور الصلات التجارية الطبيعية بين البلدان العربية والاتحاد السوفييتى ، وهى الصلات التى تعود اصولها الى تجارة روسيا التى كانت منتعشة تماما مع بلدان الشرق الادنى وشمال افريقيا فى القرن التاسع عشر ** .

ومن الادلة على النشاط التخريبى الذى مارسته بريطانيا ضد الاتحاد السوفييتى برقية المندوب السامى فى القاهرة اللورد لويد الى وزارة الخارجية البريطانية فى ١٩ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٦ . فقد اعرب اللورد لويد عن مخاوفه من قيام الاتصالات الوثيقة بين الممثلية السوفييتية فى جدة والقوى التقدمية فى مصر ، واقترح «حمل ابن سعود على قطع العلاقات الدبلوماسية مع روسيا السوفييتية» باسرع ما يمكن *** .

ومع ان وزارة الخارجية البريطانية رفضت الضغط بخشونة على ابن سعود ، لكنها بعثت توجيها سريا الى جوردان ممثل بريطانيا فى جدة وكلفته بان يخبر ابن سعود سرا بان «حكومة صاحب الجلالة ستنظر بعين الرضى اليه اذا وجد وسيلة لتقليص

---

* راجع يوفى . السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى (١٩٢٨–١٩٣٢) . موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ٤١٠ .

** تاريخ البلدان العربية المعاصر . موسكو ، ١٩٦٨ ، ص ٢٥ – ٢٦ .

*** NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 108.

نشاط الممثلية السوفييتية فى جدة» * . والى جانب الضغط على ابن سعود شنت الصحف البريطانية حملة على الصفقات التجارية السوفييتية فى شبه الجزيرة العربيــــة . وتعرضت للضغط من جانب بريطانيا ليس فقط الاوساط الحاكمة فى الدولة السعودية ، بل وكذلك التجار السعوديون المحليون . وبالنتيجة واجهت البعثة التجارية السوفييتية الثالثة الى جدة مقاطعة دبرها الانجليز . ولم يسمـــــح للموظفين التجاريين السوفييت حتى بالنــــزول الى الساحل * * . وخلال الفتـــرة ١٩٢٨-١٩٢٩ وصلت الى الحجاز من الاتحاد السوفييتى بعثة تجارية واحدة ، وفى عام ١٩٣٠ لم تصل اية بعثة . ولم تحقق نجاحا المفاوضات التى بدأت فى عام ١٩٢٨ بخصوص الاتفاقية التجارية ، رغم حاجة الحجاز ونجد الماسة فى فترة الازمة الاقتصادية العالمية الى البضائع التى كانت ترد فى السابق من الاتحاد السوفييتى .

ورغم العوائق المختلفة التى وضعها المستعمرون البريطانيون ظلت علاقات الاتحاد السوفييتى مع الشعوب العربية تتطور . وفى آذار (مارس) ١٩٢٨ وافقت الحكومة السوفييتية على اقتراح امام اليمن باقامة العلاقات الدبلوماسية والتجارية بين الدولتين .

وفى معرض الحديث عن المساعدة السوفييتية لليمن اشار المؤرخ العربى الدكتور محمد على الشهارى فى كتابه «طريق الثورة اليمنية» الى ان قوة جديدة ظهرت فى الشرق وليس لديها اطماع امبريالية ، خلافا لبريطانيا الامبريالية وايطاليا الفاشية اللتين ارادتا ابتلاع اليمن الشمالى ، وكانت تلك القوة تريد ان تمد يد الصداقة الخالصة وتقدم المساعدة النزيهة . وتلك القوة الجديدة هى الاتحاد السوفييتى الدولة الاشتراكيـــــة الوحيدة الاولى فى العالم * * * . وكان وصول باخرة الاسطول التجارى السوفييتى الى الحديدة فى ايار (مايو) ١٩٢٨ قد ارسى بداية العلاقات التجارية بين الاتحاد السوفييتى واليمن . وحظيت السلع السوفييتية برواج

---

* Ibid., No 109.

* * «شعوب آسيا وافريقيا» ، ١٩٦٥ ، العـــدد ٦ ، ص ٥٩ .

* * * راجع الشهـــــارى ، محمد على . طريـــــق الثورة اليمنية ، القاهرة ، ١٩٦٦ ، ص ٣٢-٣٣ .

كبير واعربت اوساط يمنية عن رغبتها فى اضفاء طابع منتظم على العلاقات التجارية بين البلدين .

فقد اشارت رسالة استلمتها غرفة التجارة السوفييتية من حاكم الحديدة الامير محمد الى ان الامير سيبذل قصارى جهده لتهيئة الظروف الملائمة للمتاجرة مع الاتحاد السوفييتى وذلك نظرا لرغبة السكان فى شراء البضائع السوفييتية * . وكان وصول البعثة التجارية السوفييتية الى الحديدة فى وقت حرج ، حيث هددت الطائرات البريطانية بقصف المدن والقرى اليمنية من جديد ، قد قدم دعما معنويا كبيرا للشعب اليمنى . وفى رسالة الى الامام يحيى بتاريخ ٨ ايار (مايو) ١٩٢٨ اعرب تشيتشيرين عن «افضل التمنيات والمزيد من الازدهار للمملكة اليمنية وتعزيز علاقاتها الودية مع الشعوب الشرقية الاخرى» * * .

وحاول المستعمرون البريطانيون ممارسة الضغط على الامام يحيى ليحولوا دون توقيع اية اتفاقيات بين اليمن والاتحاد السوفييتى ، فاستأنفوا فى ٢٥ حزيران (يونيو) ١٩٢٨ القصف الوحشى للمدن اليمنية . ولكن رغم هذه المحاولات الرامية الى اعاقة قيام العلاقات اليمنية السوفييتية تم فى ١٢ تموز (يوليو) ١٩٢٨ فى صنعاء توقيع نص الاتفاقية السوفييتية بالاحرف الاولى . وقد اكد النص على الدعم السياسى من جانب الاتحاد السوفييتى لنضال الشعب اليمنى فى مكافحة العدوان البريطانى * * * .

وفى ١٤ تموز (يوليو) بعث امام اليمن رسالة الى تشيتشيرين اخبره فيها بارتياح بتوقيع هذه الوثيقة التى ارست اساس الصداقة بيننا وبين حكومتكم الموقرة ، على حد تعبير الامام يحيى * * * * . واوضح الامام يحيى السبب فى توقيع نص الاتفاقية بالاحرف الاولى فقط مؤكدا ان الملابسات الراهنة ، فى ظروف

---

* راجع «الازفستيا» ، ١٩٢٨/٩/٢٠ ، و«البرافدا» ، ١٩٢٩/١/٢٧ .

* * وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى ، المجلد ٢ ، ص ٣٠٧-٣٠٨ .

* * * المصدر ذاته ، ص ٧٢١ .

* * * * المصدر ذاته ، ص ٣٠٨ .

الضغط المتواصل من جانب بريطانيا ، هى التى املت ذلك ، الا ان الطرفين اتفقا فى الرأى القائل بامكانية توسيع الاتفاقية عند الاقتضاء وعندما يزداد التبادل النافع بين كلا البلدين * .

وفى الاول من تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٨ وقع ممثل الاتحاد السوفييتى استاخوف والقاضى محمد راغب القائم باعمال وزير خارجية اليمن فى العاصمة صنعاء النص النهائى للاتفاقية السوفييتية اليمنية . وكانت تلك اول اتفاقية توقع بين الاتحاد السوفييتى وبلد عربى . واعترفت الاتفاقية بتكافؤ الطرفين فى كل ما يتعلق بالحقوق والاحكام العامة القائمة بين البلدان والشعوب ** . واعترف الاتحاد السوفييتى بالاستقلال التام الكامل لحكومة اليمن ، كما اشار الامام يحيى بدوره الى انه وحكومته يقدران المشاعر الطيبة التى يكنها اتحاد الجمهوريات الاشتراكية السوفييتية للدولة اليمنية وشعبها ، ولسائر شعوب الشرق *** . وفى ٢٣ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ ابرمت اللجنة التنفيذية المركزية للاتحاد السوفييتى الاتفاقية مع اليمن ، وفى ٢٤ حزيران (يونيو) ١٩٢٩ غدت الاتفاقية سارية المفعول بعد تبادل وثائق الابرام **** . وكتبت جريدة «البرافدا» عن الاتفاقية مع اليمن فى تلك السنوات واكدت «بانها حلقة اخرى فى سلسلة اتفاقيات الصداقة التى تربط الاتحاد السوفييتى بالشرق الناهض . . . وهذه الاتفاقية قيمة بالنسبة لليمن خصوصا لان الاتحاد السوفييتى ، خلافا للدول الامبريالية ، لا يتوخى اية اغراض اغتصابية واية مهمات «للتغلغل» و«التوغل» و«النفوذ» وهلمجرا» ***** .

واثار توقيع الاتفاقية بين الاتحاد السوفييتى واليمن وابرامها فيما بعد اصداء واسعة ومتناقضة فى مختلف البلدان . فقد ردت

---

* المصدر ذاته .

** الاتحاد السوفييتى والبلدان العربية ، ١٩١٧-١٩٦٠ . وثائق ومواد ، موسكو ، ١٩٦١ ، ص ٦٩ .

*** المصدر ذاته ، ص ٦٩-٧٠ .

**** وثائق السياسة الخارجية للاتحاد السوفييتى . المجلد ٢ ، ص ٥٦٢ .

***** «البرافدا» ، ١٩٢٩/١/٢٧ .

الصحافة البريطانية على ذلك بحملة حاقدة على الاتحاد السوفييتى وحاولت ان تزور الوقائع والاحداث وتشوه القيمة الحقيقيـــة للاتفاقية السوفييتية اليمنيـــة وتزعزع ثقـــة العرب بالاتحاد السوفييتى . فقد كتبت «التايمس» اللندنية فى ٢٥ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ تقول «فى الآونـــة الاخيرة لم تكن العلاقات بين الامام يحيى ومحمية عدن طيبة ، والذنب فى ذلك يقع ، كمـــا يبدو ، على العملاء الروس المتواجدين فى العاصمة اليمنيـــة صنعاء» * . وبغية تشويه المساعدة السوفييتية الى اليمن حاولت «التايمس» ان تقنع قراءها «بضآلة» الاهمية التجارية والسياسية للوثائق اليمنية السوفييتية التى وقعت فى صنعاء . وظهرت فى الصحف البريطانية مقالات تزعم بان الاتحاد السوفييتى لم يوقع الاتفاقية الا لكى يستخدم اليمن فى «نشاطه الدعائى فى الجزيرة العربية ومصر والهند» ، وادعت تلك الصحف «ان الروس مذنبون فى ازدياد التوتر فى العلاقات الانكلويمنية» * * .

الا ان العرب لم يصدقوا افتراءات الصحافـــة البريطانية . فاغلبية الصحف العربية ، رغم الرقابة الموالية للانجليز ، التزمت بالرأى القائل بأنه اذا كانت صنعاء قد التفتت فى الآونة الاخيرة الى موسكو فلاعتقادها بان «البلاشفة الملحدين» افضل من الدول التى تعتبر نفسها «حامية الاسلام» * * * . وحللت جريدة «شفق صرح» الايرانية فى عددها الصادر فى ٢١ شباط (فبراير) ١٩٢٩ اهمية الاتفاقية اليمنية السوفييتية وكتبت ان هذه الاتفاقيـــة «ستترك انطباعا كبيرا جدا فى الدول التى يقطنها العرب ، لانه اذا كانت حرية اليمن ستضمن بنتيجة هذه الاتفاقية فان النير الاجنبى سيخف ، وسيؤدى ذلك الى جعل سائر الامراء العرب يتوجهون صوب روسيا . وحتى اذا لم يفعلوا ذلك فان نير الدول الامبريالية فى البلدان العربية المستعمرة سيقل بقدر ما» * * * * .

ورغم اختلاقات الصحافة البرجوازيـــة اخذت تتطور علاقات تجارية منتعشة بين الاتحـــاد السوفييتى واليمن . واعتبارا من

* "The Times", 25.1.1929.

* * راجع «الازفستيا» ، ١٩٢٩/٢/١٩ .

* * * راجع صحيفة «فلسطين» ، ١٩٢٩/٢/١٢ .

* * * * جريدة «شفق صرح» ، ١٩٢٩/١/٢١ .

منتصف عام ١٩٢٩ اتخذت هذه العلاقات طابعا منتظما . فخلال ١٩٢٩-١٩٣٠ استوردت اليمن من الاتحاد السوفييتى ٥٠٪ من الكيروسين و٦٠٪ من الصابون و٣٥٪ من السكر مما استوردته عموما ، وكذلك كميات كبيرة من الاخشاب والدقيق والبضائع الاخرى . وساعدت الارساليات السوفييتية لدرجة كبيرة على استقرار الاسعار فى السوق اليمنية . ومع ان الاتحاد السوفييتى فى سنوات التصنيع واشاعة التعاونيات الزراعية كان يعانى من نقص شديد فى الاغذية والتجهيزات فقد اخذ اعتبارا من عام ١٩٣٠ يصدر المكائن والتجهيزات المخصصة للنهوض بالزراعة فى اليمن * . وبسريان مفعول الاتفاقية السوفييتية اليمنية افتتح فى صنعاء مستوصف سوفييتى للهلال الاحمر قدم فيه الاطباء السوفييت الاسعاف الطبى المجانى للسكان . وعلى الصعيد الدولى ايدت الدبلوماسية السوفييتية جهود اليمن فى تعزيز استقلاله .

وبالاضافة الى المستعمرين البريطانيين حاول ان يعيق تطور العلاقات اليمنية السوفييتية المستعمرون الايطاليون الذين اخذوا يفقدون مواقعهم فى اليمن فى الثلاثينات . فحالما تلقى حاكم اريتريا الايطالى نبأ توقيع الاتفاقية اليمنية السوفييتية احتج على الامام يحيى واعلن ان هذه الاتفاقية «تتعارض واتفاقية الامام مع ايطاليا» ** . وفى ٢٩ كانون الثانى (يناير) ١٩٢٩ اعلن القائم بالاعمال الايطالى فى لندن لممثلى وزارة الخارجية «ان حكومته بودها لو تلفت انظار حكومة صاحب الجلالة الى توقيع الاتفاقية التجارية بين الروس وامام اليمن . ان هذا التطور الجديد سيخلق من كل بد صعوبات امام ايطاليا وبريطانيا ولتفادى ذلك تقترح الحكومة الايطالية على الحكومة البريطانية ان تقلص او تكف نهائيا عن الضغط الحربى الذى تمارسه الآن على الامام فيما يخص محمية عدن» *** . ويعتبر تصريح الدبلوماسى الايطالى هذا دليلا بليغا على اهمية الاتفاقية اليمنية السوفييتية

---

* Uoffe A. E. Op. cit., p. 62-63.

** NAI, Yemen affairs, 1929. Arrongements for opening negotiations . . . , encl. to No 1.

*** Ibid., No 7.

وتأثيرها على سياســـــة الامبرياليين الذيـــــن اضطروا الى التخلى عن الاشكال القديمة للسيطرة الاستعمارية .

وبمرور خمسين عاما على توقيع الاتفاقية بين اليمن والاتحاد السوفييتى اعادت «البرافدا» الى الاذهان فى ٣١ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٧٨ منابع قيام العلاقات اليمنية السوفييتية وكتبت تقول : فى تلك الفترة العصيبة بالنسبة للشعب اليمنى عندما تعرض للعدوان الامبريالى وحاولت السلطات البريطانية خنـــق البلاد فى طوق الحصار الاقتصادى والسياسى اتسم باهمية كبيرة تأييد بلاد السوفييت التى اعلنت على رؤوس الاشهاد عن اعترافها التام الكامل باستقلال اليمن . وساعد هذا التأييد على تدعيـــم اركان الدولة اليمنية * .

٣ . اتمام استقلال الدولة اليمنية

فى اواسط عام ١٩٢٩ توقفت غارات الطائرات البريطانيـــة على المدن اليمنية واستؤنفت المراسلات بين صنعاء وعدن بشأن توقيع الاتفاقية الانكلويمنية . وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٩ بعث الامام يحيى مشروع الاتفاقيـــة المذكورة الذى وضعه بمساعدة كراوفورد ممثل احدى الشركات البريطانية ** . ونصت شروط هذا المشروع الذى سمـــاه الامام يحيى فيمـــا بعد «بمشروع كراوفورد» على ان تعترف بريطانيا بالاستقلال التام لليمن وتلتزم بعدم التدخل فى شؤونه الداخلية . واستدرك الامام يحيى فى الوقت ذاته بان عدن التى تحكمها بريطانيا والاراضى المتاخمـــة لها ، بما فيها جزر البحر الاحمر ، هى جزء من اليمن جغرافيـــا وتأريخيا ، لكنه وافق على ابقاء الوضع القائم كما هو حتى البت نهائيا فى مستقبل قريب بمسألة مكانة هذه الاراضى . واحتفظ الامام يحيى بحق اختيار وتعيين القضاة فى محاكم الشريعـــة المتواجدة فى المنطقة البريطانية والاشراف التام عـــلى الشؤون الدينية لسكان المنطقة *** .

---

* «البرافدا» ، ١٩٧٨/١٠/٣١ .

** Baldry J. The Powers and mineral concessions . . ., p. 102.

*** NAI, Yemen series, 1929. Arrangments . . ., encl. 1 to N° 35.

ومع ان الحكومة البريطانية رفضت مشروع الامام متصورة بان شروطه تعنى فى الواقع الاعتراف بالامام يحيى زعيما دينيا لليمن كله ، بما فيه سكان محمية عدن ، فقد اشارت الى المقيم البريطانى فى عدن بان يواصل المفاوضات ويطرح على الامام الصيغة البريطانية للاتفاقية المذكورة ، وهى الصيغة التى استندت اساسا الى المشروع الاخير الذى وضعه كلايتون فى ١٨ شباط (فبراير) ١٩٢٦ اثناء مباحثاته فى صنعاء * وفى نفس الوقت اوصى وزير خارجية الحكومة العمالية الثانية هندرسون المقيم البريطانى فى عدن بان يرفض خدمات كراوفورد الذى لا يتمتع برتبة رسمية وبألا يذكره فى مكاتباته مع الامام ** . وكانت لندن تخشى بان الوساطة الطوعية من قبل شخص مستقل (كراوفورد) فى العلاقات بين اليمن وبريطانيا ستؤدى الى نفس النتائج المؤسفة التى اسفرت عنها «مهمة جاكوب» فى عام ١٩٢٣ *** . وفى ١١ تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٢٩ بعث سايمز المقيم البريطانى فى عدن ، وفقا لتوجيهات لندن ، الصيغة البريطانية للاتفاقية الى صنعاء ، والتى جاء فى شروطها ان بريطانيا توافق على تأجيل «تسوية مسألة الحدود الجنوبية» حتى بدء المفاوضات التالية . وكان على الامام يحيى ، وفقا للمشروع البريطانى ، ان يعترف «بالعلاقات الخاصة ، بين بريطانيا وبين القبائل التى رسمت حدودها فى عام ١٩٠٥ . وورد فى المشروع البريطانى استدراك بان ذلك لا يعنى ان الامام يحيى يعترف بهذه الحدود ويتخلى عن مطالبه . وفى الوقت ذاته لا يعنى ذلك ان بريطانيا تعترف بمطالبه **** . ولم يسفر تبادل المشروعين عن اية نتائج ايجابية ***** . فكلاهما يفتقران الى التحديد ، فالمسألة

* Ibid., No 35, 44.

** NAI, Yemen series, 1929. Arrongements..., encl. 1 to No 44.

*** NAI, File 37-N, 1930. Reopening of negotiations ..., No. 5.

**** Ibid., No 1.

***** Ibid., encl. 2 to No 16, 18.

الاساسية المختلف عليها ظلت معلقة فى كلا المشروعين اللذين اجلا البت فيهما حتى المفـــاوضات التالية . علما بانهما يفهمان «المسألة الاساسية» المختلف عليها بشكل متباين . فالامام يحيى لم يتخل عن نيته فى توحيد اليمن كله تحت سلطته ، ووافق فى مشروعه على تأجيل البت فى مسألـــة تحديد مكانة الاراضى اليمنية الجنوبية التى هى ، فى رأيه ، واقعة تحت الحكم البريطانى بصورة وقتية فقط . اما الصيغة البريطانية التى تضمنت هـــى الاخرى موافقة على تأجيل البت فى مسألة حدود هذه الاراضى فقد احتوت على تفسير لمكانة تلك الاراضى وفقا لرأى الانجليز الذين كانوا يؤملون فى موافقة نهائيـــة على التقسيـــم الانكلوعثمانى لليمن .

وانتهى عام ١٩٣٠ كله فى مكاتبات لا نتيجة لها بين صنعاء وعدن ، حيث اصر الامام يحيى على قبول مشروعه * . وعندما رأت الحكومة البريطانية عدم جدوى الاستمرار فى المفاوضات اعلنت للامام فى اواخر آب (اغسطس) ١٩٣٠ من خلال المقيم البريطانى فى عدن انها «لا ترى امكان استئناف المفاوضات الا فى حالـــة قبول فخامته بالمشروع البريطانى الاخير الذى عرض عليـــه بمثابة اساس للاتفاقيـــة الانكلويمنية» . وحذرت الحكومـــة البريطانية الامام يحيى بانها «تحتفظ بالحريـــة الكاملة لاتخاذ الاجراءات اللازمة لحماية اراضى الحكام المشمولين بحمايتها» * * . وكان هذا التحذير الذى هو انذار فى الواقع دليلا على المزيد من التشدد فى الموقف البريطانى .

وبتعزيز حامية عدن بسرب من قاذفات القنابـــل واستئناف حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن بالكامل تقريبـــا تبدل الوضع فى جنوب الجزيرة بقدر كبير لصالح بريطانيا . وبددت غارات سلاح الجو العدنى آمال الامام يحيى فى توحيد كل الاراضى اليمنية . وبالنتيجة لم تعد حكومة لنـــدن والادارة الاستعمارية فى عدن متحمستين للتعجيل فى توقيع الاتفاقية مع الامام . وكانت وزارة الطيران البريطانية المسؤولة عن الدفاع عن عدن ترى ان حالة

---

* Ibid., encl. 2 to No 18.

* * Ibid., No 20, 21, 22.

«اللاحرب واللاسلم» هذه انفع من علاقات الوفاق مع الامام من الناحية العسكرية الصرف * . فان هذه الحالـــــة تجعل المفارز اليمنية فى منطقة الحدود فى توتر دائم ، بل وتقلق سكان اليمن كله ، بما فيه العاصمة صنعاء التى انتقل اهاليها الى الضواحى خوفا من قصف الطائرات البريطانية * * . وكان هذا هو رأى المقدم ريلى الذى عين فى عام ١٩٣١ مقيما جديدا فى عدن . فقد كتب فى تقريره الى لندن يقول : «القوات الجوية الملكية تؤمن الدفاع عن المحمية من الآن فصاعدا ، اما الاتفاقية فهى تقيد حريتنا فى القيام بالعمليات الجوية الفورية فى حالة وقوع عدوان او تدخل من جانب الامام» * * * .

وقد استندت ثقة الاوساط الاستعمارية البريطانيـــة فى نفسها ، فى مجال العلاقات مع امام اليمن ، الى كون التناقضات السعودية اليمنيـــة بسبب عسير اشتدت خصوصـــا فى اواخر العشرينات . ويعود دور غير ضئيل فى اشتداد هذه التناقضات الى الانجليز الذين حاولوا بمختلف الوسائل اشعال الحرب بيـن اليمن ودولة ابن سعود . ففى ١٩٢٥-١٩٢٦ عرض المبعوثون الانجليز السلاح على ابن سعود ، وفى الوقت ذاته وعدوا الامام يحيى بتقديم الاسلحة والمساعدة ضد ابن سعود . فان بريطانيا التى «توددت» الى ابن سعود وقدمت له المساعدة وعدت اليمن فى الوقت ذاته بحريـــة التصرف فى عسير اذا تخلى عن اراضى محمية عدن . وبالغت الصحافة الغربية ، وخصوصا البريطانية ، مبالغة شديدة فى التناقضات القائمة بين الدولة السعودية واليمن وتوقعت نشوب حرب لا مفر منها بين البلدين . واشتد الصراع بين الامام يحيى وابن سعود من اجل جنوب عسير ونجران وبلغ اوجه باعلان حماية السعودية لامارة الادارسة . علما بان من التفاصيل الجوهرية فى اتفاقية الحماية السعودية كون ابن سعود

---

* انيطت مسؤولية الدفاع عن عدن بوزارة الطيران فى بدايـــة عـــام ١٩٢٨ . راجـــع «التايمس» عـــددى ١٩٢٨/١/١١ و١٩٢٨/١/٢٣ .

* * NAI, 1929, Yemen series. Arrangements . . . , No 37.

* * * NAI, File 6-N, 1932. Resuption of negotiations for Conclusion of Anglo—Yemen Treaty, No 1.

يتصور امارة الادارسة فى «حدودها المذكورة فى اتفاقية ١٠ صفر ١٣٣٩» (١٩٢٠) التى وقعها سلطان نجد ومحمد بن على الادريسى ، اى الحدود التى تضم تهامة اليمن حتى الحديدة ، فضلا عن جنوب عسير * . (كانت تلك الاتفاقية موجهة ضد اعداء ابن سعود والادريسى ـ حكام شمال عسير . ولم ينشر نص الاتفاقية ، لكن المعروف انها اشارت الى الحدود بين نجد وعسير فقط) . فى البداية حاولت السعودية واليمن حل المسائل الاقليمية المختلف عليها بالمفاوضات . فالامام يحيى فى اليمن وابن سعود فى نجد كانا مشغولين باخماد حركة القبائل ذات الميول الانفصالية ، وكان هذا من اسباب طموح الطرفين الى تسوية سلمية ** .

وفى حزيران (يونيو) ١٩٢٧ جرى فى صنعاء اول لقاء يمنى سعودى كشف عن وجهتى نظر الطرفين المتعارضتين بالكامل فيما يخص مسألة عسير . فاليمنيون يرون ان اراضى شمال عسير التى احتلتها نجد فى عام ١٩٢٣ ، ناهيك عن جنوب عسير ونجران ، جزء لا يتجزأ من اليمن ، ولذا رفضوا الاعتراف بضم هذه الاراضى الى نجد . اما الوفد السعودى فقد اكد بدوره ان اراضى امارة الادارسة الواقعة حاليا تحت الحماية السعودية تمتد حتى مخا ، وطالب باعادة تهامة اليمن الى الادارسة . بديهى ان ابن سعود كان يدرك عدم واقعية الادعاءات بالساحل اليمنى الذى كافح الامام يحيى فى سبيله سنين طويلة . وكانت تلك ، على الاكثر ، خطوة تكتيكية من جانب الدبلوماسيين السعوديين تهدف الى تثبيت الوضع القائم وضم عسير نهائيا الى نجد *** .

وفى اللقاء التالى الذى جرى فى بداية عام ١٩٢٨ لم يطالب الوفد السعودى بتهامة اليمن بل اقترح تثبيت الوضع القائم

---

* NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 117. NAI, File 427-N. Yemen Affairs, 1926-27, No 96, 134; NAI, Arabia series, 1926, part 5, No 120.

** يقول سالم مصطفى ان الهدوء خيم على شمال نجد بعد توقيع الاتفاقية الانكلوسعودية ، لكنه يغفل انتفاضة الاخوان التى كادت تتحول الى حرب اهلية فى نجد . (راجع كتابه «تكوين اليمن» . . . ، ص ٨١) .

*** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . ، ص ٣٤٣ـ٣٤٤ .

ورسم الحدود بين ممتلكات الامام وامارة الادارسة * . وفـــى حديث انفرادى مع البريجادير جنرال كلايتون فى ايار (مايـــو) ١٩٢٨ صرح ابن سعود بانه يصر على ضم مقاطعة نجران ومدينة ميدى الواقعة فى تهامة الى اراضيه ** .

وفى عام ١٩٣٠ عزز ابن سعود لدرجة كبيرة مواقعه فى شمال نجران حيث اخمد بالكامل انتفاضة الاخوان التى تزعمهـــا فيصل الدويش شيخ قبيلة مطير . وكان هذا النصر الذى حققته الدولة السعودية الفتية على سبيل تصفية الفتن والفوضى العشائرية الاقطاعية وتوطيد المركزيـــة قد شوش مخططات المستعمرين البريطانيين الذين حاولوا استخدام حركة الاخوان لاضعاف سلطة ابن سعود . وكان استقرار الوضع فى شمال البلاد وتفرغ قوات كبيرة كانت مشغولـــة فى عمليات اخماد الحركات المعاديـــة للسعوديين قد مكنا ابن سعود من النشاط فى عسير . فقد قرر ان يحل «عقدة عسير» بضربة واحدة وضم عسير بالكامل الى اراضيه . وفى اواخر تشريـن الثانى (نوفمبر) ١٩٢٩ فرض على حسن الادريسى اتفاقية حرمته من سلطته الكاملة ولم تترك له سوى لقب فخرى هو رئيس الحكومة الادريسية . واحالت الادارة الفعلية لجنوب عسير الى امير يعينـــه ابن سعود والى مجلس تشريعى *** . وحاول ابن سعود تبرير سيطرته على جنوب عسير فصور الامر ، فى رسالة الى الامام يحيى ، وكأن الادريسى عجز عن حكم الامارة وطلب بنفسه اعفاءه من هذه المسؤولية ، ولم يكن امام ابن سعود ، كما قال ، مخرج سوى تلبية طلبه وتحمل عبء حكم بلده **** . وعلقت وزارة الخارجية البريطانية عـلى اتفاقية ١٩٢٩ السعودية الادريسية وقالت : «من وجهة نظر القانون الدولى تعتبر اراضى الادريسى تابعة للملك ابن سعود . ولم يعد

---

* شرف الدين . اليمـــن . . . ، صـــ ٢٨١ ؛ سعيد امين . اليمن . . . ، ص ٨١ .

** NAI, Arabia series, part 5, No 239.

*** NAI, File 78-N of 1931. Assuption by King Ibn Saud of the control of the administration of Asir, encl. 2 to No 1, pp. 6-12.

**** NAI, File 496-N of 1931. Relations between Hejaz and the Yemen, p. 31.

الادريسى فى الواقع شخصية دولية ولا يتمتع بايـــة مكانة فى القانون الدولى» * اما الامام يحيى الذى لم يكن يريد التخلى عن عسير فقد عجل فى العمليات الحربية على الحدود الشمالية لليمن . ففى صيف ١٩٣١ احتلت القوات اليمنية منطقة حدودية فى عسير وقبضت على عدد من الرهائن . واخذ مبعوثون زيديون ينشرون بين قبائل عسير دعوات تهيب بهم للاعتراف بسلطة الامام يحيى .

واستفادت بريطانيا من ازدياد التوتر فى العلاقات اليمنية السعودية وواصلت الضغط على الامام يحيى لحملـــه على قبول شروطها . وكانت لندن راضية عن الوضع لانها تعتقد ان «سياسة الامتناع عن المفاوضات مع الامام بسبب مطالبته بمحمية عدن قد بررت نفسها تماما» * * .

واضطر الامام الى تغيير موقفه المتصلب ازاء المحميـــــــة البريطانية لعلمه باستحالة مواصلة الحرب على جبهتين . وفى ٢ تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٣١ بعث الامام يحيى الى عدن رسالة اعرب فيها عن موافقته على مواصلـــة المفاوضات وفقا للشروط البريطانية . ولم يعد يصر على دور الزعيم الدينى لسكان جنوب اليمن فى المشروع الذى عرضه واستند فيه الى آخر صيغـــــة بريطانية للاتفاقية . فقد وافق على مراعاة الوضع القائم وتأجيل تسوية مسألة «الحدود الجنوبية لليمن وجزره فى البحر الاحمر» حتى المفاوضات التالية التى كان مقررا ان تجرى فى فترة سريان مفعول هذه الاتفاقية ، اى فى غضون ٤٠ عاما * * * . ويتلخص التعديل الاساسى الذى اجراه الامام فى كونه قد شطب من المادة الثالثة من مشروعه الاقتراح المتعلق باعترافه بحقوق بريطانيا العظمى الخاصة فى امارات اليمن الجنوبية ، واضاف الى تسوية مسألة الحدود الجنوبية مسألة جزر البحر الاحمر ملمحا بذلك الى ان مكانة هذه الجزر ايضا موضع جدل .

وكتب المقيـــم البريطانى فى عدن ريلى فى تقريره الى وزير المستعمرات الجديد كانليف ليستر عن مشروع الامام : «ان ذلك

---

* Ibid., pp. 2-3.

* * NAI, Yemen series, 1931. Colonial office Letter No 89280/31.

* * * NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations for Conclusion of Anglo-Yemen Treaty, encl. 3 to No 1.

خطوة كبيرة تعنى ان الامام قبل من حيث المبدأ بشروط حكومة صاحب الجلالـــــة . ولا موجب للاصرار على الاعتراف الخصوصى بالحدود الانكلوعثمانية او الاتفاقيات مع القبائل ، اذا تلقينا من الامام تعهدا معينا بانه سيعترف ويلتزم بالوضــع القائم . ان اقتراح الامام مقبول ما عدا كون الابقاء على الوضع القائم يترك فى يده نصف اراضى العودلى وقسما مــن الضالع» * . ووافقت الحكومة البريطانية على مواصلة المفاوضات مع الامام ، لكنها فى الوقت ذاته كلفت ريلى بابلاغه بان الاتفاقية الانكلويمنية لن توقع الا اذا ترك الزيديون بالكامل اراضى العودلى وامارة الضالـــــع وانسحبوا الى ما وراء خط ١٩٠٥ ** . وفـــى نيسان (ابريل) ١٩٣٢ وضع فى لندن المشروع النهائى للاتفاقية الانكلويمنية التى وقعت فى صنعاء فيما بعد مع تعديلات طفيفة . ووافقت بريطانيا فى المادة الثالثة الاساسية للمشروع على تأجيل «تسوية مسألة الحدود الجنوبية لاراضى صاحب الجلالـــــة ملــــك اليمن» حتى المفاوضات التالية وعلى الالتزام بالوضع القائم على الحدود فى وقت توقيع الاتفاقية *** . وفى ٤ ايار (مايو) ١٩٣٢ ارسل ريلى المشروع البريطانى الى الامـــام يحيى وعرض شروط توقيـــع الاتفاقية ، وفقا لتوجيهات لندن ، اى سحب العساكر اليمنية من اراضى العودلى والضالع . واعلن ريلى كذلك ان بريطانيا العظمى لن ترسل ممثلها الى صنعاء ما لم يقبل الامام بالصياغة البريطانية للمادة الثالثة من الاتفاقية **** .

ولم يوفق الامام يحيى فى الاصرار على صياغته للمادة الثالثة ، حيث استدرك مؤكدا على حقــه فى جزر البحر الاحمر ***** . ففى ٣ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ اخبرت الحكومة البريطانية الامام يحيى من خلال ريلى بان «مسألة مستقبل جزر البحر الاحمر تناولها احد بنود معاهدة لوزان الموقعة بين تركيا والدول الحليفة . وان

* NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations .. No 1, p. 2.

** Ibid., No 13.

*** NAI, File 6-N. Resumption of negotiations ..., No 20.

**** Ibid.

***** Ibid.

بريطانيا العظمى من الموقعين على هذه المعاهدة ولذا يتعذر عليها ان توقع اية اتفاقية تخص هذه الجزر بدون موافقة سائر الحكومات الحليفة التى وقعت تلك المعاهدة . ولهذا السبب لا تستطيع الحكومة البريطانية ان تطرح مسألة هذه الجزر فى اتفاقية منفصلة مع معاليكم ، لان هذه المسألة لا يمكن ان تحل الا بموافقة الحكومات المعنية» * .

ومن المهم ان نتذكر بهذا الخصوص ان الدبلوماسيين البريطانيين قبل ذلك بخمسة اعوام بذلوا فى لقاء روما ١٩٢٧ اقصى الجهود كيلا تثار فى المباحثات مع ايطاليا مسألة المكانة الحقوقية لجزيرة كمران التى احتلها الانجليز فى عام ١٩١٥ ** . ففى تلك الفترة كانت لندن تفضل عدم تذكر المادة ١٦ من معاهدة لوزان التى نصت على ان مستقبل الجزر التى الغى حق تركيا فيها يجب ان يقرر من قبل الاطراف المعنية . ولم يعد الدبلوماسيون البريطانيون يشكون فى ان الامام يحيى سيضطر فى القريب العاجل الى التنازل فى جميع البنود ، وسيوافق فى آخر المطاف على توقيع الاتفاقية وفقا لشروط بريطانيا .

وكانت لهذه الثقة اسباب وجيهة جدا . فالتناقضات اليمنية السعودية التى سعرتها بريطانيا ظلت تتأجج مع ان حادثة العارة ١٩٣١ انتهت بصورة سلمية . فبعد ان تنازل ابن سعود عن النقطة الحدودية المتنازع عليها (جبل العارة) وقعت بين نجد والحجاز واليمن فى ١٥ كانون الاول (ديسمبر) اتفاقية الصداقة وحسن الجوار . واعلن الطرفان عن قيام العلاقات الودية بينهما والتزما بتعزيز اواصر الود وعدم التدخل فى الشؤون الداخلية لبعضهما البعض وعدم منح اللجوء للمجرمين السياسيين وغيرهم وتسليمهم حسب طلب الطرف الآخر *** . الا ان التوتر فى المنطقة المتنازع عليها ظل باقيا رغم الاعلان عن حسن الجوار ، وفى شتاء ١٩٣١–١٩٣٢ دخلت مجموعة من الجند اليمنيين نجران . وفى ربيع

---

* Ibid.

** NAI, File 427-N. Yemen affairs, 1926-1927, No 122.

*** Survey of international affairs, 1934, p. 313; شرف الدين ، اليمن . . . ، ص ٢٨٢ .

١٩٣٢ فقط تمكنت القوات الوهابية بقيادة خالد بن لؤى من زحزحة اليمنيين من هذه المنطقة * .

وادى تطور الاحداث اللاحق فى شبه الجزيرة العربية الى اخفاق محاولات اليمن والعربية السعودية نهائيا لتسوية النزاع الاقليمى بالطرق السلمية ** . وفى عام ١٩٣٢ نظم امير شرق الاردن عبد الله بن الحسين حركة ضد السعودية استهدفت بعث سلطة الهاشميين فى الحجاز . وكلف بقيادة العمليات الحربية ضد ابن سعود احد شيوخ قبيلة بلى ، وهو حامد بن سالم بن رفادة الذى كان ينتظر ان يبدأ هجومه على الوهابيين من شرق الاردن . وفى محاولة لتوسيع نطاق العمليات ضد السعوديين اتفق الهاشميون على اشتراك حسن الادريسى فى الحركة ليثأر من السعوديين بسبب اتفاقية ١٩٢٩ الجائرة المهينة . الا ان منظمى الحركة لم يتمكنوا من تنسيق العمليات الحربية المشتركة فى الشمال والجنوب . ولم يحظ تحرك حامد بن سالم فى صيف ١٩٣٢ بتأييد سكان نجد فاخمده ابن سعود بسرعة *** . اما حركة اهالى عسير التى افرد لها الهاشميون دورا ثانويا فقد كانت اكثر خطورة واستمرت فترة اطول من الحركة فى الشمال . والسبب هو ان اهالى عسير كانوا متذمرين جدا من تعسف الموظفين السعوديين ومن النير المزدوج للاقطاعيين المحليين والوهابيين الذين كانوا يتصرفون فى عسير كالفاتحين . ولذا حظيت دعوة حسن الادريسى فى التحرك ضد ابن سعود بصدى واسع فى عسير . وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٢ تمكن الادارسة من الاستيلاء على مدن كبيرة فى عسير هى جيزان والصبية وابو عريش . وطوقوا وابادوا القوات السعودية التى ارسلت عن طريق البحر لاخماد الحركة . واخفقت كذلك محاولات ابن سعود لاخماد الحركة بشن حملتين حربيتين كبيرتين على جبال عسير (منطقة ابها) وعلى

---

* Philby H. Saudi Arabia. London, 1955, p. 322.

** فى ١٨ ايلول (سبتمبر) ١٩٣٢ اصدر ابن سعود مرسوم توحيد اجزاء المملكة العربية واطلق على الدولة بموجبه اسم العربية السعودية .

*** Faroughi A. op. cit., p. 68; Wenner M., op. cit., pp. 144-145.

الساحل . وفقد الوهابيون اكثر من الفى قتيل ، ما عدا الجرحى ، فاضطروا الى الانسحاب مؤقتا . وحتى اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٢ سيطر الادارسة على قسم كبير من عسير .

ولكن سرعان ما اتضح ان الادارسة عاجزون عن الصمود امدا طويلا فى وجه خصمهم الاقوى ، فالقوى لم تكن متعادلة اطلاقا . وازاح الوهابيون عساكر الادارسة الى الجبال ، وفى اواخر شباط (فبراير) ١٩٣٣ اخمدت آخر مقاومة من جانب القبائل * . وفر الادارسة من زعماء حركة عسير الى اليمن ، وظهرت فى العلاقات اليمنية السعودية المتوترة اصلا مشكلة جديدة هى تسليم الادارسة .

كان الامام يحيى صريحا فى عدم تأييده للحركة فى عسير ، وقد رفض الاتهامات القائلة بان له ضلعا فيها . ولكن عندما فر الادارسة الى اليمن منحهم حق اللجوء السياسى ورفض تسليمهم الى ابن سعود خلافا لبنود اتفاقية ١٩٣١ اليمنية السعودية ** . واستقر حسن الادريسى على مقربة من مدينة حرض اليمنية وشرع يمارس النشاط المضاد لابن سعود بتشجيع خفى من الامام يحيى . ورد ابن سعود على ذلك بقرار الغاء امارة الادارسة وضمها نهائيا الى العربية السعودية . وحرم الادريسى حتى من السلطة الشكلية الصرف التى كان يتمتع بها فى جنوب عسير *** .

ولم تخفف التوتر فى المنطقة المتنازع عليها المفاوضات اليمنية السعودية التى جرت فى اذار (مارس) ١٩٣٢ فى ميدى اولا ثم فى صنعاء . فقد ظل اليمن مصرا على المطالبة بحقه فى عسير ونجران . وبغية جعل ابن سعود يواجه الامر الواقع دخل اليمنيون نجران من جديد فى نيسان (ابريل) ١٩٣٣ واحتلوا القسم الشمالى الغربى منها **** .

وغدت الصدامات المسلحة المتكررة فى المنطقة المتنازع عليها اكثر خطورة وظهر احتمال تحولها الى حرب بين اليمن

---

* Survey of international affairs, 1934, p. 315.

** شرف الدين . اليمن . . . ، ص ٢٨٤ .

*** امين سعيد . اليمن . . . ، ص ٨٥ .

**** Survey of international affairs . . . , p. 316.

والعربية السعودية . وفى هذا الموقف الحرج الذى لعب المخبرون البريطانيون دورا كبيرا فى خلقه ، اعلنت بريطانيا للامام يحيى من خلال مقيمها فى عدن «ان حكومة صاحب الجلالة لا توافق على ادراج اية أشارة الى جزر البحر الاحمر ضمن الاتفاقية» وحذرت بريطانيا الامام من «ان مشروع الاتفاقية المعروض عليه هو آخر اقتراح من الحكومة البريطانية ، فهى لا تنوى الاقدام على تنازلات بعد الآن» * . وجعل الدبلوماسيـــون البريطانيون الامام يحيى امام امرين لا ثالث لهما : فاما ازدياد التوتر على الحدود الجنوبية وخطر غارات الطائرات الدائم من عدن واما توقيع الاتفاقية وفقا للشروط البريطانية .

واضطر الامام للموافقة على جميع شروط بريطانيا فى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٣ بسبب خطر الحرب الوشيكة مع ابن سعود . وفى تلك الآونة تأزم الموقف لدرجة اكبر فى المنطقة المتنازع عليها ، لان القوات اليمنية توغلت فى نجران واحتلت بدر التى هى مركز كبير . وردا على هذه العمليات اصدر ابن سعود امرا بتحشيد قوات كبيرة فى عسير وبعث الى الامام انذارا يطالبه فيه بسحب القوات اليمنية من الاراضى التى احتلتها * * .

وفى تشرين الثانى (نوفمبر) ١٩٣٣ ، عندمـــا نشبت فى المنطقة المتنازع عليها صدامات مسلحة متقطعة دون ان يزج فيها بالقوات الاساسية للعربية السعودية واليمن ، دعا الامام يحيى وفدا بريطانيا الى صنعاء لتوقيع الاتفاقية الانكلويمنية . وفى اواخر كانون الاول (ديسمبر) ١٩٣٣ وصلت الى العاصمة اليمنية بعثة بريطانية برئاسة ريلى المقيم البريطانى فى عدن . ولم يكن نص الاتفاقية الانكلويمنية الذى جلبه ريلى بغرض توقيعه قابلا للمناقشة ، ولذا دارت المفاوضات فى صنعاء اساسا حول مسألة سحب المفارز اليمنية من اراضى العودلى والضالـــع . وافادت حسابات الادارة فى عدن ان تلك الاراضى تضم ٦٤ قرية للعودلى و٨ قرى لامارة الضالع . ولم يوافق ريلى على توقيع الاتفاقية الا بعد ان انسحبت القوات اليمنيـــة بأمر من الامام يحيى من تلك

* NAI, File 6-N of 1932. Resumption of negotiations ..., No 61.

* * Faroughi A., op. cit., pp. 69-70.

الاراضى الى ما وراء حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن . وهكذا استعاد المستعمرون البريطانيون بالاساس (ما عدا امارة البيضاء التى ظلت بيد الامام) حدود ١٩٠٥ اليمنية العدنيـــة التى نشأت فى بداية القرن العشرين بنتيجة تقسيـــم اليمن بين بريطانيـــا وتركيا .

وفى ١١ شبــاط (فبرايـــــر) ١٩٣٤ تم توقيع الاتفاقية الانكلويمنية التى اعترفت بريطانيـــا بموجبها باستقلال اليمن . واتفق الطرفان على عدم الاخلال بحالة الحدود القائمة فى وقت توقيع الاتفاقية ووافقا على تأجيل «تسوية مسألة حدود اليمن الجنوبية» حتى المفاوضات التالية التى يتعين ان تجرى قبل انتهاء مفعول الاتفاقية ، اى فى غضون ٤٠ عاما * . ومع ان الامام يحيى لم يعترف ، ضمن الاتفاقية ، بشرعية الحماية البريطانية على امارات جنوب اليمن فان موافقته الاضطرارية على عدم تغيير الوضع القائم تعنى الموافقة على واقع حدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن . وعندما اقدم الامام يحيى على هذه المساومة كان يؤمل بان يتمكن ، بعد وقف الصراع من اجل مناطق اليمن الجنوبى ، ان يوجه كل قواته صوب الحدود الشمالية حيث يجب ان تحل نهائيا ، بينه وبين ابن سعود ، مسألة عائدية جنوب عسير ونجران .

اما الادارة فى عدن فقد كانت مرتاحة تماما لتوقيع الاتفاقية . فقد حققت بريطانيا بالاساس ما ارادته بعد الحرب العالميـــة الاولى . واستخدم المستعمرون البريطانيون لبلوغ اهدافهـــم مختلف الوسائل ابتداء من شراء ذمــــم القبائل وتدبير الفتن والعصيان ضد الامام يحيى وانتهاء بغارات سلاح الجو العدنى على المدن اليمنية وتأجيج التناقضات السعودية اليمنية . وكان المستعمرون البريطانيون يتوخون ، من وراء توقيع الاتفاقية مع اليمن ، اهدافا بعيدة المدى . فان ابقاء الوضع القائم على الحدود يفصل عن اليمن اراضيه الجنوبية لامد طويل ويعزل داخله عن منافذ المحيط الهندى . وكان استئناف حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن يؤمن حماية مضمونة من المؤخرة للمستعمرة البريطانية

---

* Reilly B., op. cit., p. 73.

الهامة من الناحية الاستراتيجية وللقاعدة العسكرية البحرية فى عدن . والى جانب ذلك فعندما ضمنت بريطانيا للامام يحيى الهدوء والاستقرار على حدوده الجنوبية فى فترة اشتداد حدة التناقضات اليمنية السعودية قد دفعت الامام فى الواقع الى الحرب مع العربية السعودية .

وحتى تلك الفترة عزز ابن سعود لدرجة كبيرة مواقع دولته داخليا وعلى صعيد السياسة الخارجية . ففى عام ١٩٢٩ اعترفت المانيا باستقلال دولته ، كما اعترفت به فرنسا فى ١٩٣١ وايطاليا فى ١٩٣٢ . وفى ايار (مايو) ١٩٣٣ رفض ابن سعود منح الانجليز امتياز التنقيب عن البترول فى المناطق الشرقية من نجد وقدم امتيازا طويل الامد لشركة «ستاندارد اويل اوف كاليفورنيا» الاميركية . واخذ النفوذ البريطانى فى العربية السعودية يضعف بصورة ملحوظة تاركا المجال للنفوذ الاميركى ، وصار ابن سعود يتخلص من تأثير بريطانيا اكثر فاكثر . وكان على الحرب اليمنية السعودية التى استنزف الطرفان قواهما فيها ان تساعد بقدر ما ، حسب مخططات المستعمرين البريطانيين ، على استعادة المواقع المفقودة .

وهيأ تجميد الاوضاع على الحدود الجنوبية الفرصة للامام يحيى لينشط جهوده من اجل عسير ونجران . فقد اخذت القوات اليمنية بقيادة الامير احمد تتوغل فى نجران واحتلت اراضى قبائل بنى مالك والعبادلة * . وبدأت تشارك فى هذا النزاع الاقليمى قوات سعودية كبيرة ، حيث ارسل ابن سعود الى المنطقة المتنازع عليها قوات بقيادة ولديه سعود وفيصل . واستخدم ولى العهد الامير سعود الناقلات المصفحة ونقل قواته بسرعة الى نجران المحتلة من قبل اليمنيين ، اما فيصل فقد قاد القوات الزاحفة صوب ساحل عسير .

وفى لقاء ابها الذى جرى بين اليمنيين والسعوديين فى شباط (فبراير) ١٩٣٤ ، والذى كان فى الواقع آخر محاولة من الطرفين لتسوية النزاع بالطرق السلمية ، رفض الوفد اليمنى اقتراح ابن سعود بتحويل نجران الى منطقة محايدة ** .

---

* راجع سالم ، مصطفى ، تكوين اليمن . . . ، ص ٣٧٨ .

** Wenner M., op. cit., p. 145.

فبعد ان عزز الامام يحيى مؤخرة قواته بتوقيع الاتفاقية مع بريطانيا لم يعد يشك فى قدرته على ضم عسير ونجران الى اراضيه . الا انه ، كما بين سير الاحداث لاحقا ، لم يأخذ بعين الاعتبار التغيرات التى حدثت فى العربية السعودية خلال السنوات الاخيرة .

فقد اعاد ابن سعود تنظيم جيشه لدرجة كبيرة وجعله عصريا . وعندما استلم مبلغا ضخما بمقاييس ذاك الزمان لقاء امتيازات البترول انفقه على اقتناء الاسلحة الجديدة والمدرعات المزودة بالرشاشات ، مما جعل الجيش السعودى اكثر قدرة على الحركة واقوى من عساكر الامام يحيى التى كانت مسلحة فى الغالب ببنادق عتيقة .

وقرر ابن سعود ان يستفيد من تفوقه العسكرى ومن عدم نقل كل القوات اليمنية حتى ذلك الحين من الحدود الجنوبية الى عسير . واندرت العربية السعودية الامام يحيى فى ٥ نيسان (ابريل) ١٩٣٤ مطالبة بسحب قواته من نجران وجنوب عسير * . وبعد انتهاء مدة الانذار بدأت القوات السعودية هجومها برتلين ، قاد الاول الامير فيصل على امتداد ساحل البحر الاحمر ، وقاد الثانى سعود الذى سدد الضربة الى القوات اليمنية المتحشدة فى نجران . وتقررت نتيجة الحرب منذ بداية العمليات بالهجوم السريع الحازم للقوات السعودية التى تقدمت اساسا بالسيارات . واخترقت قوات فيصل التحصينات اليمنية قرب حرض واحتلت ميدى فى ٢٦ نيسان (ابريل) . وهيأ هذا النصر لفيصل فرصة التقدم نحو الحديدة دون عائق ، لان قوات اليمنيين الرئيسية كانت متحشدة فى المنطقة الجبلية .

وطلب الامام يحيى هدنة ووافق على سحب قواته من نجران ، بعد ان وجد نفسه عاجزا عن مقاومة هجوم القوات السعودية الكاسح * * . وكان تكتيكه فى فترة الحرب اليمنية السعودية يتلخص فى تحاشى الصدامات الكبيرة والحفاظ على قواته الى اقصى حد . الا ان ابن سعود لم يسارع الى وقف اطلاق النار . فقد واصلت قوات سعود الهجوم وحررت نجران من اليمنيين فى

* Philby H., op. cit., pp. 322-323.

* * Survey of international affairs . . . , p. 317.

٢٧ نيسان وزحفت نحو معقـــل الزيديين فى صعدة . الا ان اليمنيين بقيادة الامير احمد اوقفوا زحف القوات السعودية فـى معركة بكيم التى هى اكبر معركة فى الحرب اليمنية السعودية * . وفى الاول من ايار (مايو) احتلت قوات فيصل ميناء لحيا وفـى ٤ منه دخلت الحديدة دون قتال ، فقد تركتها قوات الامام .

ولم تكن الفوارق الجغرافية فى تضاريس المنطقتين اللتين قاتلت فيهما قوات نجلى ابن سعود هى السبب الوحيد لسرعة تقدم فيصل فى سهل تهامة وقلة انتصارات سعود فى المناطق الجبلية . فالشافعيون من اهـــالى تهامة اليمن كانوا يعادون الزيديين من زمان ، ولذا لم يحولوا دون تقدم قوات فيصل . اما قوات سعود فقد واجهت وضعا مغايرا . فبعـــــد ان حررت نجران تعين عليها ان تقاتل فى مناطق زيدية ايد سكانها بنشاط جيش الامام يحيى .

وفى ١٣ ايار (مايو) فقط ، بعد ان نفذت القوات السعودية مهماتها ، وافق ابن سعود على وقف اطلاق النار ** . فالاستمرار فى العمليات الحربية صار يهدد بصدام مع القوات الاساسية فى اليمن ، اى مع قبائل الجبل الزيدية المتميزة بالشهامة والبسالة . وكانت مساحة الاراضى اليمنية المحتلة كافية لكى يستخدمها ابن سعود من اجل الحصول على تنازلات سياسية واقليمية من الامام يحيى . وكان من اسباب امتناع ابن سعود عن مواصلة الزحف على الساحل اليمنى ظهور سفن حربيـــة انجليزية وفرنسيـة وايطالية فى مرفأ الحديدة ، وكان بوسعها ان تتدخل فى النزاع اليمنى السعودى فى اية لحظة بحجة «حماية» الاجانب المقيمين فى اليمن . وكان استمرار تقوى ابن سعود الذى قد يحذو حذو الملك حسين ويدعى بانـــه ملك العرب وامير المؤمنين امرا يتعارض مع مصالح الدول الغربية التى كانت مجمعة على شق العالم العربى وتجزئتـــه الى دويلات او كيانات كثيرة ضعيفة ومتعادية فيما بينها .

وفى ١٨ آيار (مايو) بدأت مفاوضات الصلح السعودية اليمنية فى الطائف بوساطـــة وفد المجلس الاسلامى الاعلى .

* Ibid.

** Philby H., op. cit., p. 323.

وبنتيجة هذه المفاوضات وقعت فى ٢٠ ايار ١٩٣٤ «اتفاقية الصداقة الاسلامية والاخوة العربية» بين اليمن والسعودية . واعلنت الاتفاقية عن نهاية الحرب وعن قيام العلاقات الودية السلمية بين البلدين . واعترف الطرفان باستقلال وسيادة بعضهما البعض . وتخلى الامام يحيى عن حقه فى الاراضى العائدة للادارسة وشيوخ عايض وقبائل نجران ويام .

وورد فى المادة الرابعة من الاتفاقية عرض تفصيلى للحدود الرسمية بين دولتى اليمن والعربية السعودية . وتضمنت الاتفاقية تفاصيل العلاقات المتبادلة بين الدولتين ، بما فيها اساليب حل الخلافات وكيفية تسليم المجرمين والصلات التجارية والنظام الجمركى وهلمجرا * . ووفقا لاتفاقية الطائف انسحبت القوات اليمنية من عسير فى اواخر ايار (مايو) ١٩٣٤ ، وفى ٥ حزيران (يونيو) جرى تسليم الادارسة للسلطات السعودية . وبعد ابرام الاتفاقية تركت القوات السعودية فى ١٤ آب (اغسطس) الاراضى اليمنية التى احتلتها ** .

وفى عام ١٩٣٥ رسمت اللجنة الحدودية السعودية اليمنية على الطبيعة خط الحدود على مسافة ٤٠٠ ميل من البحر الاحمر (تركت مدينة ميدى لليمن) حتى صحراء الربع الخالى . وبعد تعديل طفيف وافق عليه الطرفان فى عام ١٩٣٥ اتخذت الحدود السعودية اليمنية شكلها الذى بقيت عليه حتى الآن *** .

ولوحظ تدهور فى الاوضاع المالية للعربية السعودية التى انفقت على الحرب مع اليمن اغلب ما استلمته من اموال مقابل الامتيازات . ولذا اضطرت السعودية على الرضوخ لضغوط بريطانيا فمنحت فى عام ١٩٣٦ امتيازا «لشركة نفط العراق» للتنقيب عن البترول فى الحجاز وعسير .

اما الامام يحيى الذى انشغل بالنزاع مع ابن سعود فقد اضطر على التخلى عن جهوده لاستعادة اراضى اليمن الجنوبى واعترف بواقع تقسيم اليمن الى شطرين – جنوبى وشمالى .

---

* Wenner M., op. cit., pp. 146-147.

** سالم مصطفى . تكوين اليمن . . . ، ص ٣٢٣–٣٢٤ .

*** Philby H., op. cit., p. 324; Philby H., Arabian jubilee. L. 1952, pp. 187-188.

خاتمة

اتخذت السياسة الاستعمارية البريطانية فى جنوب الجزيرة العربية شكلا هجوميـــا بعد انجاز شق قناة السويس فى عام ١٨٦٩ حيث ازداد كثيرا الدور الاستراتيجى العسكرى والتجارى للبحر الاحمر الذى صار اقصر طريق بحرى يربط اوربا بآسيا وشرق افريقيا . وبحجة تأمين سلامة الطرق البحرية التى تربط بريطانيا باكبر مستعمراتها استخدم المستعمرون البريطانيون عدن التى احتلوها فى عام ١٨٣٩ بمثابـــة رأس جسر لتعزيز مواقعهم فى اليمن بل ولتوسيعها . وبالتدريج فرضوا على اتحادات القبائل اليمنية الجنوبية اتفاقيات الحمايـــة البريطانية وشكلوا بذلك شبكة «محميات عدن» .

وبعد افتتاح قناة السويس بدأت المرحلة الثانية كذلك فى التوسع العثمانى فى شبه الجزيرة العربية ، وهى المرحلة التى اختتمت بتحويل القسم الشمالى من اليمن الى ولاية للامبراطورية العثمانيـــة فى عام ١٨٧٢ . وكانت الاوساط الاقطاعيـــة فى الامبراطورية وعلى رأسها السلطان العثمانى تسعى الى الاثراء من نهب الشعب اليمنـى عن طريق مختلف الاتاوات والضرائب والزكاة . زد على ذلك ان السيطرة على التجارة الخارجيـــة اليمنية ، ومنها احتكار تصديـر البن اليمنى الشهير ، كانت تبشر بمداخيل ضخمة للوجهاء العثمانيين . وبالاضافة الى المنافع الاقتصادية كان اخضاع اليمن الواقـــع على مقربة من الحرمين الشريفين مكة والمدينة يستجيب للاهداف الدينية والسياسية

للسلطان العثمانى الذى حاول ان يبسط نفوذه كخليفة ليس فقط على اهل السنة فى اليمن ، بـــل وكذلك الشيعة الذين يشكلون السواد الاعظم من السكان . وكان من الاسباب الهامة للتدخل العثمانى فى اليمن محاولة السلطان العثمانى لاعاقة توغل بريطانيا فى شبه الجزيرة العربية .

وادى توسع المستعمرين البريطانيين فى اليمن من الجنوب والتوسع العثمانى من الشمال فى وقت واحد الى اصطدام مصالح بريطانيا والامبراطورية العثمانية فى جنوب شبه الجزيرة . وطوال ثلاثين عاما كانـــت الاوساط الحاكمة العثمانية التى تدعـــى بالسيطرة على اليمن كله ، ومناطقه الجنوبيـــة ايضا ، ترفض الاعتراف بالحمايـــة البريطانية لامارات جنوب اليمن . وفـــى الفترة الاولى من الصراع الانكلوعثمانـــى من اجل السيطرة على جنوب الجزيرة العربية لم تكن بريطانيا تخشى تجاور الممتلكات العثمانية مع محمياتها فى جنوب الجزيرة ومستعمرة عدن . ولكن بحلول عصر الامبريالية حيث اشتد لدرجة بالغة الصراع من اجل تقسيم العالم واقتسامه مجددا اعادت الاوساط الحاكمة البريطانية النظر فى سياستها ازاء الامبراطورية العثمانيـــة . فلئن كانت بريطانيا فى السابق لا تعترض على السلطة الاسمية للسلطان العثمانى على ساحل البحر الاحمر الشرقى فان الانجليز عولوا على تجزئة الامبراطورية العثمانية والاستيلاء على ممتلكاتها العربية عندما تحولت الاستانة الى حليف لالمانيا وعندمـــا ازداد خطر استيلاء المانيا على الولايات العربية . وفى اطار هذه السياسة اخذ المستعمرون البريطانيون يؤيدون تحركات القبائل اليمنية ضد العثمانيين ويزودونها بالسلاح والذخيرة . لكن المستعمرين البريطانيين فى الوقت ذاته حاولوا تقييد نطاق الحركة التحررية بل وسعوا الى شقها وتحويلها الى نضالات محلية منفصلة ، وذلك انطلاقا من كون النضال التحررى للشعـــب اليمنى الذى اتسم آنذاك بطابع معاد للعثمانيين يمكن ان ينتقـــل الى المحميات العدنية ويوجه ضد بريطانيا نفسها . وتجلت فى ذلك بشكل واضح رجعية الامبريالية البريطانية وازدواجية موقفها من الحركة التحررية فى اليمن .

فى مطلع القرن العشرين استفادت بريطانيا من صعوبات

الوضع الدولى الذى واجهته تركيا فارغمت الباب العالى على التخلى عن مطامعه فى امارات جنوب اليمن والموافقة على رسم الحدود بين ولاية اليمن والمحميات العدنية . واسفرت هذه الحدود التى تميز رسمها بكون بريطانيا وتركيا قد تقاسمتا ارضا ليست عائدة لهما عن تقسيم اليمن رسميا الى شطرين بعد ان كان موحدا فى زمن ما . وهكذا ظهـــر اليمن الشمالى (العثمانى) واليمن الجنوبى (البريطانى) . ولما كانت الحدود قد رسمت بنتيجة صراع انكلوعثمانى شديد من اجل كسب اكبر مساحة من الاراضى فقد غدت بالطبع حدودا مفتعلة . ولم يراع الطرفان اثناء رسمها كون السكان المقيمين على كلا جانبيها مترابطين ترابطا وثيقا بالاواصر الاقتصادية والثقافية والقبلية التقليدية . وبينت دراسة الوثائق الارشيفية ان السكان المحليين ابدوا مقاومة شديدة لتقسيـــم اليمن اعتباطا . وحاول الجغرافيون الغربيون اخفاء هذه الحقيقة بكل الوسائل .

وساعدت المواد الارشيفية فى القاء الاضواء على الجوانب غير المعروفة لحد الآن من القتـــال الانكلوعثمانى والصراع الدبلوماسى اثناء رسم الحدود بين اليمن وعدن ، كما اوضحت كيف تمكن المستعمرون البريطانيون الذين استخدموا السلاح والشانتاج والضغط الدبلوماسى وتدبير القلاقل والعصيان على العثمانيين فى شمال اليمن من الحصول على حدود نافعة لهم . ولا يعنى تعيين الحدود بين اليمن وعـدن ان بريطانيا او تركيا مارستا السيطرة التامـــة على الاراضى التى غدت «عثمانية» او «بريطانية» بنتيجة ذلك . فالادارة العثمانية فى ولاية اليمن لم تكن تتمتع بالسلطة الفعليـــة الا فى الساحل وفى بضع مدن كبيرة ، اما القسم المتبقى من الاراضى فقد ظل فى الواقع تحت سيطرة الائمة الزيدية الذين تزعموا الحركة التحررية المناهضة للاتراك فى اليمن . اما بريطانيا فلـــم تكن تتمتع بالسلطة الفعلية الا فى اطار مستعمرة عدن . ونظرا لكون الاحتلال المباشر لجنوب الجزيرة العربية واخضاع القبائل اليمنية المحبة للحرية يحتاج الى عدد كبير من القوات والى اموال طائلة فقد استخدم المستعمرون البريطانيون التكتيك المحبب لديهـــم ، تكتيك «الادارة غير المباشرة» الذى يتلخص فى شراء ذمـــم شيوخ

القبائل اليمنية الجنوبية وتأجيج العداء بين القبائل ومختلف الطوائف الدينية وعزلها عن العالم الخارجي واعاقة اية اتجاهات وميول تساعد على توحيد الاراضي اليمنية في دولة واحدة . وكان المستعمرون البريطانيون يراقبون ويتابعون باهتمام النضال ضد العثمانيين في شمال اليمن حيث انضمت بعض القبائل الشافعية الى القبائل الزيدية المكافحة ضد السيطرة العثمانية . واثارت هذه الظاهرة قلقا شديدا لدى الادارة في عدن لان التعاون بين ابناء الطوائف المتعادية من قديم الزمان ينطوي على بواكير التلاحم القومي الناشئ .

وسارت الحركة التحررية في اليمن الذي تميز بوجود بقايا كبيرة من العلاقات العشائرية والاقطاعية تحت شعار احياء الشريعة الاسلامية وحمايتها . الا ان الاقطاعيين الزيديين حصلوا في مرحلة معينة (١٩١١) على تنازلات نافعة لهم من جانب الباب العالي فاقدموا على التواطؤ مع الادارة العثمانية وسلكوا نهج تقليص الحركة التحررية المتسعة التي كان بوسعها ان تتحول في تطورها اللاحق ضد هؤلاء الاقطاعيين انفسهم . وكان من نتائج هذا الموقف المزدوج عند زعماء الزيدية سعيهم الى الحيلولة دون تطور العلاقات الاجتماعية التقدمية والفكر التقدمي في اليمن .

وابان الحرب العالمية الاولى استهدفت سياسة بريطانيا تجاه الجزيرة العربية فرض السيطرة السياسية التامة عليها . فالمستعمرون البريطانيون كانوا يريدون محاربة العثمانيين بايدي العرب وحاولوا استمالة حكام الجزيرة الذين استخدموهم ليس فقط في العمليات الحربية ضد الاتراك ، بل وبمثابة حجاب حاجز يحول دون دخول «حلفاء» بريطانيا الى الجزيرة العربية .

وبعد الحرب العالمية الاولى غدت كل اراضي الجزيرة العربية تقريبا تحت سيطرة بريطانيا بصورة مباشرة او غير مباشرة . ولم يتخلص من تلك السيطرة الا اليمن ، لكن ذلك لا يعني بانه كسب الاستقلال السياسي التام . فالمستعمرون البريطانيون عزلوا اليمن عن منافذ البحر وحاولوا وضعه هو ايضا في تبعية اقتصادية وسياسية لبريطانيا .

وساعدت الوثائق الارشيفية التي درسناها في الكشف عن

مخططات بريطانية غير معروفة حتى الآن ازاء اليمن والجزيرة العربية بأسرها ، وهى مخططات تهدف الى عزل امارات الجزيرة عن منافذ البحر وتقطيع الصلات الاقتصادية والتجارية التقليدية وتجزئة الجزيرة وتحويلها الى ضيعة من ضياع بريطانيا . وحاول المستعمرون البريطانيون ان يبدلوا حتى المفهوم الجغرافى والتاريخى «لليمن» وحصره فى اطار المناطق الزيدية ، اى انهم سعوا الى تجزئة اليمن وتقطيع اوصاله على اساس طائفى .

الا ان نهوض حركة التحرر الوطنى فى العالم العربى (لا سيما فى الجزيرة العربية) والتى ارتبطت باشتداد حدة التناقضات بين الدول الاستعمارية والبلدان التابعة وتلقت دافعا قويا بانتصار الثورة فى روسيا قد اعاق المستعمرين البريطانيين عن تنفيذ خططهم التوسعية بالكامل .

وشهدت الحركة التحررية فى اليمن بعد الحرب العالمية الاولى بداية مرحلة جديدة نوعيا من خصائصها ليس فقط تحول النضال ضد المحتلين البريطانيين انفسهم وضد صنائعهم ، بل وكون هذا النضال قد استهدف توحيد كل الاراضى اليمنية (بما فيها الواقعة تحت الحماية البريطانية) وتأسيس دولة مستقلة حقا .

وبتأثير حركة التحرر الوطنى المتسعة باطراد وارتفاع منزلة الجمهورية السوفييتية الفتية التى دحرت الدخلاء واقامت علاقات متكافئة مع تركيا وايران وافغانستان اضطر المستعمرون البريطانيون الى التخلى عن الاشكال السابقة السافرة للتوسع الاستعمارى والبحث عن واجهة جديدة لسياستهم الاستعمارية . ولم تتجرأ بريطانيا على استخدام القوة الفظة ضد مفارز الامام يحيى التى احتلت بعض اراضى محميات عدن فاتخذت عدة اجراءات دبلوماسية استهدفت جر اليمن الى فلك النفوذ البريطانى .

وكانت هناك خلافات ذات طابع تكتيكى بين الاوساط الحاكمة البريطانية بشأن ما يسمى «بالمشكلة اليمنية» . وتتعلق تلك الخلافات بالتنازلات التى اضطر المستعمرون البريطانيون على القيام بها لحمل الامام يحيى على التخلى عن جهوده من اجل توحيد الاراضى اليمنية . فقد اقترحت الادارة فى عدن ممارسة الشانتاج الدبلوماسى باستخدام ميناء الحديدة الهام الذى احتلته

القوات البريطانية وكانت تأمل فى جعل الامام يحيى يسحب قواته من محميات عدن ويوافق على استئناف حدود ١٩٠٥ اليمنية العدنية فى مقابل اعادة الحديدة اليه . ولم تعلق لندن والحكومة الانكلوهندية من انصار الصيغة الثانية اهمية كبيرة على استئناف حدود ١٩٠٥ وكانوا يتصورون احتمال «التنازل» للامام عن قسم غير كبير من اراضى المحميات ، وهو القسم الذى تحتله القوات اليمنية . علما بانهم اصروا على عزل اليمن عن منافذ البحر الاساسية (اى انهم لم يوافقوا على تسليم الحديدة) ، وكانوا يؤملون فى توجيه التجارة الخارجية اليمنية كلها بصورة مفتعلة صوب عدن وجعل هذا الميناء المنفذ التجارى الخارجى الوحيد لليمن .

الا ان القول الفصل فى تقرير مصير اليمن كان بيد اليمنيين انفسهم ، خلافا لشتى مخططات وصيغ المستعمرين البريطانيين الذين كانوا يأملون فى «التساوم» مع الامام يحيى . ففى عام ١٩٢٦ اخترقت المفارز اليمنية الحصار ووصلت الى البحر الاحمر وحررت الحديدة ، بل وتوغلت فى اراضى محميات عدن . ولم يتمكن المستعمرون البريطانيون من الحيلولة دون تعزيز وتوسيع الدولة اليمنية المستقلة رغم وسائل الضغط المختلفة التى استخدموها ابتداء من المحاولات الدبلوماسية وانتهاء بتدبير الفتن ضد الامام وتزويد الانفصاليين بالسلاح .

واسفر توقيع اتفاقية ١٩٢٦ بين الامام يحيى وايطاليا التى اخذت تزود اليمن بالسلاح والذخيرة انطلاقا من مصالحها الامبريالية عن اشتداد التناقضات الانكلوايطالية لدرجة كبيرة فى جنوب شرقى حوض البحر الاحمر . فالمستعمرون الايطاليون شجعوا الامام يحيى فى جهوده من اجل توحيد الاراضى اليمنية وكانوا يأملون من وراء ذلك فى تعزيز مواقعهم عند المنفذ الجنوبى من البحر الاحمر الذى يتسم بأهمية بالغة بالنسبة لبريطانيا ويتمنون استخدامه فى الضغط على لندن للحصول من «شريكتهم» القوية ، مقابل تنازلات معينة ، على تعويضات مناسبة فى مناطق اخرى (البحر الابيض المتوسط والحبشة وشمال افريقيا) حيث توجد للامبريالية الايطالية مصالح اكبر مما فى جنوب الجزيرة العربية .

لقد اشتدت التناقضات الانكلوايطالية بسبب اليمن فى ١٩٢٦–

١٩٢٧ ، لكنها لم تستمر على حدتها لان بريطانيا الساعية الى استخدام الفاشية الايطالية ليس فقط كمعقل ضد القوى الثورية فى اوربا ، بل وكقوة تواجه النفوذ الفرنسى فى البحر الابيض المتوسط ، قد اقدمت على بعض التنازلات لايطاليا فى الحبشة والبلقان .

ومن اواسط العشرينات استهدفت سياسة بريطانيا ازاء الجزيرة العربية اعاقة قيام اية علاقات بين الحكام العرب والاتحاد السوفييتى . وتشير الوثائق الارشيفية التى بادرنا الى وضعها فى متناول العلماء الى مدى الضغط الذى مارسته لندن على ابن سعود ليغلق الممثلية السوفييتية فى جدة ، ومورس ضغط مماثل على اليمن الذى اخذ يقيم اتصالات مع ممثلى الاتحاد السوفييتى ابتداء من عام ١٩٢٦ . علما بان المستعمرين البريطانيين لم يكتفوا بالاجراءات ذات الطابع الدبلوماسى . فقد انتقلوا اعتبارا من عام ١٩٢٧ الى التهديد باستخدام القوة ، وقد انهالوا فى عام ١٩٢٨ بقصف وحشى على مدن اليمن الشمالى فضلا عن المواقع الامامية للقوات اليمنية . واضطرت المفارز اليمنية فى ذلك القتال غير المتكافىء على الانسحاب من المناطق الجنوبية الى ما وراء حدود ١٩٠٥ بين عدن واليمن ، ومع ذلك لم يتمكن المستعمرون البريطانيون من الحيلولة دون توقيع الاتفاقية اليمنية السوفييتية .

وقدم الاتحاد السوفييتى للشعب اليمنى فى وقت عصيب بالنسبة له مساعدة نزيهة خالصة ساعدت على قيام الدولة اليمنية المستقلة . وبالاضافة الى ذلك اثرت اقامة العلاقات بين الاتحاد السوفييتى والحجاز واليمن على السياسة الاستعمارية للامبريالية البريطانية التى اضطرت للاقدام على طائفة من التنازلات للحركة التحررية فى شبه الجزيرة العربية .

ولم يتم قيام اليمن المستقل فى حدوده الراهنة (الجمهورية العربية اليمنية حاليا) الا فى عام ١٩٣٦ . وقد اضرم المستعمرون البريطانيون نار التناقضات اليمنية السعودية واثاروا الفتن داخل الدولة اليمنية وارغموا الامام يحيى على توقيع اتفاقية ١٩٣٤ التي وافق بموجبها على عدم المساس بالاوضاع القائمة

فى المنطقة الحدودية طوال ٤٠ عاما ، اى انه اعترف مؤقتا بواقع حدود ١٩٠٥ بين اليمن وعدن .

وبعد انتهاء الحرب اليمنية السعودية التى لعبت بريطانيا الدور الاساسى فى اضرامها رسمت العربية السعودية واليمن فى عام ١٩٣٥ الحدود التى تفصل حاليــا بين هاتين الدولتين العربيتين .

وهكذا تمكن المستعمرون البريطانيون الذين طبقوا سياسة «فرق تسد» من ان يعيقوا عملية نشوء الدولة فى اليمن واحتفظوا بنفوذهم فى الجزيرة العربية لامد طويل ،

ولم يطرد المستعمرون البريطانيون من اليمن الجنوبى الا فى عام ١٩٦٧ بعد نضال مرير خاضته القوى الوطنية فى جنوب لجزيرة العربية .

محتويات

دراسات فى تاريخ الثقافة العربية
(القرون ٥ – ١٥)

الفت الكتاب مجموعة من المستعربين فى القسم اللينينغرادى لدى معهد الاستشراق التابع لاكاديمية العلوم السوفييتية . وهو سلسلة من المقالات المكرسة لنواح مختلفة من تاريخ الثقافة العربية فى القرون الوسطى . وهى تتحدث عن تركيب اللغة العربية ، والمخطوطات والمكتبات العربية . وخصص فيها مكان كبير لحياة المدينة العربية القروسطية وايديولوجيا سكان المدن .

دار التقدم
قيد الطبع

سفن روسية في الخليج العربي (١٨٩٩–١٩٠٣)

هذا الكتاب هو اول مطبوعة فى التاريخ تنشر مواد الارشيف الحربى البحرى الروسى عن رحلات مراكب روسية الى موانىء الخليج العربى فى اواخر القرن التاسع عشر واوائل القرن العشرين . وهو يحتوى على عدد من التفاصيل المثيرة للاهتمام عن التطور التاريخى لشعوب المنطقة وحياتها ومعيشتها . زود الكتاب بصور فوتوغرافية فريدة التقطها البحارة الروس فى الخليج ، ومن بينها صور لحكام مسقط ، وعُمان ، ومحمية عمان والكويت .

دار التقدم
قيد الطبع

دميتربيف . السادس من اكتوبر ١٩٨١

يتناول الكتـــاب بالتحليل «تجربـــة السادات» التى كانت احدى نتائجها سياسة «الانفتاح» فى اقتصاد مصر وتقربها السياسى من الولايات المتحدة الاميركية واسرائيل . يورد المؤلف عددا كبيـرا من وثائق فترة السبعينـــات التى تتضمن شهـــادات على الانحطاط السياسى لنظام السادات . يتناول الكتاب لاول مرة بالتحليـــل العلمى مواد التحقيق فى قضية اغتيال السادات ، وافادات الشهود .

بوغانوف . حياة بطرس الاكبر
(سلسلة «القرون والناس»)

كرس البروفسور بوغانوف كتابه هذا لحيــاة ونشاط بطرس الاكبــر – اول امبراطور لروسيــا باتت روسيا فى عهده دولة عالميــة عظمى حيث اتسعت اراضى الدولــة الى حد كبير عن طريق اكتشــاف ودراسة واستيطان اراض فى شرق وشمال السهوب الاوروبيــة الآسيويــة الفسيحة . اثارت شخصية بطرس الاول واعماله اهتماما كبيرا لدى معاصريه . ومنذ ذلك الحين لم يضعف الاهتمام بهذه الشخصية التاريخية . والكتــاب هو ثمرة دراسة مديدة لدائــرة واسعة من المراجع والمطبوعات عن بطرس شخصيا ، وعن عهده ، وهو مزود بصور مثيرة للاهتمام ، وموضوع لدائرة واسعة من القراء الذين يهمهم تاريخ روسيا .

دار التقدم
قيد الطبع

الى القراء

ان دار التقدم تكون شاكرة لكم اذا تفضلتم وابديتم لها ملاحظاتكم حول ترجمة الكتاب ، وشكل عرضه ، وطباعته ، واعربتم لها عن رغباتكم .

العنوان : زوبوفسكي بولفار ، ١٧

موسكو – الاتحاد السوفييتي



ISBN 5-01-002158-7